

مُحَمَّدُ أُمُّ
مكتبة

رُوي ياكوبسن

ترجمة: محمد حبيب

رواية



دار

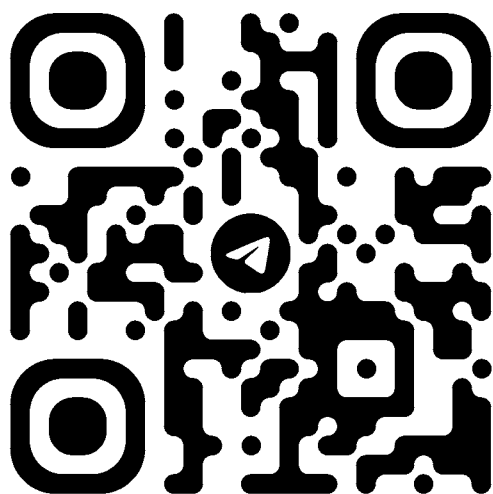
هذه القصة هي الجزء الرابع من السلسلة ..

١ اللامرثيون ..

٢ لحر أبيض ..

٣ عيون رغيل ..

٤ مجرد أم ..



سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

مجرد أم

Bare en mor
Roy Jacobsen

مجرّد أم - رواية
تأليف: روي ياكوبسن
ترجمها عن النرويجية: محمد حبيب

مكتبة
t.me/soramnqraa

تصميم الغلاف: نجاح طاهر
ISBN: 978 - 9933 - 701 - 51 - 2
الطبعة الأولى: 2025

دار

دار سرد للنشر

جوال: +961 81756938

البريد الإلكتروني:

info@darsard.net

الموقع الإلكتروني:

www.darsard.net

facebook.com /Sard.Publishing

twitter.com /SardPublishing



دار مسدوح عدوان للنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - ص ب: 9838

الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، مدينة
الشارقة للنشر - المنطقة الحرة، مركز الأعمال.

جوال: +971 557195187

البريد الإلكتروني:

addar@mamdouhadwan.net

الموقع الإلكتروني:

addar.mamdouhadwan.net

fb.com /Adwan.Publishing.House

twitter.com /AdwanPH

Copyright © CAPPELEN DAMM AS 2020

روي ياكوبسن

مجرّد أم

رواية

ترجمها عن النرويجية:

محمد حبيب

This translation has been published with the financial support of NORLA, Norwegian Literature Abroad.



I

- 1 -

مكتبة

t.me/soramnqraa

في جزيرة تكاد تخلو من السكّان تقريباً، يصبح كلّ اتصالٍ مع العالم الخارجيّ مهمّاً للغاية، حتى لو كان مع سفينة نقل الحليب اليومية. اليوم، انحنى القبطان من فوق درابزين درج السفينة القديم، وناول إنغريد الصحيفة التي تشبه إيصال دلاء الحليب، ثم شرع يرفع الدَّرَج الخشبيّ القديم بحركاتٍ بطيئة ودقيقة. هذه هي الصفات التي يجب أن يُذكرَ بها يوهانس هارتفيسن: البطء والدقة.

لكن اليوم، سقطت من الجريدة رسالةٌ عليها طابعٌ بريديّ لم ترَ إنغريد مثله من قبل، وعلى الجهة الأخرى توقيع المرسل وعنوانه. رسالة من تروندهايم. تضرّج وجه إنغريد، تركت الجريدة تسقط على الرصيف، وانطلقت ماشيةٌ صوب جنوب الجزيرة.

تجاوزت سقيفة القارب السويدية، والمربط الحديدي في الصخرة الكبيرة، متّجهةً صوب جزر البّفن الصغيرة. سارت حافية القدمين فوق الحصى والصخور الدافئة، وبين نباتات الخلنج الجافة والأعشاب المصفرة، وفي يدها رسالةٌ ينبغي قراءتها في عزلة، لا شكّ في أنّ الرسالة من ماريان فولهايم غريبة الأطوار، التي لم تسمع منها إنغريد منذ سنوات

وأَيَّام، وحاولت جاهدةً أن تنساها لكن دون جدوى، لقد عرفت ذلك بوضوح صادم.

تجاوزت غيضة الحبّ والسيّاح الصخري باتجاه حديقة الثدييات، ولسبب ما بقيت صورة يوهانس، قبطان سفينة نقل الحليب، عالقةً في شبكيّة عينيها، وكذلك منظر يده الخشنة، التي سوّدتها الشمس، عندما ناولها الجريدة التي كان فيها اليوم رسالةٌ هي بحدّ ذاتها لغز، لأنّ بارأوي لا تتلقّى رسائل في أوقاتٍ أخرى من السنة خارج موسم لوفوتن، وتلك رسائل قليلة ومقتضبة، يكتبها رجال العائلة ليؤكدوا فيها أنهم ما يزالون أحياء.

وشاهدت من فوق كتفيّ القبطان بقع الزيت على سطح السفينة تلمع تحت ضوء الشمس الساطع، وعلى درابزين السفينة صفّ حوامل سكاكين، وألجمة، وبكراتٍ حبال، ومن ورائها جميعاً شاهدت البحر مثل بلاطة كبيرة، والشُعَب المُرْجَانِيّة، والجزر الصغيرة التي يتناقص صخب طيور النورس فيها يوماً بعد يوم، فالبلد يدخل فصل الخريف الآن.

لكن ما لفت انتباهها، وقبل كلّ شيء، هو ابن قبطان السفينة، ماتياس، البالغ من العمر أربع سنواتٍ، أو خمساً، الذي كان يجلس اليوم أيضاً على دكّة غرفة القيادة، مثل كومةٍ بائسة، لعبه يسيل، وثيابه مهترئة وضيقة جداً، والقيء يتدحرج فوق صدره، وثلاثةٌ من أصابع يده في فمه. طفلٌ غريب الأطوار وحافي القدمين اعتادت إنغريد أن تواسيه ببضع كلماتٍ طيبة: كيف حالك، يا ماتياس؟ هل تشعر بدوار البحر؟

تحاول إنغريد أن تبثّ قليلاً من الحياة في هذا الجسد اللامبالي، الذي يبدو مثل كتلةٍ خشبيةٍ مُثَبَّتة على هذا القارب منذ أن اختفت أمّه ذات يوم

في الصيف الماضي، لسبب لم يصدّقه أحد. هجرتهما بعد فترة قصيرة من انتهاء الحرب، ولا يمكن ربطه بالحرب. ولم يصدّق أحدٌ حجّة هذه المرأة المفقودة حول العوّز والمّلل في بيت يوهانس هارتفيسن؛ لأنّ العوّز لم يكن أقلّ ممّا كان عليه من قبل، وقد أصبح المّلل تعبيراً حديثاً عن الكسل. قصارى القول، ليس هناك سببٌ معقول لتهجّر زوجها وطفلهما لتصبح نقطةً في بحرٍ من البشر في مدينةٍ كبيرة، ولا وجود لاحتمالٍ آخر. وفوق ذلك كلّّه، لم ترسل أيّ إشارة على أنها ما تزال على قيد الحياة، وطبعاً كان لهذا علاقة بالحرب.

يعود نسبُ والدّة ماتيّاس، المدعوّة أولافيا هارتفيسن، إلى عائلة ستورم ذات المكانة المرموقة في الحوزة التجارية شمال الجزيرة الرئيسية. كانت أولافيا فتاةً جميلةً وصغيرة، استطاعت في طفولتها ومراهقتها أن تفعل ما تريد برشاقة وثقة، قبل أن تنفصل فجأةً في نهاية الحرب عن جميع امتيازات العناية الإلهية وتمنح نفسها ليوهانس هارتفيسن، العجوز الذي يكبرها مرّتين، والذي لم تَمُنَّ عليه امرأةٌ من قبلُ حتى بنظرةٍ واحدة. والسؤال الذي يفرض نفسه: هل فعلت ذلك بملء إرادتها؟ لا. بدافع الحبّ؟ مستحيل. بدوافعٍ مشكوكٍ فيها؟ بالتأكيد.

على الأقلّ، هذا ما جعلها تهرب بملء إرادتها.

ومنذ لحظة هروبها فصاعداً أصبح شريان الحياة الروتيني للأرخبيل بين يديّ لا الزوج المهجور فحسب، بل وابنه المهجور أيضاً، الذي كان يجلس كلّ يوم على الدكّة ذاتها مرتعشاً وثلاثة من أصابع يده في فمه، بانتظار أن تتوقّف السفينة عند هذا الرصيف أو ذاك، مثل رصيف بارأوي

مثلاً، فترتاح أمتعاه قليلاً، وقد يحنّ عليه أحد سكّان الجزر بكلمة طيبة، رغم أنه لم يحدث قطّ أنه أجاب أحدهم، لكنّه لاحظ طبعاً تعابير وجه إنغريد، والرجفة التي تعتري جسدها كلّما رآته، بينما تتخيّله الآن وهي تشقّ طريقها هناك إلى جنوب الجزيرة، وفي يدها تلك الرسالة المربكة، والتي لا علاقة لها بهذا الصبيّ المسكين.

من حينٍ إلى آخر، يقع شيثان في الوقت نفسه، ويصيحان الجرح ذاته في الذاكرة، لكنّك لا تدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان. فلماذا لم تستخدم إنغريد ذكاءها وتفتح الظرف وتقرأ ما الذي كانت ماريان تريد قوله، وتُنهي الأمر؟

لم تكن إنغريد مستعدّة بعد، فسارت إلى أقصى جنوب الجزيرة، إلى المقعد، كما كانوا يسمّونه، وهو شجرة صنوبر روسية ضخمة قذفتها العاصفة ذات يوم من أيّام طفولتها على شاطئ الجزيرة، وقد اعتادت إنغريد أن تؤدي معظم أعمالها الفكرية الخاصة هناك، وهناك جلست عندما كانت الجزيرة مُهدّدة بأن تصبح أصغر، وعندما هُدّدت الحياة بالتوقّف، واليوم تجلس هناك مع رسالة من ماريان فولهايم. كانت إنغريد خائفة جداً.

لا شيء مميّزاً في ماتياس. إنه صبيّ عاديّ لعب على الشاطئ وفي مزرعة والده الصغيرة، في المروج والغابات متساقطة الأوراق وعلى تلال الثلج، ونطّ وضحك وبكى مثل الأطفال الآخرين، دون أن يتميّز عنهم بأيّ شيء سوى على الأغلب أنّ والديه كانا قادرين على التعرّف عليه من مسافة بعيدة. وذات يوم من أواخر أيام شهر أيار تغيّر فجأة، بين عشية وضحاها، بسرعة لا يمكن أن تحدث إلا لدى طفل.

بدأ ذلك كلّ مع يوهانس هارتفيسن الجالس على حافة السرير. عندما فتح الطفل عينيه ورأى في وجه والده المجمعّد والملتحي، كآبة رجلٍ لم يعرف كيف كان يبدو ولم يفكر في ذلك البتّة، وترافقت تلك الصورة مع صوت المطر الذي يفرقع على سقف الصفيح الصدئ. والذي اعتاد ماتياس أن يسمّيه صوت الرعد، وسمّاه رعداً من جديد.

وفي كلّ مرّة، يصحّح له والده، ويكرّر أنّ الصبيّ لم يسمع صوت الرعد قطّ، لأنه نادراً ما يحدث الرعد في هذه المنطقة من البلاد. ما تسمعه هو المطر، صوت المطر الغزير.

والآن، على ماتياس أن ينهض ويرتدي ملابسه ويرافق والده إلى القارب، فلا لعب اليوم مع أولي وسلوتر، لأنّ الماما سافرت.

الماما؟

نعم، الماما.

أين هي، الماما؟

لم يكن لدى يوهانس أيّ إجابات عن هذا السؤال، ولم تكن لديه القدرة على التفكير بعمق في الأسباب التي جعلت زوجته أولافيا تهجرهما. لطالما اشتكت أولافيا من أنّ يوهانس «سوداويّ الأفكار»، رجلٌ ذو رأس مُثقل بالهموم والمشكلات، ويؤثر سلباً على محيطه، وعليها هي أيضاً، وهذه سمةٌ لم تكن تعرفها فيه قبل أن يتزوّجا، كما زعمت. بدا أنّ يوهانس لا يشعر بالراحة في بيته، وأراد أن يكون معظم الوقت طائراً حراً في البحر، كما ادّعت هي أيضاً.

عدّ يوهانس هذا الكلام محض هراء. لأنه يرى في خطّ نقل الحليب مصدراً روتينياً للدخل ورثه عن والده. والحق يُقال، أنّ يوهانس عندما يكون في مقصورة قيادة السفينة، لا يشغل تفكيره سوى أولافيا والصبي، ويفكر كم سيكون رائعاً عشية هذا اليوم الجديد أن يُرسي السفينة ويمشي مئةً وثلاثين متراً إلى المزرعة، يخلع حذاءه الكاوتشوك وملابس العمل الوسخة، يغسل الزيت عن يديه، ويجلس إلى طاولة الطعام مع أولافيا وماتياس، أعزّ ما يملك في الوجود، لم يكن لدى يوهانس أيّ شيء بهذه القيمة من قبل.

من المؤكّد أنّ هذه الكلمات كانت أكبر من قدرته على الفهم. كان يوهانس يستمتع بزوجه في صمتٍ خاصّ، كما يستمتع بروائح الصابون

الفاخر العطرة التي تذكره بحياة الأغنياء بعيدة المنال، كما تمتع برشاقتها، وملابسها، وشعرها ويديها، على وجه الخصوص، يديها الصغيرتين البيضاءوين البضتين، حتى بعد عدة سنوات من العمل في إدارة المزرعة، هذا العمل الذي لم يكن لديها أدنى فكرة عنه، ورغم ذلك مارسته بالقدر نفسه من المهارة في التدبير والتقشف مثل والدَي يوهانس.

لكنّ ما فاجأ يوهانس كثيراً هو أنهما لم ينجبا المزيد من الأطفال، رغم أنّ الجماع بينهما كان كما ينبغي أن يكون بين رجل وزوجته، على حدّ علمه. إضافةً إلى ذلك، وعلى مرّ السنين، بدأت تنتشر بعض الأحاديث في القرية عن عدم التكافؤ في بيته، وشائعات سمعها يوهانس في نهاية المطاف، ربما باعتبار أنّ الزوج آخر من يسمع. في البدء كان السؤال المُحير هو كيف استطاع شخصٌ مثله أن يوقع في حباله أُولافيا ستورم، العصبية على المنال، وإحدى النساء القلائل في الجزيرة الرئيسية، التي كانت قادرة على اختيار الرجل الذي تريد، بدءاً من رأس القائمة، كما يمكن أن يعتقد المرء. وعلاوةً على ذلك، قيل إنها تزوّجته ضدّ إرادة والديها. فهل كان يوهانس فعلاً، الحبيب المُختار؟ ليصدّق ذلك من يستطيع.

ماتياس ذو شعرٍ بنيّ نحاسيّ وعينان خضراوان. صبيٌّ وسيم، بلامح أنثوية تقريباً. تكلم في سنٍّ مبكرة. رشيّق الحركة، قويّ ولم يمرض قطّ. برزت أسنانه في أوانها، ونظفَ مبكراً، كما أحبّ شرح الأشياء وتفسيرها منذ أن استطاع الكلام، واتّضح منذ سنٍّ مبكرة أنه من المُحال توبيخه، لأنه ليس عنيداً ولا مُستفزّاً، واستطاع بلباقته أن يتجاوز كلّ التحذيرات والمحظورات كما لو أنّها غير موجودة، إنه صبيٌّ مستقلّ ومعتدٌّ بنفسه.

منذ أن بلغ عامه الثالث، اعتاد ماتياس أن يخبر أولافيا بكل ما يفعله في يومه بتفصيلٍ مُمل. كما كان يخبرها عما يفعله الجيران وأطفالهم، وعن حركة المرور على الطريق وفي الميناء. كانت أولافيا تناديه مماًزحة: «الثرثار»، وكان يوهانس يبتسم للعديد من ملاحظاته الساخرة، وقدرته على التقاط التفاصيل المضحكة، وشعر بفخرٍ حقيقيٍّ بابه.

لكن عندما تجاوز الصبيّ سن الرابعة وأصبحت تخيّلاته أكثر خصوبةً ورحابة، بدأ الأب يشعر ببعض الضيق عندما يكونان معاً، ثم أصبح هذا الشعور طاغياً لدرجة أن يتساءل أحياناً ما إذا كان يرَبّي في بيته صبيّاً غريباً، صبيّاً ليس من صلبه.

هناك تفسيراتٌ عديدة لسبب سقوط تفاحة بعيداً جداً عن شجرتها، بعض هذه التفسيرات مُطمئن، ومن بينها حقيقة أن أجيالاً متعاقبة من عائلة أولافيا كان لديهم ما يكفي من الوقت والمال للعيش في برجهم العاجي فوق بقية السكّان.

وهناك تفسيرات غير مطمئنة، أيضاً، مثل أن قوّات الاحتلال الألماني اتخذت من مزرعة عائلة ستورم مقرّاً عسكريّاً، وأن أولافيا وأخواتها البنات كنّ يعملن في مطابخ الضباط الألمان في الأيام التي لم يكنّ يقضينها في غرفهن المكسّوة بورق الجدران، بانتظار أن يكتشفهنّ فارس الأحلام، ولم يكنّ الوحيدات اللواتي انتظرن، فقد سبقتهنّ إلى ذلك الانتظار كثيرٌ من فتيات طبقتهنّ حتى قبل الحرب.

أما الآن فقد كانت هناك حربٌ، ثم انتهت، وبدأ الناس يتحدثون كيف أنّ ماتياس قد لا يكون الابن البيولوجي ليوهانس. وأنّ يوهانس مجرد

عملية تغطية لامرأة بعيدة النظر، امرأة مثل كثيرات غيرها -ربما كن أقوى من أولافيا- أعطتهن الحرب شيئاً يندمن عليه، شيئاً ينبغي تصحيحه أو إخفاؤه في وقت السلم.

لم تخفُ الشائعات عندما عادت امرأتان أخريان كانتا تعملان في الثكنة الألمانية إلى المتجر لاستئناف عملهما السابق كـ«نساء» بالمعنى الأقل تلطيفاً للكلمة، زهرتان ذابلتان نسيتا مجدهما السابق، وتجلسان الآن على رصيف الحليب خارج متجر ماركوس وتحدثان مع كل من يمر بجانبهما، وتنكّهان كلامهما بألفاظ نابية مشيرة، وتبعثان طلبات استجداء إلى صندوق الفقراء، وتنشدان بصوتٍ نشازٍ في جوقة الكنيسة، وخلال انتظارهما وصول سفن صيد السردين، وإقلاع مصنع تعليب الأسماك، لم تجدا أفضل من الجلوس هنا على هذا الرصيف والإيحاء بأن الحقيقة ليست أول ما يتبادر إلى ذهن المرء عندما ينظر إلى ابنة التاجر ستورم المنحطة، وابنها ماتياس.

لاحظ يوهانس أنّ الشائعات أضفت المزيد من المضمون على الكآبة المنسوبة إليه، وأنّ الحال الآن أصبح مثل حالته هو في السنوات الأولى بعد وفاة والدته، كان حينذاك في الثانية عشرة، واضطرّ إلى مرافقة والده في البحر، أولاً للصيد في قاربٍ مفتوح، ثم على سفينة نقل الحليب، وسيشاركه ابنه هذا المصير الآن، مع فارقٍ كبير وهو أنّ ماتياس في الخامسة من عمره فقط.

الغريب في الأمر هو أنّ يوهانس، في صباح يومه الأول كزوج مهجور ذهب إلى العمل واصطحب ابنه معه، لأنه لم يكن قادراً على التخلف عن عمله حتى في ذلك اليوم أيضاً؛ وقد صدمته حقيقة أنّ كل شيء كان

متوقعاً. أولافيا أجمل من أن تكون حقيقة، بالنسبة له، كانت حلماً جميلاً انتهى الآن.

ليس من السهل أن يبدأ المرء نهاره بهذه الفكرة، لكنّها على الأقل كانت فكرةً محتملة، كما عرف يوهانس، فكرة تساعد المرء في الحصول على جزءٍ من تشخيصٍ معقولٍ لشيءٍ غامضٍ عانى منه لفترةٍ من الزمن، حتى لو كان التشخيص سرطانياً. وربما كان هذا الاستبصار المتناقض هو السبب وراء عدم قيامه على الفور باستنفار السماء والأرض لاستعادة أولافيا، أو تعقبها، أو محاولة أن يعرف ما إذا كانت قد تركت رسالةً أو ملاحظةً. لقد خطر له ذلك بالفعل خلال الدقائق الأولى في المطبخ، عندما ذهب ليتأكد من اختفاء الحقيبة، وملابسها بطريقةٍ لا رجعة فيها، كان الباب الأمامي موارباً، وليس هناك ما يمكن العثور عليه.

لم تترك أولافيا رسالةً وراءها، وتلك حقيقةٌ قالت شيئاً عنها بالطبع، وحقيقة أن يوهانس لم يبدأ على الفور بالبحث عن هذه الرسالة ربما قالت شيئاً عنه أيضاً، وكلا الأمران معاً قالاً ما هو ضروري قوله عن الزوجين هارتفيسن، كان الأمر واضحاً بشكلٍ محيرٍ بالنسبة له.

بدأ يوهانس بالبحث في مخابئ المنزل بعد أربعة أيام، وقد بحث بدافع فعل شيءٍ ما في يومٍ أحدٍ مُملٍّ، إلى جانب دافع معرفة من تكون أولافيا، وأن الأشياء التي أحضرتها معها ربما تخبره شيئاً لم يعرفه عنها، تضعه على مسارٍ يساعده على الفهم.

أول شيءٍ اكتشف غيابه هو حذاؤها الرسميّ، زوج أحذية من الجلد

الأسود لم تلبسهما أولافيا حتى في حفل زفافها، مع إيزيم فضّي حول مشط القدم. لقد رآها مرّتين تلمّعهما بمنتهى الحرص، وكذلك الأواني الفضّية التي جلبتها معها من بيت أهلها. لم يمتلك يوهانس أواني فضّية قطّ. وأواني أولافيا، مثل حذاءيها، لم تُستعمل قطّ.

في الواقع، لقد فاجأه قلّة ما جلبته معها من بيت طفولتها، وهي ثاني أصغر ابنتين في المنزل، وأحبّ ابنةٍ إلى قلب أبيها من بين أربع بنات كان ينوي تزويجهن. إضافةً إلى الحذاء والأواني الفضّية اختفى فستانان فقط؛ لكن ولا واحدة من ألعابها متقنة الصنع، حصان خشبي أصفر، قارب مطلي باللون الأحمر، والمِعداد الذي لسببٍ ما لم تسمح لماتياس أن يلعب به. «ما يزال صغيراً جدّاً»، قالت أولافيا بالجديّة ذاتها التي تلمّع بها الأحذية والأواني الفضّية.

كما اختفت الحقيبة التي ظلّت دوماً بجوار صندوق أحذيتها على الرفّ العلويّ في خزانة غرفة النوم، والتي تُذكر يوهانس الآن أنه لم يرها مفتوحة قطّ. لقد حرّكها عدّة مرّات، من أجل الوصول إلى إيصالات منتجات الألبان الخاصة به، التي اعتاد أن يحفظها في صندوقٍ خشبيٍّ صغير على الرفّ ذاته، واعتقد أنّ الحقيبة ثقيلة بشكلٍ غريب، لكنّه لم يتحقّق ممّا في داخلها بتاتاً.

هل كان هناك المزيد ممّا لم يتحقّق منه أكثر، أو لم يتفاجأ به، أو ربما كان ينبغي أن يتفاجأ به؟

لاحظ أنّ كلّ ما حصلت عليه أولافيا خلال حياتهما معاً قد تركته وراءها أيضاً. معظم الثياب معلّقة أو مكدّسة حيث ينبغي أن تكون، وساعة حائط وميزان حصلت عليهما بشقّ النفس في عيد الميلاد الماضي، وإطار

صورة للصبي، ومآزر مخططة اعتبرها يوهانس غالية الثمن، وهذه دفعت أولافيا ثمنها من جيبيها الخاص، جيب لم يكن لدى يوهانس أي فكرة عنه، دون أن يزعجه الأمر. لكن من المؤكد أنها دفعت تكلفة هذه الرحلة من أموالها أيضاً. فالنقود الموجودة في صندوق البسكويت الذي اعتبره صندوق المصاريف المشترك للمنزل، الثلاثة وثلاثين كروناً التي تحدّث عنها يوهانس في نهاية الأسبوع الماضي، ما تزال في مكانها.

كانت أولافيا على درجة عالية من النظافة، ولها طريقتها الخاصة في طيّ المناشف وملاءات السرير، وترتيبها الخاص لأدوات المائدة والأواني الفخارية وملابس الصبي، وترتيب حجرة المؤن وغرفة المعيشة. كما كانت دقيقة ومرهفة وسريعة الانفعال، وقد أحبّ يوهانس ذلك. وظلّت دلاء الماء في مكانها الجديد الذي حدّثته هي منذ دخلت المنزل وأعلنت أنها لن تبقى حيث وُضعت من قبل. وسرى الأمر ذاته على أحواض الغسيل والمكانس والمساحات، المعلقة فوق حبالٍ مختلفة على جانب مدخل البيت الخارجي، حبال أولافيا وترتيبها هي.

عاد يوهانس إلى غرفة الجلوس ورأى أنها قد تركت وراءها أيضاً البساطين اللذين أحضرتهما من بيت أهلها، متقاطعين فوق أرضية الغرفة. وتعجّب يوهانس من ذلك، ألا يبدو غريباً وضع بساطين في حالة تقاطع على الأرضية؟

نظرت إليه شزراً، ثم أزاحت الطاولة والكراسي جانباً ووضعت البساطين أحدهما بجانب الآخر، ليتمكّن الزوجان معاً من تحديد أنهما أطول كثيراً من الغرفة، وأنّ بيت يوهانس هارتفيسن لم يكن كبيراً بشكل كافٍ ليتسع لبساطين من بسط آل ستورم على طولهما الكامل.

يحاول في هذه اللحظة ألا يخلق قضية من بقاء البساطين في مكانهما على أرضية الغرفة، لأنه: مَنْ سيهرب من مكان ويأخذ معه بساطين؟! خلال السنوات التي عاشها وحيداً، واطب يوهانس على عادة والدته التي كانت في بداية كلّ ربيع تملأ صندوقاً خشبياً بالتراب، تزرع فيه زهوراً برّية، لتضفي مزيداً من ألوان الضوء على درابزين مدخل البيت الخارجي. لكنّ أولافيا أفرغت ذلك الصندوق من التراب، ووضعت في مخزن الأدوات حيث يحفظ يوهانس أدواته وفحم الكوك، وعدّة صيد والده القديمة. خرج يوهانس إلى مخزن الأدوات، وجد الصندوق وأعادته إلى مكانه، كان ينوي أن يملأه بالتراب والزهور البرّية من جديد. رغم ذلك فإنّ نظرة صغيرة خاطفة إلى فراغ مكان الصندوق كفيلة بأن تذكره بها.

قراءة ظهر يوم الأحد سأل يوهانس ماتيّاس الجالس متربّعاً على السجّاد في غرفة المعيشة، ما إذا كان راغباً في الذهاب للعب مع رفيقه سلوتر أو أولي، اللذين لم يَرهما منذ أسبوع تقريباً، بعد أن أصبح بحاراً؟ لا أريد، قال الولد.

ولم يفكر يوهانس في قول أيّ شيء معقول يساعد على متابعة الحوار، مثل: لماذا؟

علاوة على ذلك، ربما حان الوقت لإبلاغ آل ستورم بغياب ابنتهم. حتى أنّ غودرون، التي تعيش في المزرعة المجاورة، توقفت مرّتين لتسأل عن أولافيا، مع الشكّ الصريح المعتاد في نظرتها الرمادية، رغم أنها لم تكن صديقة أيّ منهما. بل كانت إحدى نساء رصيف الحليب اللواتي اقتنصن الفرص في زمني الحرب والسلام.

فكر يوهانس في أن يكتب رسالة، ويرسلها في الصباح مع الباص المتجه شمالاً، لكنه وجد أنه من الأنسب أن يذهب شخصياً، فالمسافة تزيد قليلاً على ميل، ربما بوسعه أن يستأجر حصاناً، أو أحد حيوانات الجرّ التي تبقى واقفة أمام المتجر طوال اليوم.

لكنّه أجّل رحلته قليلاً، وقام بعدّة جولاتٍ أخرى في المنزل، وفي الفناء أيضاً، حيث ترك بصره يطوف في أرجاء هذه المزرعة التي كان ينبغي أن يعتني بها بشكلٍ أفضل، وهذا ما كان يخطر له في كلّ مرة يقع بصره عليها، لكن لم يكن لديه الوقت، وفي الوقت نفسه أخذ يفكر فيما إذا ينبغي أن يأخذ الولد معه أم لا، حتى فرضت الواقعة ذاتها، لم يكن أمامه خيارٌ آخر.

ذهب الأب والابن إلى المتجر، استأجرا أقدم حصان وعربة هناك، واتجها شمالاً، ولم يهتمّ يوهانس بصمت الولد، فقد كان مشغولاً بالتفكير في لقاء والدي أولافيا اللذين لم يَرهما منذ بضع سنوات، على عكس أخواتها اللواتي زرنّها مرّاتٍ قليلة في هارتفيكا، ثم انقطعن فجأةً حتى كاد لا يعرفهن عندما عاد ذات مرّة من البحر ورآهنّ في زيارة أولافيا.

عندما وصلا إلى منزل عائلة ستورم أدرك أنّ عليه أن يبرّئ نفسه من تهمة التأخير، فقال فوراً للابنة الصغرى في المنزل، إليزابيث، التي فتحت له الباب، إنّ جاء ليعيد زوجته أولافيا إلى البيت.

لم تفهم إليزابيث شيئاً، لكنّها أدخلت الضيفين إلى غرفة جلوسٍ مساحتها يمكن أن تتسع لأيّ طولٍ من البسط القماشية. وكان والدا زوجة يوهانس، وهما في مثل عمره أيضاً، جالسين على طرفي طاولة كبيرة صقيلة السطح، وينظران كلّ منهما إلى الآخر من فوق فنجانيّ قهوة، ربما قهوة ما

بعد وجبة غداء لذيذة. نظرا شزراً من فوق فنجان قهوتهم، واسترقا النظر إلى ماتياس، الذي وقف حافي القدمين بجوار والده وهو يجول ببصره فوق جدران الغرفة صعوداً وهبوطاً قبل أن يستقرّ على الثريا المتدلّية من السقف.

ركعت إليزابيث أمام ماتياس الذي كادت لا تعرفه، لكنّها قالت إنّ الشبه بينه وبين والدته الآن أكبر ممّا كان عليه في الشتاء الماضي، وأضافت بعض الأشياء الأخرى التي فاتت يوهانس، الذي انشغل بالتحقّق من ردّة فعل حميه على ما أخبره به للتوّ، أنّ ابنته أولافيا قد اختفت، وأنّ يوهانس اعتقد أنّها قد ذهبت في زيارة إلى أهلها لأنّها شعرت بالملل في هارتفيكا، أو لأنّها أرادت أن تزور عائلتها من جديد؟

حيّد حموه التكهّنات جانباً، ونهض راغباً في أن يعرف متى بالضبط غادرت أولافيا.

لاحظ يوهانس أنّ الرجل العجوز لم يستخدم مصطلحه هو: اختفت.

فسأله من جديد: هي ليست هنا؟

بالطبع ليست هنا.

أعطاه يوهانس التاريخ الدقيق لاختفائها.

أجل، يوم الثلاثاء، قال ألفرد ستورم وهو يجري عملية حسابٍ راجعة، ثم خرج من الغرفة وعاد ثانيةً ومعه تقويم، وقف عند الطاولة مثل معلّم، وقال إنّ ما جرى حسب اعتقاده هو أنّه في الصباح الباكر من يوم الثلاثاء أبحرت سفينة أسماك مجفّفة من أمام المتجر، باتجاه بيرغن. وكانت نصف الشحنة له شخصياً، حتى إنه يعرف خبير الأسماك الذي قيّم الشحنة، وهو من آل ياكوبسن من ترومسو، وكأنّ لهذا علاقة بالقضية الأساسية، وسأله

ما إذا كانت أولافيا على اتصال بطاقم السفينة، أو كانت تعرف مسارات القوارب؟

وكيف لي أن أعرف ذلك؟ أجاب يوهانس وهو يترنح مع شعور زاحف بأنّ خبر اختفاء أولافيا ليس له وقع القنبلة هنا، بل استُقبل بمزيج من الاستسلام المتوقع والارتياح المخزي، إضافةً إلى بعض الأحاديث الغامضة التي من المفترض أن تُبقي الزوج المُزدرى في حالةٍ من عدم اليقين.

سأل ما إذا كان أحد الآخرين الموجودين حول الطاولة على علم بخطط هروبها. لم يعرفوا بتاتاً، كما أكّدت له حماته أماليا، مستخدمةً بعض الجمل الطويلة غير المفهومة بالنسبة ليوهانس، وهي ما تزال جالسةً في مكانها إلى الطاولة وتواري فمها بيدٍ مرتجفة قليلاً. أماليا أصلها من أوليسوند وقد أربكت يوهانس بلكنتها ورجفة يدها، فطرح السؤال من جديد، وتوجّه به هذه المرّة إلى إليزابيث أخت أولافيا الصغرى عمّا إذا كانت تعرف شيئاً؟

كلاً.

لكنّها على الأقل بدت قلقةً، ومستاءة بشكلٍ واضح، على قدر فهم يوهانس، رغم أنّ النظرة التي وجهتها إلى أمّها بدت له نظرة توّسل أكثر منها نظرة اتهام، كما لو أنها فهمت أنّ والديها يخفيان أمراً، قد يُطلعاها عليه بمجرد خروج هذا الصهر من المنزل. استجمعت قواها ووضعت يدها على رأس ماتياس مع ابتسامة مليئة بالشفقة الرقيقة لدرجة أنّ الصبيّ تمكّن من الابتسام لها بالمقابل.

شعر يوهانس بأنه قد أدّى واجبه، ويبدو أن لا أحد يلومه على اختفاء

زوجته. وشعر بالخجل من اكتشافه أنّ أحد أسباب زيارته هذه هو طلب المغفرة من عائلة أولافيا، التي اعتقد أنه قد نالها الآن، ربما بمجرد وقوفه هنا. ولأنّ يوهانس ليس بارعاً في فهم الناس، لم يكن أمامه سوى أن يقول وداعاً ويغادر.

رافقتهما إليزابيث إلى الخارج ووقفت وراء البوابة داخل السور الأبيض، وقالت لهما عودا في أقرب وقت، ثم داعبت غرة ماتياس للمرة الأخيرة ولوّحت لهما مودّعة، كما لو أنهما لقا ترحباً.

قاد الأب وابنه عربية الحصان عائدين بالصمت الثقيل الذي وصلا به. وكان يوهانس مليئاً بالألغاز لدرجة أنه لم يشعر بالغضب لأنهم لم يقدّموا له حتى فنجان قهوة.

سلّما الحصان والعربة، وعادا إلى المنزل في تلك الأمسية الصيفية المضيفة، ووقفوا مذهولين أمام بيت المزرعة الصغير، وكأنهما يدرسانه، ليستوعبا أهمية المنزل، ها هو ذا منزلنا.

لقد أمضى يوهانس هارتفيسن كلّ نهار الأحد في رسم التغييرات في منزله هذا، وكانت جميعها تغييرات صغيرة جداً لدرجة أنها لم تكن مرئية لأيّ شخص آخر سواه. وكان وحده من رأى أنّ البيت لم يعد ملكه، ولن يكون ملكه مرةً أخرى أبداً. أو أنّ الحال على ما هو عليه، وهذا هو بيته، بيته هو فقط، كان وسيبقى.

قال يوهانس لماتياس الذي لم ينطق حرفاً واحداً منذ اختفاء أمّه، غداً يوم الاثنين.

أيّ إننا سنخرج إلى البحر.

- 3 -

جلست إنغريد على المقعد وبين يديها رسالة ماريان فولهايم. السبب الوحيد في أنها لم تمزق هذه الرسالة، أو ترميها في الموقد دون أن تقرأها، هو الأمل المخيف في أن تحتوي معلومة عن رجل وقعت هي وماريان في حبّه في السنة الأخيرة من الحرب، أسير حربٍ روسيّ شابّ يُدعى ألكسندر نيشنيكوف، أحد الناجين من كارثة ريغل، والذي اضطرّ إلى التخلّي عنهما لإنقاذ حياته، وكلاهما أُمِلتا في أنه قد تمكّن من العودة إلى وطنه، إلى الاتحاد السوفيتي.

هل تمكّنت ماريان من تعقّب أثره؟

كانت ماريان وريثةً لمزرعة كبيرة، ولديها المال، والتعليم العالي، وتعمل معلّمة في مدرسة كاتدرائية تروندهايم، وهي شخصيّة واعية لذاتها وقادرة على معظم الأشياء. وليس أمام إنغريد بارأوي أيّ خيارٍ آخر سوى أن تفتح الرسالة وتقرأها.

فتحت إنغريد الرسالة وقرأت «عزيزتي إنغريد»، كما لو أنهما صديقتان: «أمل أن تسمح لي بمخاطبتك بنبذة شخصيّة، فأنا لم أقترّب عملياً من أيّ

شخصٍ مثلما اقتربت منك في ذلك الصيف الغريب في فولهايم أو في منزلك في بارأوي في الخريف التالي. لا أستطيع أن أنساك، ولا أعرف لماذا؟».

كانت افتتاحية رائعة، شعرت إنغريد معها بالحرج.

شرحت ماريان كيف ساعدتها حميمية إنغريد في التغلب على مسألة فقدان طفليها، اللذين غرقا في جليد بحيرة تونشون. تذكرت إنغريد اسميهما، اللذين لم تكن ماريان قادرة على نطقهما عندما قابلتها أول مرة، أما الآن في هذه الرسالة فقد ذكرتهما ماريان بسهولة مريحة، هل فقدان المرء لأطفاله شيء يمكن التغلب عليه، تساءلت إنغريد التي رفضت قبول فكرة أن الزمن يشفي كل الجروح، وأن الزمن قاسٍ إلى هذه الدرجة، لكن من الواضح أن ماريان قد خبرت ذلك كله.

وربما هناك تفسيرٌ أيضاً: فهي لم تحصل على «وظيفة مهمة في مدرسة الكاتدرائية» فحسب، بل التقت أيضاً برجلٍ جديد، مهندس يُدعى أولاف. ونال أولاف نصيبه كاملاً من الوصف في الرسالة. فهو طويل القامة ونحيل، كستنائي الشعر وعينه زرقاوان. شخصٌ يقظٌ وحكيم، كان جندياً في الجيش النرويجي أثناء الحرب، وهو في مثل عمر ماريان، وقد ورث مؤخراً منزلاً كبيراً على أحد التلال المحيطة بمدينة تروندهايم، حيث يعيش الزوجان الآن في ظروف جيدة، هذا ما ورد حرفياً في الرسالة.

وصفت ماريان طريقها إلى العمل، الذي تقطعه سيراً على الأقدام عبر جسر فوق نهر نيدلفين، والأشجار المحيطة بالقبة الشهيرة التي فات إنغريد رؤيتها عندما كانت في تروندهايم. كما قالت شيئاً عن عادات الأكل وعن حديقة الفاكهة والتوت، وعن معمل لتصنيع العصير والمخللات في

بلدة تدعى هوبي. كان واضحاً منذ البداية أنّ الرسالة برمتها مكرّسة لتخبر إنغريد أنّ كلّ شيء يبدو سلمياً وناجحاً ويتناقض تماماً مع كلّ ما يتعلق بالحرب.

استرخت إنغريد، لكنّها ارتعشت مرّة أخرى عندما قرأت أنّ ماريان تزور من وقتٍ إلى آخر والدها في المزرعة الصغيرة على ضفاف بحيرة تونشون، ليس من أجل أن تغرق في الحزن والشعور بالذنب، بل من أجل أن تستمتع برؤية البحيرة والحقول والمروج التي نشأت فيها، مراعٍ طفولتها، وليس مراعٍ طفولة أطفالها.

وتضمّنت خاتمة الرسالة مأمورية لإنغريد: كتبت ماريان، في المقام الأول (تساءلت إنغريد ماذا تعني: في المقام الأول) من أجل الإبلاغ (إبلاغ؟) أنها في سن التاسعة والثلاثين قد أنجبت طفلةً جميلة، وتريد أن تدعو إنغريد. إلى حفل تعميدها، الذي سيقام في كاتدرائية تروندهايم الشهيرة في الأحد الثالث من شهر أيلول.

ستكفّل ماريان بتكاليف بطاقة سفر إنغريد ذهاباً وإياباً، وقد تأكّدت من تكلفتها وحسّمت الأمر (؟) وبرضاً عميق (أنت تستحقّين)، بما أنهما قرّرا تعميد المولودة الجديدة، باسم إنغريد، على اسم إنغريد ماريان بارأوي (من أين حصلت على اسم أمي؟).

باختصار: لم تأتِ الرسالة على ذكر الرجل الذي جمعهما في زمنه، ألكسندر الروسي، لا وجود له، وهو منسيّ تماماً مثل طفليّ ماريان.

بقيت إنغريد جالسةً هناك مدّةً طويلة، وهي تتلفّت حولها. قرأت الرسالة من جديد واكتشفت أنّ مجرد التفكير في ألكسندر ما يزال قادراً على الإخلال بتوازنها، يتسبّب في إغمائها تماماً.

نهضت وسارت نحو الشمال من جديد، لكن بخطواتٍ سريعة جداً، شعرت بذلك، فأعادت ضبط تنفّسها، وسرعة خطواتها، ووصلت إلى الرصيف الجديد بقرار لم تنجح في الوصول إليه صباح هذا اليوم، لكنّها حسمته الآن.

كان يوهانس وابن عمّتها، لارس، جالسَيْن على الرصيف يتحدّثان. نظر لارس إلى الأعلى، أوماً برأسه، ثم عاد إلى يوهانس الذي تنهّد وقال كلاً، ينبغي أن يمضي الآن، فإذا تأخر فسيصبح الحليب حامضاً. أين الأولاد؟ سألت إنغريد.

قال لارس دون أن يلتفت إليها، إنهم على الشاطئ.

تمتم يوهانس بالجواب نفسه، ثم نهض واقفاً، ونظر حوله.

يجب أن يكونوا هنا فقط، قالت إنغريد، ثم استدارت وصعدت الطريق باتجاه البيوت، بينما تبحث عيناها عن الأطفال. كان الثمانية في الأسفل على الشاطئ عند سقيفة القارب. سمعت ضحكاتهم وصراخاً غير مفهوم من أوسكار. وكانت كايا التي ستتمّ عامها الخامس قريباً تشرح شيئاً ما لماتياس، الذي يستمع ويهزّ برأسه. والتوءمان يتراشقان بالماء، وهانس وفريدريك يفعلان أمراً ما خطيراً في حفرة في الرمل، بينما كان مارتين كعاداته يركض بينهم جميعاً غير عارف ماذا يفعل. يا إلهي، فكّرت إنغريد، ما الذي يحدث لي؟!

ماذا تقصدين؟ سمعت صوت قبطان سفينة الحليب من ورائها.

فردّت عليه إنّ بوسعه اصطحاب الولد في نزهة داخلية، ثم ذهبت لتطهو الطعام الآن.

تمتم يوهانس بشيءٍ لم تستطع سماعه. عندما استدارت صوب البيت،
رأته يصعد السفينة ويشغل المحرّك. لارس يقف على الرصيف ويمدّ له
الحبل الذي يبدو كافياً لربط السفينة في هذا الطقس الجيّد. تلك كانت آخر
مرّة يرون فيها يوهانس هارتفيسن.

دخلت إنغريد وطلبت من باربرو أن تسخن ماءً، الكثير من الماء. خرجت عائدةً إلى الشاطئ وجلبت كايا وماتياس، وبهدوء نزعت الثياب البالية كريهة الرائحة عن الوافد الجديد وشاهدت جسده النحيل بارز العظام. حمّمته النساء في جرن الاستحمام في مطبخ البيت القديم. بدا التحميم كأنه معموديّة - بدأته بصابونة اليدين وقطعة قماش، باربرو البارعة، عمّة إنغريد البالغة من العمر ستّة وخمسين عاماً وأكثر سكّان بارأوي ثباتاً، والوحيدة بينهم التي لم تتساءل في يومٍ من الأيام ما إذا كانت هناك جزيرةً أخرى، عالمٌ آخر.

ثم إنغريد نفسها، التي تخصّصت ونظرت إليه بقلق. وبعدها كايا، التي رمقته بنظرة حسدٍ، فهي تعشق الاستحمام. وسوزانا أيضاً - ابنة إنغريد، أو ابتها بالتبني، اعتماداً على طريقتنا في تصنيف الناس وفقاً لأقذارهم. حدّقت سوزانا في ماتياس وقالت: يا إلهي، ياله من هيكل عظمي! أمسكته من زنديه وسألت إنغريد ما إذا كانت هي نحيلةٌ مثله عندما وصلت إلى بارأوي.

كنتِ سمينّةً كخزيرة، قالت إنغريد.

ضحكت سوزانا بسخرية، وسألت إنغريد ماذا سيحدث تالياً، وما إذا قد فكرت في إعادة الولد إلى أبيه غريب الأطوار.

«سنفكر في ذلك» - قالت إنغريد - «فهو ليس ابننا».

عادت سوزانا إلى جدّيتها فجأة وقالت إنها لا تستطيع ذلك.

ما الذي لا تستطيعين؟ سألت إنغريد، فنظرت سوزانا عالياً إلى باربرو التي كانت قد نهضت واقفةً وقاطعت ذراعيها فوق صدرها، كأنها تعبر عن توافق الرأي بينهما.

سنفكر في الأمر، قالت إنغريد ثانيةً، وطلبت من سوزانا أن تذهب إلى كارفيكا وتأتيها ببعض الملابس التي لم يعد يستعملها أحد.

لم ينطق ماتياس بأيّ حرف، لكنّه فهم تماماً عندما طلبت منه إنغريد أن ينهض واقفاً ثم ينحني إلى الأمام، وأن يجلس ويضرب الماء بيديه. تفحصت جسده بدقّة، أسفل الرأس، الظهر، الساقين والقدمين، لكنّها لم تجد أيّ جرح أو كدمة. وأخذ يهزّ شعره المغسول للتوّ في كلّ مرّة تسأله فيها ما إذا كان يشعر بالألم.

بعد الاستحمام وارتداء الثياب النظيفة تحرّك وركض وفقاً لأوامر كايا، وعلى العشاء أكل أكثر من الجميع، واحتفظ بالطعام في فمه، وهو ينقل بصره بين كايا ولارس، الذي يحبّ أن يأكل هنا في بيت طفولته وليس في المنزل الجديد الذي بناه هو وفيليكس في كارفيكا. والآن كان لدى لارس سؤال لماتياس: كم عمرك؟

خمس سنوات.

كانت تلك أولى كلمات ماتياس في بارأوي، ولن تُنسى أبداً.

مضغ ببطء كرات اللحم مع المرق البنيّ والبطاطس. قالت كايا إنها على وشك أن تكمل عامها الخامس. حوّل لارس نظره إلى إنغريد وقال بين لقمّتين إنها قد تلقت اليوم رسالة، مَنْ هو المُرسِل؟

قالت إنغريد إنها من ماريان فولهايم. فكّر لارس قليلاً ثم سألها ما إن كانت هي السيّدة نفسها التي جاءت إلى هنا قبل عامين. هزّت إنغريد رأسها.

تابعوا أكلهم.

أراد لارس أن يعرف ماذا تريد تلك المرأة؟

قالت إنغريد إنها تدعوها إلى حفل معمودية ابنتها في تروندهايم. ضحك لارس بصوتٍ عالٍ.

انفتح الباب، ودخلت زوجته، سلمى، وسألته ما إن كان لم يعد يحبّ طعامها، لأنّ هذه ليست المرّة الأولى.

ابتسم لارس وقال إنّ الطعام اليوم في المطبخ القديم لحمٌ، وهو قد سئم أكل السمك.

لكنّك أنت من اقترح أن نأكل سمكاً اليوم، قالت سلمى مستاءة، وجلست على صندوق خشبي وغطّت وجهها بيديها، ثم أبعدتهما وثبّتهما أمام وجهها مثل مروحتين كأمانة على أنّ هذا الشجار الزوجي قد انتهى، أو علّق، وعندما وقع بصرها على ماتياس، سألت هل سيبقى هذا الألماني هنا؟

قطّبت إنغريد حاجبيها، وتأكدت من أنّ الأطفال لم يسمعوا شيئاً. تابع لارس مضغه في صمتٍ فصيح، ووضعت سوزانا أدوات المائدة من يديها

ببطء وعَضَّتْ على شفتها السفلى وفكّرت في قول شيء ينبغي التفكير فيه عميقاً قبل نُطقه.

لم تكرّر سلمى سؤالها، لكنّها نهضت واقفةً، من الواضح أنها كانت تبحث عن مبرّر للخروج، وضعت يدها على سيخ الموقد النحاسي، ثم نظرت إلى رؤوس أصابعها وخرجت وهي تقول إنها أرسلت التوءمين إلى الحظيرة، والأولاد إلى حديقة الثدييات لإخراج العجول.

لم تكن سوزانا قد فرغت من التخطيط لما تعتزم قوله، عندما نهض لارس وشكرهنّ على الطعام لأوّل مرّة. طلبت إنغريد من كايا أن تُري ماتياس ألعابها، ولحقت بلارس إلى الخارج، كان قد بلغ الجسر عندما صاحت وراء ظهره العريض إنه ينبغي أن يُسكّت سلمى، وإنّها ينبغي ألا تكرّر تلك الكلمة هنا.

استدار لارس وقال: أيّ كلمة، الألماني؟

طلبت منه إنغريد أن يسكّت.

سار لارس بهدوء وهو يحرك رأسه حركاتٍ يمكن أن تشير إلى أنّ إنغريد، لسوء الحظّ، هي المالك الشرعي للجزيرة، لكنّ من دونه هو وفيليكس ما كان من الممكن أن يعيش أحدٌ هنا، إنغريد ملكةٌ على الورق فحسب.

أخذت إنغريد زمام المبادرة وسألته ما إذا كان ينعت فريدريك، ابن سوزانا، بالألماني؟

توقّف لارس، عاد إليها وحدّق في وجهها، عرفت إنغريد أنّ نظرتّه تنبع من قلبٍ مُثقل، وقد كان أقصر منها بمقدار رأس فقط.

أتستطيعين أن تكرّري ما قلّتي؟!

فقلت إنغريد ببرود إنّ تلك الكلمة ينبغي ألا تتكرّر.

ماذا تقصدين؟

أمّلت إنغريد في أن تعطي لارس ما يفكر فيه، بما أنه وضع فريدريك تحت جناحه منذ قدوم الولد إلى الجزيرة، وحوّله إلى بارأويّ مثل البقية. ويشركه الآن في صيد الرنجة والصيد بالشباك بين المواسم، جنباً إلى جنب مع أبنائه من صلبه، هانس ومارتين. لدى لارس، اليوم، ثلاثة أولاد لا ولدان.

فقال لارس: وماذا عن كايا؟

ماذا عنها؟

فتمتم، باستخفاف متصنّع، إنّ كايا سرعان ما ستصبح الطفل الوحيد على الجزيرة دون أب.

ابتسمت إنغريد بمرارة وقالت إنها أخبرته من قبل عن والد كايا، أسير الحرب الروسي، هل نسي ذلك؟
كلّا.

جيد أنك لم تنس.

ماذا تقصدين؟

قالت إنغريد إنهما ينبغي أن يجلسا.

هنا؟

نعم، هنا على الأرض.

جلسا، وقالت إنغريد إنها هي نفسها كانت متشككة في نسب كايا، وعندما ولدتها فقط عرفت فيها عيون والدها.

نعم، لقد سمعت، قال لارس، وترك بصره يستقرّ على سفينة صيد الحيتان الراسية في مرساها، العمود الفقري للجزيرة وفخرها المثلث بالديون.

ماذا سمعت؟

أنت تعرفين.

كلّا، لا أعرف.

تلوّى لارس. سألته إنغريد ممّن سمع، بصرف النظر عمّا يعرف أو لا يعرف.

سوزانا.

لكنّ سوزانا لم تعرف أيّ شيء. فسألته إنغريد ما إن كان قد سمع عن هنريكسن عندما جاء إلى الجزيرة برفقة ضابط ألماني واغتصبها، وضربها حتى أوشكت على الموت، وهكذا فقدت ذاكرتها واضطّرت إلى قضاء عدّة أسابيع في المستشفى. في لحظات الضعف كانت تفكر أنّها، لسوء الحظّ، استعادت ذاكرتها، وفي لحظات القوّة، مثل الآن، تفكر أنّها، لحسن الحظّ، قد استعادت ذاكرتها.

هنريكسن؟ سأل لارس متفاجئاً.

نعم، هنريكسن.

لم تقل شيئاً عن هنريكسن.

«أعرف» - قالت إنغريد - «هذا لأنّها لا تعرف شيئاً».

رأت تضرّجاً مشووماً يزحف عالياً إلى الجذور الزرقاء للحيته. حرّك لارس ذراعيه في تعبيرٍ عن اليأس وعدم التصديق.

إذاً، لقد كان هنريكسن؟

كرّر الاسم مرّةً أخرى. ثم قال: إنه يستعيد مكانته من جديد.

هزّت إنغريد برأسها. فقد سمعت أنّ ضابط الشرطة السابق، وبعد فترة من التواري المُخزي، عاد إلى الظهور بين الناس مرّةً أخرى، وعلى الأرجح على أمل أن يكون النسيان قد شغل مساحةً أكبر في القرية لدرجة أنّه حتى النازي القديم يمكن أن يستمتع بالسلام. وفي بداية هذا الربيع، جرى تعيينه أيضاً خادماً للكنيسة، من قبل القسّ الجديد، المؤيّد للغفران والنسيان. المنصب ليس مهماً لكنّه مصدر رزق. حتى إنّ هنريكسن لم يفقد حقّه في التصويت، على الأرجح لأن لا أحد تجرّأ على الشهادة ضده. أطلق لارس ضحكة غضبٍ ويأس، نهض وتابع سيره نزولاً. صاحت إنغريد في إثره: أنت لن تفعل شيئاً!

أجابها لارس دون أن يلتفت إنها ينبغي أن تسترخي، سينتهي كلّ شيء قبل طلوع الضوء.

سألت إنغريد: ماذا؟

قبل طلوع الضوء، قال لارس ثانيةً وتابع نزول التلّة.

كان صيفهم غزير المطر وكثير العواصف. لكنّ الطقس في الأسبوع الماضي كان جيّداً. فقد جفّ العشب، نمت البطاطا، الثياب تجفّ على الحبال، البحر مثل لوح زجاج، وغداً سيهطل مطر، كما عرفت إنغريد. كانت سوزانا واقفةً على التّراس مقاطعةً ذراعيها فوق صدرها، متسائلةً لا متحدّية. تجاوزتها إنغريد ودخلت إلى المطبخ وقالت إنّ على الصغار الذهاب إلى الحظيرة ليتعلّما من التّوءمين كيف تُحلب البقرة.

أنا أستطيع أن أحلب، قالت كايا.

فقالت إنغريد: إذاً بوسعك أن تُري ماتياس كيف يفعل ذلك. وكان ينبغي غسل المكان هنا.

كانت سوزانا قد دخلت وراءها وسألت ما هذا الاختراع الجديد، فقد غسلته هي وباربرو هذا الصباح، حتى إنهما كشطتا الدرج.

طلبت إنغريد من سوزانا أن تجلس، وبلهجة جعلت من الصعب عليها أن تبقى واقفة. غرقت سوزانا في الكرسي، لكنها لم تتخلص من تعابير وجهها المبهمة حتى وبّختها إنغريد لأنها أخبرت لارس عن واقعة هنريكسن معها أثناء الحرب. صوّبت سوزانا نظرة باردة إلى باربرو التي كانت واقفة تجلي الصحون متخفية.

سكبت إنغريد ماءً في إبريق القهوة وقالت لسوزانا وهي توليها ظهرها ألا تقلق من تكرار تلك الكلمة المتغطرة ثانية.

الكلمة التي أزعجت سوزانا فعلاً.

استدارت إنغريد ونظرت إلى سوزانا، وقالت لها بهدوء إنها قد كذبت عليهم في ما يخصّ عمر فريدريك عندما وصلت إلى الجزيرة، وإن إنغريد قد جعلت من نفسها أضحوكة عندما حاولت تسجيله بعمر ست سنوات في المدرسة.

سألتها سوزانا بصوتٍ خفيضٍ وهي تنظر صوب النافذة، ما إذا كانت إنغريد تعرف ذلك طوال الوقت.

أجابت إنغريد إنَّ المعلم في هافستاین أراد أن يرى شهادة الميلاد، لكنها لم تستطيع أن تُريها له، فبحث شخصياً، لكنه لم يجد فريدريك في السجل المدني.

استمرّت سوزانا بالتحديق عبر النافذة. نشفت باربرو يديها وتمتمت بأنها ستذهب لترى ماذا يفعل الأولاد.

بمجرد أن ذهبت باربرو، أوضحت إنغريد لسوزانا أنه اعتباراً من الآن فصاعداً انتهى كلّ حديث عن من أين جاء الأطفال المختلفون، لأنه حتى ربّنا لا يعرف.

ناحت سوزانا وقالت إنها لا تستطيع البقاء هنا بعد اليوم، لأنّ بارأوي لم تعد تُحتمل.

فردّت إنغريد: لقد قلت هذا من قبل.

لكنّ الطقس كان جميلاً.

تعالِي!

حملتا فنجانَي القهوة إلى الخارج وجلستا على غطاء البئر، من حيث تستطيعان أن تشرفا على الجزيرة كلّها وترى أنّ الأولاد قد حرّكوا العجول، لكنّهم اختبئوا بعد ذلك لفعل أمرٍ ينبغي ألا يراه أحد. كانت كايا وماتياس يتعثّران حول برك التورف، وأوسكار في إثرهما. صرخ أوسكار عندما أزعجته كايا. صاحت إنغريد على ابنتها أن تترك الصبيّ بحاله. التفت ماتياس إلى الورااء ونظر إليهما في الأعلى. خرجت باربرو من الحظيرة وهي تدفع أمامها قربة الحليب النهارية صوب البئر بجانب سقيفة قارب لوفوتن حيث يحفظون الحليب بارداً هناك.

شربت سوزانا القهوة، وسألت إنغريد ما إن كانت قادرة على حفظ سرّ، وما إذا كان بالإمكان ائتمان السلطة العليا في الجزيرة على شيء ينبغي التصريح عنه لاحقاً، وإلا فالأفضل أن تنسى الأمر.

هزّت إنغريد رأسها، وأبلغتها سوزانا أنّ فريدريك ليس ألمانيّ النسب، بل ابنُ أحمقٍ نرويجيّ انفصلت عنه قبل أن تلتقي جندياً في مرقص في أوصلو حيث كان يلتفّ حوله حشدٌ من الفتيات من الشمال: خادّات، مربّيات، عاملات مصانع، نعم لقد كان جندياً ألمانياً.

لكنّه كان لطيفاً مع سوزانا وفريدريك أيضاً.

وقيل المزيد عن هذا «العمّ»، كما كان يدعوه فريدريك، ثم بعض التفسيرات الطويلة عن سبب اضطرار سوزانا إلى الانفصال عنه، في المرحلة الأخيرة من الحرب.

لقد سمعت إنغريد كلّ ذلك من قبل، ولم تعد مهمّةً باستكشاف حقيقته.

سألتهما ما هو الذي لا يُحتمل في بارأوي.

لم تجب سوزانا، لكنّها كرّرت عبارتها بأنّ إنغريد لن تستطيع إبعاد الصبيّ عنها مرّة أخرى.

سألتهما إنغريد ما إذا كانت تفكّر في نفسها، عندما جاءت إلى بارأوي لأنّ أمّها تخلّت عنهما هي وفيليكس.

كلّا.

هل أنت متأكّدة؟

هزّت سوزانا كتفها.

صاحت إنغريد مرّة أخرى على كايا أن تكفّ عن إزعاج أوسكار. وهذه المرّة أيضاً كان ماتياس فقط من نظر إليهما. أمسكته كايا بيده وقادته نحو البوابة في السياج الأول. ركض أوسكار خلفهما. فزادا من سرعتهما،

وخلفاً أوسكار وراءهما. نظرت إنغريد إلى البحر بحثاً عن سفينة الحليب، وانتابها شعور أنه وبصرف النظر عما فعلته خلال هذا اليوم، فإنها ستندم عليه. لكن رسالتها الجوابية إلى ماريان فولهايم، أصبحت شبه ناجزة في دماغها، والمسألة هي كم من الوقت ستستغرق لكتابتها، فإنغريد لن تذهب إلى أيّ معمودية في تروندهايم.

ناولت فنجان القهوة إلى سوزانا، ثم نزلت إلى الرصيف الجديد، حيث كان لارس وفليكس قد وضعوا اللمسات الأخيرة على بعض براميل الرنجة، وقالت: يبدو أن يوهانس لن يعود اليوم. فأجاب لارس، حتى دون أن يترك غطاء البرميل الخشبي: إذاً، سيبقى الولد عندك هنا. ليس بإمكانهم رميه في البحر أيضاً.

مشت إنغريد بضع جولاتٍ على الشاطئ، ولاحظت أن الماء في البئر الذي يخزنون فيه الحليب كان في أسخن مستوياته، فزادت عليه سطلين من ماء البحر، وجالت البحر ببصرها من جديد أيضاً دون أن ترى أثراً لسفينة نقل الحليب، سفينة يوهانس هارتفيسن وصاريها المميّز، ودون أن تسمع هدير محرّكها المميّز: ساعة الأرخبيل. كان كلّ شيء هادئاً.

صعدت إلى حديقة الثدييات واستغرقت وقتاً أطول من المعتاد في جمع الأولاد، وهذه لعبة شاقة لكنّ محبّبة لديهم، تركض وراءهم وتمسكهم واحداً تلو الآخر وترفعهم عالياً، وبضمنهم فريدريك. الاستثناء الوحيد الآن هو هانس ذو الأربعة عشر عاماً، والذي أصبح سريعاً جداً، لكنّه لا يعرف بعدُ ما إذا كان عليه أن يصبح حليفاً لإنغريد، أم يبقى صغيراً مطاردًا، الأمر الذي عرفت إنغريد المراوغة كيف تستغلّه على أحسن وجه.

تعالى وامسكينا! تعالى وامسكينا!

تركض إنغريد مثل فتاة صغيرة تعرف أين تمسك وتدغدغ كلّ واحد لتستخرج منه أعماق الضحكات والصراخ السعيد، الحدّ الفاصل بين ما

يحبّونه وما يحتملونه. لم يكن لدى أيّ من البالغين الآخرين القدرة على جمع سبعة، والآن ثمانية، من الأشبال الأشقياء في مثل هذه الأمسية الصيفية الرائعة. ولا حتى هانا، الحكيمة، التي استمدّت قوّتها من الله. كانت هانا صارمة وجديّة، لقد فقدت حسّ الفكاهة واللعب منذ فترة طويلة وغرقت في العمل وقراءة الكتاب المقدّس. أما إنغريد فقد عزّزت قوّتها من ذكرى الفراغ الذي ساد الجزيرة عندما لم يكن فيها صغار، وجزيرة ليس فيها صغار، هي ليست بجزيرة.

عندما انتهت جرعة اللعب باللهات والآهات، طلبت إنغريد من هانس وفريدريك أن يحملها مارتين إلى كارفيكا، بينما طلبت من التوءمين أن تسجبا أخيهما الصغير أوسكار، وحذّرتهم من جرّه أو معاقبته. وفعل الجميع ما طُلب منهم، عارفين أنّ لإنغريد أيضاً طاقتها، رغم أنّهم تمنّوا لو تُطيل اللعب أكثر قليلاً، حتى الليل، لأنه حتى إنغريد كانت مرنة في هذا الأمر في ضوء الصيف.

وضعت إنغريد ماتياس في غرفة كايا، حيث يوجد سريران معلّقان على الجدارين المتقابلين وبينهما مقعد جلست عليه وراحت تقرأ في كتاب كايا المفضّل «أوف وهوف» حتى نامت الفتاة الصغيرة قبل أن يقع الخنزيران البطلان أوف وهوف في محنة في البحر.

بقي ماتياس مستلقياً في سريره وهو يحدّق في السقف. سألته إنغريد بماذا يفكر.

رمش بعينه، ولم يردّ عليها.

قالت إنغريد إنه ينبغي أن ينام الآن. وهنا نطق ماتياس جملته الأولى، طلب من إنغريد أن تتكّرم عليه وتقرأ القصة له من جديد.

قرأت له القصة، وحرصت أن تكون اللغة صحيحة تماماً، ثم طلبت منه أن ينام. فهزّ برأسه.

نزلت إنغريد إلى المطبخ، حيث باربرو جالسة في الكرسي الهزاز بلا حراك وفمها مفتوح، فيما سوزانا تحيك كعب جورب. تبادلتا النظرات؛ لكن لم تقل أيّ منهما شيئاً. صعدت إنغريد ثانية إلى الطابق العلوي ودخلت إلى الصالة الشمالية، استلقت في السرير ونامت بلا أحلام حتى أيقظها الصراخ.

كان ماتياس يعاني من الكوابيس.

دخلت إنغريد إلى الغرفة وجلست على المقعد بين السريرين، لكنها لم توقظه، بقيت جالسة تستمع إلى صبيّ غريب ينادي على أمه، منشار يقطع في الصخر، وكان عليها أن تتحمّل، أن تتحمّلها هي وهو، لترى كم هما قويّين.

استيقظت كايا. وضعت إنغريد يدها على جسد الصبيّ المتعرق، أيقظته وأخرجته من تحت البطانيات، ثم حملته وفتشته من جديد، دون أن تعثر على جروح، وفحصت جمجمته تحت ضفائر شعره المتشابكة، التي عرفت أنها ينبغي أن تقصّها له، ولم تجد أيضاً ما كانت قد تجاهلته أثناء الحرب عند نيلفي، تلك البنت الصغيرة من فينمارك، التي ماتت هنا، أمام عيني إنغريد، عندئذٍ هدا الصبيّ.

أخذت إنغريد الصغيرين معها إلى الصالة الشمالية، واستلقت بينهما

في السرير المزدوج. ناما بهدوء حتى استيقظت إنغريد بسبب ضوء الشمس وصوت باربرو، التي كانت تحاول إشعال الفرن في المطبخ في الأسفل.

تركت الطفلين مستقلقيين، نهضت ونزلت إلى الطابق السفلي، وتأكدت من أنه لا يوجد تغيير في الطقس على أي حال، وأنه لا رياح اليوم، كما كان بالأمس، وقبل أمس، والبحر مثل ملاءة، والعشب فوق الجسر ساكن أيضاً. دخلت سوزانا أيضاً.

أعددت الطاولة وأكلن وشربن القهوة في صمت.

كان الصغيران ما يزالان نائمين عندما خرجت باربرو إلى الحظيرة، وسوزانا إلى سقيفة الرصيف لتغسل الملابس. وفي صباح كهذا تقوم إنغريد عادةً بنزهة عبر الحدائق لترى ما الذي يمكنهم فعله في الأرض البور.

بدلاً من ذلك نزلت إلى كارفيكا وخبطت على الباب. كانت تقرع هذا الباب باستمرار. خرجت سلمى مغتاظة كالعادة من الزائر الذي يقرع الباب ولا يدخل مباشرة. دخلت إنغريد ولحقت بها إلى المطبخ، حيث تجلس عائلتان على طاولة حجمها ضعفا حجم الطاولة التي لديها في البيت القديم. التوءمان تلبسان فستانين متشابهين وشريطة صوف حمراء في ضفائرهن المتدلّية عن الجانبين، وبينهما يجلس أوسكار. على الجهة الأخرى يجلس هانس ومارتين وفريدريك، ابن سوزانا، الذي لا ينتمي لهذا البيت، لكنّه يعيش هنا في الغرفة ذاتها مع هانس ومارتين منذ أصبح هذا البيت جاهزاً للسكن. والجميع يجلسون على كراسي.

لارس وفيليكس جالسان بسروراليهما التحتيين الصوفيين عند طرفي الطاولة. هانا وسلمى واقفتان بجوار كرسيّهما، فنجان قهوة بيد واليد الأخرى تحت المرفق كأنها تسنده.

اعتقدوا أنّ إنغريد جاءت لتحلّد المهام والواجبات اليومية لسكّان هذه المملكة السماوية، مثل مشكلة الدخان الذي يتسرب من الفرن والتي ينبغي إيجاد حلّ عاجلٍ لها. وهذه مهمّة لارس وفيليكس، التي يؤجّلانها باستمرار لأنهما لا يطيقان الأعمال البريّة، ولا التفريط بالطقس الجيّد من أجل رحلة إلى القرية لتسوّق بعض المشتريات الضرورية، ما الذي يفترقه البيت؟

هذا فضلاً عن جزّ العشب.

لكنّ إنغريد لم تخض في هذا الأمر. جلست على كرسي دفعته هانا صوبها وقالت إنهم ينبغي أن يقرّروا ماذا سيفعلون بماتياس. سأل فيليكس عن السبب، وتلقّى إيماءة صامتة من لارس.

قالت إنغريد إنّ والده لم يعد ليأخذه.

ماذا تقصدين؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

لم تكن تعرف.

سأل لارس ما إذا كانت قد أصبحت مُتنبئة بالمستقبل، ومن فهموا عبارته حاولوا أن يضحكوا. لم تضحك إنغريد. لقد ناولتها هانا فنجان قهوة وتعاملت معه كما يستحقّ بينما كانت تفكّر، شربت الرشفة الأخيرة، وضعت على المكان الوحيد الفارغ من الطاولة، ثم نهضت عن الكرسي الذي خُصّص به وقالت إنها ستذهب مع التوءمين إلى الحظيرة، الآن على الأقل قالت ما ستفعل.

نظروا إليها ثم تبادلوا نظراتٍ في ما بينهم متسائلين.

أخذت إنغريد التوءمين معها إلى الحظيرة، وجلست تحلب البقرات معهن، أربع بقرات، يتناقص حليبهن كلّ يوم. أطلقن البقرات في حديقة الورود، شغلن جهاز فصل القشدة، حملن القشدة إلى المنزل وأنزلنها إلى القبو تحت الجليد، وأخذن الحليب إلى البئر في سقيفة لوفوتن وسكبنه في السطل نصف الممتلئ من الأيام الماضية.

قالت إنغريد إنهّن سينزلن إلى الصيد في البحر الآن، فهلّلت التوءمان. صعدن على متن القارب، وجدّفن بين الشُعَب المرجانية. أنا على المجدافين، وإنغريد وصوفيا كلّ منهما مع خيط الصيد. حصلن على سمكة بولوك صغيرة، وسمكة قدّ تزن قرابة أربعة كيلوغرامات.

قالت إنغريد إنهّن سيجدّفن إلى المنزل الآن.

سمكة واحدة؟ قالت صوفيا محبطة.

نعم، سمكة واحدة.

لم ترغبا في العودة، أرادتا البقاء مع إنغريد، حتى في البحر.

تحدّثت إنغريد عن الشريطة الصوفية الحمراء في جدائلهما. نعم، لقد ضفرت إحداهما شعر الأخرى، ووضعتا شريطة الصوف الذي صبغتهما بنفسيهما باللون الأحمر، تعلّمتا ذلك من أمّهما. سألتهما إنغريد ما إن كانتا سعيدتين للعودة إلى المدرسة من جديد. قالت صوفيا إنها سعيدة. نظرت إنغريد إلى أنا، لكنّ أنا تجاهلت السؤال، ونظرت نحو الأفق. حطّت زاعة ماء على بعد بضعة أمتار من القارب وراحت تتمايل بكسل مع الماء. رفعت أنا المجداف فجذّفت الزاعة مبتعدةً بتكاسل. استندت إنغريد إلى الوراء، على مقدّمة القارب، ونظرت إلى السماء الزرقاء وسألتهما عن

رأيهما بالصبيّ الجديد، ثم استوت في جلستها كي ترى وجهيهما بوضوح أثناء الإجابة.

تبادلتا النظرات ثم هزّتا كتفيهما.

فسألتهما إنغريد ما إن كان أحد الصّبيان قد قال رأيه بالصبيّ الجديد.

تبادلتا النظرات مرّة أخرى، وبدأت في حيرة من هذا السؤال.

ضحكت إنغريد وقالت إنّ الآخرين ينتظرونهم الآن.

جدّفن صوب الشاطئ. نظّفت إنغريد سمكة القدّ وملّحتها، وطلبت من التوءمين الذهاب إلى كارفيكا وإبلاغ سلمى وهانّا أن يحفرا خندقاً من أجل موقدٍ جديد لتدخين السمك.

أمضتا النهار كلّه في هذا العمل. حفرتا الخندق، وبنتا جدراناً وقاعدة الموقد. بدا مثل بيت كهربائي، وضعتا غطاءً من الحجر الإردوازي فوق الخندق، مثل سقف نفق، ردمتهما بالتراب ثانية، ووضعتا فوقه برميل رنجة، فبدا مثل برجٍ منتفخ فوق كنيسة صغيرة، أو نفقٍ تحت الأرض.

استخدمتا الأغصان والتورف لإشعال النار في الموقد، ووقفتا في صمتٍ عميق وهنّ يشاهدن الدخان يختفي مثل ثعبان تحت الأرض، ثم يتصاعد أبيضّ وناعماً من برج الكنيسة الصغيرة، ليس كمفاجأة بل كما يرضي الجميع. جدّفت صوفيا وأنا مع إنغريد إلى سكوغ هولمن وقطعن هناك المزيد من أغصان العرعر. شطفت إنغريد الملح عن سمكة القدّ، ربطتها بخيط وعلّقتها بشكلٍ قطريّ على شريط البرميل العلوي، وأغلقتها بالغطاء.

أشعلن النار بأغصان العرعر أيضاً.

وهكذا انقضى النهار تقريباً دون أن يتحدث أحدٌ عن يوهانس قبطان سفينة الحليب، ولا عن ابنه ماتياس، الذي أمضى معظم الوقت يلعب مع كايا وأوسكار، والذي لاحظت إنغريد أنه أكل صباح اليوم أيضاً أكثر من الجميع. ولاحظت سوزانا ذلك، وسألتها عن رأيها.

قالت إنغريد إنها لا تعرف.

سألتها سوزانا ما إن كانت خائفة.

لم تكن إنغريد تعرف أيضاً، وكرّرت سوزانا ما قالت في الأمس، إنها لم تعد تحتمل البقاء هنا.

حملوا حوضاً كبيراً ووضعوه على غطاء البئر، وأمروا الجميع بغسل الأوساخ عن أيديهم قبل الذهاب إلى طاولة الطعام. بهذه الطريقة أيضاً يمكن أن يختفي الإنسان في البحر. لا يمكن سبر غور البحر، وكقاعدة عامة يحطّم البحرُ بقوّة الغاشمة الإنسان، وفي مناسبات نادرة يغويه بسكونه.

انقضت بضعة أيام قبل أن يبدأ البحث عن يوهانس، وهو الوقت الذي استغرقه الناس للتساؤل عن غيابه عن جمع الحليب، وشركة الألبان للتساؤل عن عدم تسليم الحليب. وكثرت الألغاز حتى أمكن أخيراً العثور على السفينة عند التلال. كانت سفينة أشباح على مرأى من الجميع. لم يجدوا على متنها أحداً، ولم يعثروا على رسائل أيضاً، ولا خطابات وداع أو علامات على حادثٍ مأساويٍّ، فقط سفينة مقفرة، على متنها ثمانية عشر دلواً من اللبن الحامض في الحجرة، وزجاجتا كحولٍ فارغتان في مقطورة القيادة.

سحب أحد صيَّادي سمك الرنجة السفينة إلى القرية ووضعها في مرسى يوهانس هارتفيسن، الذي كان أيضاً مرسى سفينة والده. وظَّفت الشركة ربّاناً جديداً، مع سفينةٍ جديدة وخطّ رحلةٍ أطول، لكن ليس بمثل دقة توقّيت يوهانس، وهكذا سيبقى ذِكرُ يوهانس ليس فقط بسبب ضياعه في الحياة وفي البحر، بل لدقة مواعيده أيضاً.

بعد أكثر من شهرٍ بقليل، وفي طقسٍ عاصفٍ للغاية رسا قاربٌ في

الخليج شمال بارأوي مع صرخة استغاثة، كما اعتقدت إنغريد التي أسرعَت في الخروج لاستقبال القادم. هبط من القارب القسّ الجديد صموئيل، الابن الأصغر للقسّ السابق المميرغيت؛ سار بخطا واسعة وقامة منتصبّة في وجه الرياح، طالب يدرس اللاهوت وقد أتقن اللغة الألمانية بعد سنوات من الدراسة الحماسية في بادربورن في ألمانيا. يُقال إنّ صموئيل استطاع فهم الحضارة والبربرية معاً، وهو على كلّ حال قد ترعرع هنا ولم يكتفِ فقط بفكّ رموز إنجيل لوثر، بل عرف أيضاً كيف يستمتع بخط النسخ الرائع الذي كُتب به.

كحال معظم الأبناء، يختلف صموئيل عن أبيه في كلّ من مواعظه، ولياقته البدنية، والفرح والخوف. فقد كان والده مثل سرطان برّيّ سمين وبقلب أرنب. بينما كان صموئيل قويّ البنية، ولا يتأثر بدوار البحر. وهو في الأربعين من عمره الآن، ولديه ميلٌ لمقارعة الخطوب والعواصف، كان يحبّ أن يوقظَ فريقاً من البحّارة الأقوياء الخاملين وأن يقوم برحلة بحرية في أيّ وقتٍ، ربما بشكلٍ خاصّ عندما ينبغي أن يبقى في المنزل، من أجل عبور البحار دون شراع، كما أحبّ مفاجأة أبناء رعيّته بزياراتٍ لا يتوقّعونها. لقد صنع لنفسه اسماً في هذه المهمة المتهوّرة، إنه واحدٌ منا، فكّر سكّان الجزر، لذلك لا بدّ أن في ذهنه شيئاً ما لنا.

رفع البحّارة القارب، دعموه بمساند جانبية وربطوه بمزيدٍ من الحبال، وبحثوا عن مأوىٍ لهم في سقيفة القارب للاستمتاع بزوّادة الطريق، وتدخين الغليون، بينما إنغريد وصموئيل يجاهدان في صعود التلال في مواجهة الرياح، وعندما يصلان مدخل البيت الخارجي يخلعان الثياب المطرية، ويدخلان إلى المطبخ، حيث يمكنهما أخيراً التحدّث معاً.

يقول صموئيل: يا له من عالم رائع! ثم يمدُّ ذراعيه لباربرو ويعطيها ثلاث قُبَلٍ، رطبة، على خديها، لقد تعلَّم هذا التقليد في بادربورن. تثير هذه القبلات ضحك باربرو التي أحبَّت طبيعة القسّ المتهوِّرة، وطريقته في قول الأشياء الغريبة التي يتفوّه بها، فضلاً عن أنه أوكّل لها دوراً أساسياً في جوقة الكنيسة، فهي تشد هناك بوجهٍ متفتّح رائع كلّ آخر أحد في الشهر إذا سمح الطقس بذلك.

ملأت إنغريد إبريق القهوة ووضعت على الموقد، لقد فعلت ذلك حالما لمحتا الشراع الصغير في الخليج الشمالي واعتقدا أنه طائر نورس. لا، هل هذا نورس، كلاً، هذا... هذا.. إنه قارب.

تصبّ القهوة في ركوة التقديم، ويجلس صموئيل في الكرسي بجوار النافذة، كرسي إنغريد، ويقول كما هو الحال دوماً: لقد أخذت كرسيك يا إنغريد، كنت أسرع منك، وهل صحيح أنكم نشأتم هنا دون كراسي تجلسون عليها؟!

تبتسم إنغريد وتقول كلاً، هنا جلس الجميع على كراسيهم طوال طفولتهم. وتحتجّ على كلامه هذا باربرو التي لديها ذاكرة أطول من ذاكرة إنغريد في هذه الجزيرة، وتتلقّى مزيداً من الأسئلة المهمة عنها وعن إنغريد من صموئيل، الذي لا يطرق السبب الأساسي لزيارته قبل أن تضع إنغريد فنجان القهوة والصحن على الطاولة وركوة القهوة الساخنة وقطعتين من السكر باهظ الثمن. القضية تتعلّق بالولد المسكين، أين هو، بالمناسبة؟

تقول إنغريد إنه ليس بوسع الأطفال أن يخرجوا في هذا الجوّ السيّئ، لذلك هم مضطّرون للعب في سقيفة الرصيف الجديد تحت إشراف لارس وفيليكس، اللذين يعدّان الشباك، فقد اقترب وصول سمك الرنجة.

حسن، حسن، لكن الصبي بحاجة إلى وصي، فقد أصبح بلا أب الآن، وربما من الطبيعي أن تتولى إنغريد المهمة؟

لقد انتظرت إنغريد هذا التكليف بنافذ الصبر، وفكرت في إيقاظ سوزانا، التي تستغل سوء حالة الطقس كي تنام هرباً من حياة اليقظة، لكنها غيرت رأيها وقررت أنه لا يمكن إشراك سوزانا في هذا الأمر، وتقول لصموئيل إنها في الحقيقة لم تتوقع هذا العرض.

«هوني عليك!» - يقول صموئيل مطمئناً - «إنه مجرد إجراء شكلي».

تسأل إنغريد أليس للصبي جدان، وعددٌ كثير من الخالات هناك في الشمال في مزرعة عائلة ستورم، وهي تعرف خالته الصغرى، إليزابيث، وتعتقد أنها إنسانة لطيفة ويمكن أن تكون موثوقة، إلا إذا كانوا غير راغبين جميعاً في أن يأخذوا الصبي؟

كلّا، لا يريدون ذلك.

تسأل إنغريد عن السبب وتريد إجابة صادقة، لكنّ القسّ يقول إنه لا ضرورة لإعادة كلّ ما يعتقد الجميع أنهم يعرفونه عن أصل ماتياس، إنه طفلٌ حربٍ، نتاج سوء فهم، لكنّه يبقى إنساناً، مثلك ومثلي، يا إنغريد. لا بدّ أن يكون له وليٌّ أمر، مثلنا، فأنا وليُّ أمري في السماء، بالمعنى المجازي. يفلسف القسّ كلامه حتى يعتقد أنّ الرسالة مناسبة، ويختم بالطلب من إنغريد أن تضع توقيعها أسفل ثلاث أوراق مبلّلة متشابهة، وهو يسحبها من محفظة قماشية، نسخة تحتفظ بها إنغريد، ونسخة تبقى في سجلّ الكنيسة، والثالثة لدى سجلّ النفوس المدني، كما فهمت إنغريد، وقّعي هنا أسفل هذا السطر.

بالقلم والحبر.

حسنٌ، أنا محتارة الآن، تقول إنغريد وبها رغبةٌ في أن تسأل ما علاقة القسّ بكلّ هذا، وهي تعرف أنّ صموئيل أمضى سنوات الحرب في ألمانيا، فهل يمكن أن يكون هذا هو سبب حماسه الشديدة في هذه القضية؟

لكنّ القسّ يتصرّف كأنّ قبول إنغريد وتوقيعها أمرٌ مفروغ منه، ينهض وينظر من فوق كتف باربرو إلى شرائح الخبز التي تُعدها، ويشني على نوعية الزبد الممتازة التي يحافظون عليها هنا بعيداً في البحر، من يستطيع أن يصدّق ذلك.

تجلس إنغريد وتمسك بالقلم بين أصابعها وهي تُحضّر سؤالها الثاني، الذي هو إعادة صياغة للسؤال الأول.

الآن على الأقلّ تسمع أنّ هناك أسباباً مالية لعدم رغبة آل ستورم في أخذ الصبيّ. فقد كشفت جمعية الصيادين أنّ غرفة التجارة، وألفرد ستورم أحد أعضاؤها، ما تزال تسيطر على آلية بيع الكثير من الأسماك في المنطقة، وتتلاعب بالفرق بين الثمن الذي يدفعه ألفرد ستورم لصيادي الأسماك والثمن الذي يجنيه من بيع الأسماك بعد ذلك، وكان قد خفّض مؤخراً الثمن الذي يُدفع للصيادين، فأثار له ذلك فضيحةً مدوّية، وترتّب عليها مشكلاتٌ ماديّة كبيرة له. إضافةً إلى أنه سيزوّج بناته الأخريات ويفكّر في مصاريف الزفاف العالية جداً. غير أنّ هذه جميعها أعداؤٌ سخيّفة بالنسبة لإنغريد، وهي تفهم فقط أنها لا تفهم سبب ما يجري، لكنّ صموئيل ينهي كلامه بأنه يثق في رجاحة عقلها، وأثر فيها هذا القول كثيراً.

تغمس إنغريد ريشة القلم في الحبر وتوقع الورقة الأولى، ثم الثانية والثالثة، وتنفخ على الحبر بطريقة احتفالية، وتترك الأوراق على الطاولة ليراها صموئيل ويعبر عن استحسانه.

يقول صموئيل إنّ الصبيّ سيكون بخير هنا. كيف سيتعامل مع فقّدين
مريّين، فقد الأمّ أولاً، ثم فقد الأب، وكلاهما اختفاءً غير مفهوم؟!
تقول إنغريد إنهم لم يخبروه عن أبيه بعد. وماتياس لم يسأل البتّة.
وحتى ذكره لأمه يتراجع كلّ يوم. وما يزال يعاني من الكوابيس، لكنّ هذه
تراجع أيضاً، يأكل جيّداً، لقد وجد نفسه في مكانه هنا، ووجد كايا.
ومع الأولاد الآخرين؟

تسير الأمور على ما يرام، وعندما يطرأ أمرٌ ما، يتدخّل هانس.
لماذا؟

عندما يتشاجرون، والأطفال يتشاجرون.
كثيراً؟

يصبح أوسكار قاسياً أحياناً، أعتقد أنه غيور.
بسبب كايا؟

ربما.

لا يتساءلون من أين جاء؟

يمكن أن تتخيّل إنغريد الإجابة: «من أين جاء؟»، لكنّها تتمهّل وتقول:
من سفينة الألبان.
جيّد، يقول القسّ.

ثم تتساءل إنغريد ما إذا كان ينبغي أن ينادوه ماتياس، كما هو مكتوب
في هذه الأوراق، وأنها تعتقد أنه اسم جميل، أليس كذلك؟
يقول صموئيل إنّ الأمر سيّنتهي إلى اسم ماتياس على أيّ حال، لأنّ
هذا ما اعتاد عليه الناس.

لكن ربما يستحق الأمر المحاولة، سوف يفكر في الأمر. وهناك النسبة أيضاً، إذا نظرت إنغريد إلى خانة النسبة، ويضع إصبعه تحت خانة الاسم، ستري أنه لا يوجد نسبة، وتستطيع أن تقرّر بنفسها ما إذا كان سيحمل نسبة هارتفيسن أو بارأوي، لا وجود لآل ستورم هنا.

ولا وجود لآل ستورم في عالم إنغريد أيضاً، لكن أليس من الأفضل تأجيل أمر النسبة الآن، فللنسبة عواقبها.

ينظر صموئيل باهتمام، ويرى أن لهجة إنغريد أصبحت أكثر حزمًا، وقد تعلّم عدم محاولة التدخل فيها كثيراً، خصوصاً عندما تسأم إنغريد من كونها بسيطة، أو مطيعة.

يسألها عن السبب، لكن بلهجة أكثر اعتدالاً.

تهزّ إنغريد كتفيها، تنهض وتسكب في فنجانيهما مزيداً من القهوة. يترك صموئيل الأوراق على الطاولة، ويقول إنّ الأمر سيّان بالنسبة للكنيسة، وربما من الأفضل انتظار قرار السجل المدني أيضاً، أو أن يقرّرا الأمر الآن، أن يحمل ماتياس نسبة هارتفيسن، وهكذا لن يستطيع أحد أن يقاضيهما بسبب التغيير.

تغيير؟

أجل، بالطبع سيغيّرون اسمي الوالدين، رغم أن الأمر سيستغرق بعض الوقت قبل أن يتمكنوا من إثبات أن يوهانس قد مات، لكن لا بدّ من أن يقرّروا بيع السفينة، لأنّها بحاجة إلى عناية.

تحّدق إنغريد، هناك كثيرٌ من الأشياء غير المتوافقة. من هذه الأشياء غير المتوافقة هي أن عائلة ستورم لا تريد أن تأخذ شيئاً من أموال يوهانس المتبقية.

«كلاً، لاحقاً لآل ستورم هنا» - يقول القسّ بنبرة رسمية - «وهم يعرفون هذا جيداً. رغم أنّ ابنتهم بالتأكيد تعيش في مكانٍ ما، هل تعرفين أين؟».

لا تعرف إنغريد أيّ شيء عن أولافيا. لكن هل صموئيل متأكد من ذلك؟

أجل، سيرث ماتياس والده، لذلك ينبغي أن تكون نسبته هارتفيسن وليس بارأوي، من أجل السلامة فقط.

من أجل السلامة؟

هذه مجرد تعابير، يا إنغريد، فالمرء لا يعرف.

أفهمك.

ليس لأنّ ملكية يوهانس قليلة، فالمزرعة صغيرة ومهملة، فيها الكثير من الصخور والتلال والمستنقعات، لكنّ السفينة جيّدة. يمكن أن يحاول صموئيل بيعها ووضع ثمنها في حساب بنكي يرثه ماتياس هارتفيسن عندما يبلغ سن الرشد، مع فوائده أيضاً.

وهذا أيضاً شيءٌ غير مفهوم.

تستجمع إنغريد نفسها وتقول إنّها ليس على القسّ تكليف نفسه عناء بيع السفينة. لكن ألا يوجد أيضاً في سقيفة يوهانس بقايا من عدّة الصيد مثل الخيوط والشباك، والحبال والأقفاص، ألم يكن صيّاداً قبل أن يبدأ بنقل الحليب؟

أعتقد ذلك.

أجل، أجل، تقول إنغريد ثانية، وتضيف إنّها ينبغي أن تتحدّث مع لارس، فقليلةٌ هي الأمور التي يمكنها أن تقرّر فيها هنا دون نصيحة لارس وموافقته.

تبتسم باربرو لسماع هذا الكلام، ويتفهّمه القسّ جيّداً. بعد ذلك يقول إنه سينزل إلى كارفيكا ليلقي التحيّة على هانّا. تقول إنغريد إنّ عليه أن يتبّه على رقبتّه، فقد بدؤوا يسمّون الطريق: رقبة أوسكار، منذ أن وقع أوسكار هناك عدّة مرّات وتأذّت رقبتّه.

يقهقه صموئيل، يضع ورقتين في الحقيبة القماشية، يلبس حذاءه والثوب المطرّي، ويصافح إنغريد وباربرو مودّعاً. تشكرانه، إنغريد وباربرو، ليس على وضعهما الجديد كأوصياء، بل على الزيارة. ثم يأتي سمك الرنجة.

تأتي أسماك الرنجة حالما تهدأ العاصفة، تأتي مثل رشقات نارية مفاجئة وبكميات هائلة، تتميز العديد من الشباك، وكمية الأسماك تفوق قدرتهم على تنظيفها، لذلك يضطرون إلى قطع رؤوسها وانتزاع أحشائها قبل تمليحها في البراميل، تعمل الجزيرة كلها على مدى يومين تقريباً، فريق في الجنوب وفريق في الغرب.

هنا وسلمى هما الأكثر حماسة للعمل، فأسماك الرنجة بالنسبة لهما ليست تحرراً محبباً من عمل المطبخ والأرض فحسب، بل هي أيضاً تلم شمل طفولتهما في لوفوتن. وهذا عمل يجب إنجازه بأسرع ما يمكن، لأنه لا يوجد عمل يقتضي السرعة في الإنجاز مثل أسماك الرنجة الميتة. حتى أصغر الأطفال ينضمون إلى العمل، وكل واحد منهم يملأ رבעه الخاص، تحت إشراف صارم من الكبار، لأن البراميل الصغيرة أيضاً ستدخل إلى مخزن الجزيرة.

لأول مرة يحصل أوسكار على مهمة ينتصر عليها، يتلقى التعليمات، والتوبيخ، مثل رجل. وكذلك الأمر بالنسبة لماتياس، وإن كان أكثر عناداً، لكنه عنيد ومثابر، ويعمل كتفاً إلى كتف مع كايا، التي تريد أن تفعل كل

شيءٍ بطريقتها الخاصة وينبغي أن تبقى تحت أنظار هانا باستمرار، وكايا تحترم العمة هانا كثيراً، وهانا صاحبة أخفض صوت في الجزيرة.

يستغرق البحر يومين كي يفرغ من أسماك الرنجة. وفي غضون ذلك يملؤون سبعةً وعشرين برميلاً من أسماك الرنجة ويصفونها متجاورةً على هذا الرصيف الحجري العظيم. يجري فتح ثقب البراميل، من أجل ملئها بمحلول الملح ثم سدّها من جديد، ويدحرجونها نصف لفّة مرّة واحدة في اليوم، ويملأونها بمزيد من محلول الملح. ثم يصلحون الشباك، يرتّبون الأدوات، يغسلون السفينة والرصيف وكلّ الملابس البلاستيكية قبل أن يُسمح للجميع بالعودة إلى منازلهم والاستسلام لأعمق نوم في الخريف. فقط لارس وفيليكس لا ينامان.

القمر هلال، والبحر قطعة بلّور، والغيوم منخفضة والرؤية ضعيفة، والنائمون لا يرونهما بالطبع، يُنزلان القارب إلى البحر ويختفيان في ذلك الصمت على نيّة كسر وصية القسّ المميرغيت بضرورة نسيان الآثام والأخطاء التي اقترُفت أثناء الحرب؛ لم يكن لارس وفيليكس روحانيين بقدر ما كانا فلسفيين.

لا ترى إنغريد أيّ السنة لهب فوق الجزيرة الرئيسية عندما تقوم بأول جولة لها في الفناء صباح اليوم التالي، فالغيوم منخفضة جداً، والرؤية سيّئة أيضاً. لكنّها ترى أقرب الشّعْب المرجانية وتلمح أوترهولمن كصورة عادية على شبكية العين، وترى المسارات المظلمة بين الأعشاب الرطبة من سقيفة القارب إلى كارفيكا، غير أنّ هذا كلّهُ لا يعني لها شيئاً، وتقرّر أنّ اليوم سيكون هادئاً.

يجب تحميم الأطفال وفركهم جيّداً بعد العمل في تنظيف الرنجة وتمليحها، لذلك تذهب إلى سقيفة الصيف، تملأ البرميل وتوقد النار تحته قبل أن تعود إلى المطبخ وتضع القهوة وتجلس في كرسيها بالقرب من النافذة، في يومٍ لن يُوظف فيه أحد، لكن ماذا عن الأبقار؟

إنها تدرّ حليباً أقلّ الآن. تنتظر إنغريد، وتفكّر في الرسالة التي لم تكتبها بعد، الرسالة إلى ماريان فولهايم، التي عمّدت ابنتها قبل بضعة أسابيع في تروندهايم. لقد كتبت إنغريد ثلاث رسائل، ولم ترسل أيّاً منها. لكنّها لم تحرقها أيضاً، فقد كانت بمنزلة مسوداتٍ لشيءٍ بدأت تراه بوضوح.

تذهب إلى غرفة المعيشة، تفتح الدرج العلويّ في كمودينة والدها، تجلس وتكتب عزيزتي ماريان، كما لو أنهما صديقتان، وتعتذر لأنّها لم تستجب للدعوة، ولا تعزو الأمر إلى أنها كانت مشغولة جداً، أو أنّ الدعوة لم تصل بارأوي في الوقت المناسب، بل تكتب الحقيقة، وأنها قد صُدمت من الرسالة والمولودة الجديدة لدرجة أنها اضطرت أن تغيّر رأيها، وكتبت أيضاً أنّ ماريان تربكها.

يبدو الأمر غريباً، لكنّه مناسبٌ جدّاً بالنسبة لها.

لا تشير مطلقاً إلى غياب ألكسندر، لكنّها تخبرها كيف أنّ أحوال الأطفال، الذين تعرّفت عليهم ماريان عندما كانت هنا، جيّدة عموماً. لقد أحبّت كايا بشكلٍ خاصّ، لكنّها أحبّت التوءمين أيضاً وفريدريك. وتذكر لها إنغريد منصب باربرو الجديد في جوقة الكنيسة، وتخبرها عن موسم صيد الرنجة، وأنها أصبحت وصيّةً على صبيّ، اسمه ماتياس، يبلغ من العمر خمس سنوات. لكنّها لم تخبرها شيئاً عن الظروف التي أفضت إلى تلك الوصاية، لكنّها تبلغها تحيةً من وجودٍ في البحر ينعم بالسلام أيضاً

مثلما تنعم ماريان في منزلٍ فخّم به حديقة فواكه وتوت في منطقة التلال المنخفضة المحيطة بمدينة تروندهايم.

هل انتهت الحرب أيضاً في بارأوي؟
لم تنتهِ تماماً.

ينفتح الباب في الوقت الذي تغلق فيه إنغريد ظرف الرسالة، يدخل لارس الذي استحمّ للتوّ. عيناه حمراوان، وفي نظرتّه وتعايير وجهه جدّة غريبة قليلاً. ويقول إنه ربما حان الوقت لطرح مسألة بيع سفينة الحليب مرّة أخرى، فالطقس جيّد، هل إنغريد جادة في الأمر؟

تعتقد إنغريد أنّ الوقت ما يزال مبكراً، وأنه قد يكون هناك المزيد من أسماك الرنجة.

يقول لارس إنه لا ينوي إطالة المكوث هناك، سيتبادل بضع كلمات مع القسّ، وربما مع العمدة، وربما يذهبان لمعاينة مستودع يوهانس، فقد يكون هناك شيء مفيد.

تهزّ إنغريد برأسها وتطلب منه أن يرسل لها هذه الرسالة.
يقرأ لارس ما هو مكتوبٌ على الظرف ويتمتم: السيّدة، أجل، أجل، أجل.

تدقّ إنغريد النظر فيه.

فينظر إليها لارس مستفسراً، هل هناك أيّ شيء؟

لا مطلقاً، فقط اذهب. تعرف إنغريد أنّ الأسطول الموجود عند التلال ما يزال يفتّش عن يوهانس، أو عن بقاياها، لكن كلّاً، اذهب الآن!
يخرج لارس بابتسامته الجادة وينضمّ إلى فيليكس في الفناء، ويمشيان

نحو الرصيف دون أن تستطيع إنغريد عبر النافذة قراءة أي شيء خاص من ظهريهما أو مشيتهما، تكرر كل ما تبقى من قهوتها وتخرج إلى الحظيرة.

يقود فيليكس سالتهمامر عبر الفيورد بينما ينام لارس. يرسو بالقرب من رصيف يوهانس هارتفيسن، رصيف مهمل ومتداع، على الجانب الخارجي من الرصيف يوجد واقتان لا دعامتان، والطقس ما يزال هادئاً. يستيقظ لارس على صمت محرك السفينة، يتبادلان بضع كلمات، يذهب فيليكس إلى الفراش بينما يصعد لارس إلى بيت القسّ المبيرغيت ويسأل ما إذا كان صموئيل المبيرغيت في المنزل.

«القسّ ليس هنا» - تقول مدبرة المنزل التي يراها للمرة الأولى - «إنه مشغول بأمر الحريق».

حريق؟

نعم، لقد حصل حريق في القرية ليلاً. احترق منزل قائد الشرطة القديم هنريكسن، وقد جرى نقل العجوز إلى المستشفى في المدينة، فقد كان في حالة اختناق شديد.

يقول لارس إن هذا خبرٌ عظيم ويريد أن يستفسر أكثر عن هذا الأمر، لكن لا يوجد أخبار كثيرة عن الحدث فيذهب إلى متجر مارغوت، حيث يراها جالسة على كرسي بجوار الموقد تحيك جوارب لعددي كبير من أحفادها، بينما يتولّى ابنها ماركوس الإدارة الآن، مرتدياً مئزراً جلدياً عليه آثار دم ثور، وشراب، ومن جيب صدرته يظهر قلماً رصاص معلوكان. يتبادلان التحية وبعض الآراء حول الحريق، يعتقد ماركوس أن العجوز اللعين قد أضرم النار بيته من أجل الحصول على تعويض من التأمين.

بصعوبة ينجح لارس في اصطناع ابتسامة محايدة قبل أن يتدخل الزبون الواقف بجواره: «كلاً، ليس لديه تأمين». وهذا أمرٌ يشكّ فيه ماركوس، لأنه يعتقد أنّ هنريكسن لا يمكن أن يفوته أمر التأمين على منزله؛ ستنجلي الحقائق لاحقاً.

يشترى لارس الشراب، والقهوة وطحين الساغو والسكر، ويتلقط المزيد من الأخبار عن الحريق، ويلتقي في الطريق إلى متجر السمك بأحد معارفه. يتحدثان عن صيد الرنجة ويتفقان على أنّ الكمّيات كانت كبيرة، لكنّ الفترة كانت قصيرة جداً.

يسأل ما إذا كان لارس قد سمع عن الحريق؟

أجل، إنه لأمرٌ فظيع.

أنا لا أعرف عنه شيئاً.

يتابع لارس نزول التلّ، ويتحدّث في الأسفل إلى رئيس العمّال في مصنع الأسماك، ثم إلى المالك نفسه، وهو شابٌ يدعى فيغ، نحيفٌ لطيف وعلى وجهه ابتسامةٌ من المفترض أن يساء فهمها.

بالتأكيد، فيغ مهتمّ بشراء الرنجة من بارأوي. متى؟

يتفقان على وقت التسليم والسعر، ثم يعود لارس إلى بيت القسّ، ويسأل الخادمة واسمها ليز، ما إذا كان القسّ صموئيل قد عاد، فهو يرغب أن يرتّب معه اتفاقاً حول المعدات الموجودة في مستودع يوهانس هارتفيسن.

كلاً، لم يعدّ القسّ، لا يزال مشغولاً بأمر الحريق.

يسأل لارس ما إذا كان بوسعه انتظاره في الداخل.

تفضّل!

يجلس لارس على أريكة القسّ الجلدية، ثم على إحدى كراسيه الجلدية ويعدّ الدقائق على ساعة حائط بجوار الباب، حتى تصبح نحو عشرين دقيقة، فينهض ويذهب إلى المطبخ ويقول لليزا إنه لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك، ويطلب منها أن تذكر القسّ بالاتفاقية بينهما، لأنهم لا يريدون ارتكاب أيّ خطأ.

بالتأكيد، سوف تخبره بذلك.

يخرج لارس ثانية، وينزل مع مشترياته إلى سالتهامر، يوقظ فيليكس، يصعدان إلى بيت يوهانس هارتفيسن. هناك، يجدان الباب الخارجي مفتوحاً، مثل كلّ الأبواب على الساحل.

فيليكس هو الوحيد القادر على إضحاك هانّا، ويقال إنّ هذا هو سبب زواجهما. أما حقيقة أنّ فيليكس يقرأ الكتب وأنه غير مؤمن مثل هانّا المتديّنة جداً فلم تمنع انجذاب كلّ منهما للآخر وزواجهما. هو سيّد في البحر وهي سيّدة المنزل، لكنّ فيليكس يشعر الآن برعبٍ شبه ديني، ألا يتحرّكان بسرعة كبيرة هنا؟

أجل، يقول لارس.

يدخلان بيتاً لم تطأه قدمٌ مخلوقٍ منذ أن غادره يوهانس وماتياس ذات صباح باكر في نهاية شهر آب، والآن شهر تشرين الثاني على الباب. البيت ميت لا حياة فيه ورطب، إنّهُ قبرٌ بسقفٍ يرشح الماء منه. يقفان في المدخل بين المطبخ وغرفة الجلوس ويشاهدان بساطين متقاطعين فوق الأرضية، يشعران بالمزيد من الضيق، هذه بقايا حياة رجل قارب الستين من العمر، مسكنٌ إنسانيّ، وحياةٌ إنسانية تحجّرا لحظة خرج الأب وابنه من هنا وهما لا يعلمان أنهما يغادرانه للمرّة الأخيرة معاً.

هل أشعل أحدٌ من بعدهما النار في المواقد الباردة؟ هل مسح أحدٌ من بعدهما الغبار، أو ملأ الخزائن بالطعام؟
في الخزائن طعام. طعامٌ عفن.

هل رمى أحدٌ ما الطعام البائت، وخزّن سلعاً جديدة، وأبقى فقط على المعلّبات والمربّيات، جرار مربّيات أولافيا ستورم، وخطّ يدها على الملتصقات: مربّى عنب الثعلب، والكشمش الأسود، والتأريخ الخطأ؟
كلّا.

ليساً مضطّرين للصعود إلى العلّة ورؤية الأسرة ليتأكّدا أنّ كلّ ذلك مضى بلا رجعة. يصرّ لارس أنّ أحداً لم يعيش هنا، كما لو كان يبعد عنه سرباً من الذباب.

ماذا عن المخزن؟

لم يعيش أحدٌ في المخزن أيضاً. لكن هنا على الأقلّ توجد ثروة من الأدوات والمعدّات المفيدة والتي ما تزال صالحةً وستبقى صالحةً لسنواتٍ عديدة قادمة، مع العناية والصيانة المناسبة: خطافات، وشباك، وحبّال، ومجارف، وأشراك صيد، وبكرات خيوط، وسكاكين، جميع الأدوات التي استخدمها الناس على الساحل لنحت حضارة، على مدى ألف عام.

نعم، نعم، يقول لارس ويخبره أخيراً عن أخبار الحريق.

هو لم يمُت، يقصد هنريكسن، لكنّه على الأقل في المستشفى.

يتسم فيليكس ويسأله ما إن كانت هذه أمانةً جيّدة أم سيئة.

يهزّ لارس كتفيه ويقول ربما ليس لدى الرجل العجوز تأمينٌ أيضاً.

يسأله فيليكس ثانيةً ما إذا كانت هذه أمانةً جيّدة أم سيّئة.

يقول لارس إنه ينبغي اعتبارها نعمةً من الله.

يضحك فيليكس، ويتقدّم خطوتين داخل المستودع، ويمسك بمشبك خيوط صيد، ويلاحظ أنّ المسامير ليست صدئةً، وأنّ الوتر قويّ، يعيدها إلى مكانها ويمسح بأصابعه على خيوط شبكةٍ معلّقة على الجدار، يرفع لفيفة حبل. مكتبة سرّ من قرأ

يقول لارس إنّ عليهم أن ينتظروا، يعرف ذلك بنفسه. لا يقول فيليكس شيئاً.

لكنّي أرى سنداناً هناك.

يمشيان صوب ورشة عمل مهجورة، يغطّيها الغبار والخردة المعدنية، وبجانبتها سندانٌ حدّادٍ كبيرٌ جدّاً لدرجة أنه من الممكن أن يكون مسروقاً من ورشة عمل حديثة في المدينة، هذا سندانٌ لا ينتمي إلى هذا المكان على الإطلاق.

ينفضان الغبار عنه.

يقول فيليكس إنه يعتقد أنه قد رأى عربةً عند الجدار في الخارج.

يخرجان ويفحصان العربة. يقدران أنّ الأمر يستحقّ المحاولة، بمساعدة رافعتين، وخطّافٍ في عارضة السقف وحبلٍ قويّ، ينجحان في رفع السندان إلى داخل العربة، التي تكاد تنهار تحت ثقله. يجربان أولاً على الأرض فوق الرصيف مباشرة. تصل رافعة سفينة الحليب فوق الرصيف، لكنّها مخصّصة لأحمالٍ مثل دلاء الحليب، لذلك يسحبان سفينة يوهانس هارتفيسن إلى الأمام، وينقلان سالتهامر إلى الرصيف، برافعتها القادرة على رفع حوت المنك الذي يزن عشرة أطنانٍ، تسحب السندان فوق ألواح

الرصيف المتداعية بشكلٍ يندر بالخطر، إلى حافة الجرف، وترفعه مثل ندفة ثلج إلى سطح السفينة بين فتحة العنبر وقمرة القيادة، ثم يذهبان إلى مطبخ السفينة لشرب القهوة.

يلخص لارس انطباعاته عن رحلته عبر القرية، ويقترح أن يتجول فيليكس في القرية أيضاً. يخرج رسالة إنغريد من جيبه ويقول إن بوسعه الذهاب إلى مكتب البريد وشراء طابع لها وإرسالها.

ينظر فيليكس إلى ظرف الرسالة، ويتذكر هو أيضاً تلك السيدة في تروندهايم، شخصية مذهلة، ماريان فولهايم التي في ذلك الوقت أعطته قائمة بأسماء كتب استعارها من المكتبة في لوفوتن، وانذهل أكثر أيضاً من سرعة قراءته لها. وهي التي شجّعته أيضاً على التقدم إلى امتحان القبطان الساحلي، الذي اجتازه دون أن يضيّع يوماً واحداً في المدرسة.

يذهب فيليكس بالرسالة باتجاه مكتب البريد، لكنه يُظهر نفسه أولاً في متجر مارغوت ليُلقي التحية على صديقه ماركوس، الذي صادف أن ليس لديه زبائن الآن، ويقترح على فيليكس أن يصعدا معاً إلى موقع الحريق، ستأخذ مكانه مارغوت دون أن يعطّلها ذلك عن حياكة الجوارب.

لم يتبق سوى أنبوبٍ رأسيّ أسود اللون من منزل هنريكسن الذي كان فخماً ذات يوم، وهو أول منزل يُطلّى في الجزيرة الرئيسية، وقد طلاه والد هنريكسن، إيان الحرب الفاتئة، فأطلق عليه اسم البيت المطليّ، وما يزال كذلك من بين جميع المنازل القديمة.

الآن، لم يتبق من البيت المطليّ إلا السخام والرماد والجمر، كما احترق نصف مخزن الحطب، وتطايرت بضع شراراتٍ أخيرة من النار،

لكنّها توقّفت منذ فترةٍ عن إدهاش أكثر من عشرين متفرّجاً ما يزالون متحلّقين حول موقع الحريق، وهم لا يشعرون بالبرد هنا بالتأكيد.

يسمع فيليكس بعض التخمينات عن الحريق الذي ربما بدأ في القاعة الفاخرة، حيث يقال إنّ هنريكسن العجوز كان يشعل النار على مدار العام حتى يتمكّن من النوم في منتصف النهار في محيط دافئ، ومن المحتمل أنه نسي مصباح زيتٍ هناك ثانيةً.

يتأمل فيليكس المشهد أمامه بالهدوء الرواقي ذاته الذي يسم جميع المتفرّجين الآخرين، ويسمع رجلاً مسناً يقول إنّ العجوز الأبله قد أخذ معه إلى البيت بعض كتب الكنيسة، ليرسم شجرة عائلة هنريكسن. وقد التهمت النيران تلك الكتب أيضاً، لذلك ذهب القسّ إلى المستشفى لاستيضاح الأمر منه، فهذه الكتب تتعلّق بتاريخ القرية، على حدّ زعمه. آه، لهذا السبب لم نعثر عليه، يقول فيليكس.

لم نعثر على مَنْ؟

القسّ.

عاد فيليكس مع ماركوس إلى المتجر، وكان ماركوس يصرّ على أنهم يشهدون عملية احتيال على التأمين، لكنّ فيليكس لا يعلّق على كلامه، فهو لا يعرف هنريكسن، ولم يره قطّ. ويؤكّد أنه لم يكن هنا أثناء الحرب. يفترقان، ويذهب فيليكس إلى مكتب البريد، يشتري طابع بريد، وتخطر له فكرة. يستعير قلماً وحبراً من سفيتلانا وراء المنضدة، وهي امرأةٌ روسيّة ضخمة الجسم من فينمارك تُركت هنا وحيدةً مع أربعة أبناءٍ دون زوج، وهي من بقايا الحرب أيضاً، ويكتب تحيّة الخاصة لماريان فولهايم في

إحدى الزوايا الخلفية من ظرف رسالة إنغريد: «تحية صغيرة من فيليكس أيضاً، إن كنت تتذكرينني. تحياتي، فيليكس».

لكن اسمه وتحياته أصبحت مكتوبة مرّتين، وقد كتبهما رجلٌ يجيد القراءة، ولهذا يصبح الأمر غريباً للغاية، فيضع خطأً تحت آخر فيليكس، كما لو أنه يشير إلى نكتة متعمّدة، فيبدو الأمر أفضل على الفور. يدفع الظرف عبر المنضدة إلى سفيتلانا، التي تنظر إليها خطفاً ثم تضع عليها الختم وترميها في الكيس.

في طريق العودة ينظر فيليكس إلى المنزل الذي قضى فيه هو وسوزانا السنوات الأولى من حياتهما، وهو أفخم بيت في القرية، ومعدل المالك الجديد، حيث يعيش، الآن، فيغ مع زوجته وابنته. يشعر فيليكس بالحزن لرؤية المنزل مجدّداً.

لقد جرى طلاء المنزل من جديد، وأصبحت إطارات النوافذ رمادية اللون، ويتدلّى فانوس نحاسيّ براق من سقف قاعة المدخل ذات النوافذ رصاصيّة الإطارات، والتي يتذكّر فيليكس أشعة الشمس التي كانت تدخل عبرها بكلّ ألوان قوس قزح، وهو جالس على الأرضية في الداخل وممنوع من الخروج لأنّ والدته كانت تخاف من البحر، وهو الشيء الوحيد الذي يتذكّره فيليكس من تلك السنوات. وربما بعض اللحظات المشوشة أيضاً من والده، صاحب المصنع الذي أفلس وهرب من العار إلى الجنوب، من يدري، من يهتم. يتحرّك فيليكس قدر الإمكان عبر هذه الذكريات ويدرك أنه لم يكن بوسعها بأيّ حالٍ من الأحوال العيش في هذا المنزل، وأنه في الاختيار بين بارأوي وهذا البيت، كان سيختار بارأوي دون تردّد.

ماذا يفتقد؟

أضواء الطفولة وظلالها؟

كلّا، فهذه موجودةٌ في بارأوي حيث عاش هو وسوزانا تحت جناحي إنغريد. فيليكس ليس رجلاً عاطفياً، بل إنه يشعر الآن بالدفء الجيد والمنصف تجاه المهمة التي أنجزها، في الليل، وتجاه الحياة عموماً. وعندما يعود بأفكاره مرةً أخرى إلى منزل يوهانس هارتفيسن، يدرك الفروق الأساسية التي تفصل هذين المنزلين أحدهما عن الآخر، والتفاصيل غير المهمة التي تجمعهما. يترك أفكاره مع تلك الحالة الضبابية بين الحياة والموت، ويمشي على طول الشاطئ عائداً إلى سالتهامر ويوقظ لارس. يشرعان في العمل، ثم ينام فيليكس ساعةً بينما يُخرج لارس السفينة وعلى متنها سندان.

بعد أسبوعٍ جاء المزيد من أسماك الرنجة، التي لاحظوها فقط بسبب كثرة النوارس فوق البحر الهائج، وبسبب هذه الظروف الرهيبة كان ينبغي أن يبقى الصغار على الجزيرة، حتى هانس، الذي استشاط غضباً، إنه في الرابعة عشر ومن المفترض أن يذهب إلى لوفوتن هذا الشتاء، ومع ذلك لا يُسمح له بالمشاركة في صيد الرنجة هذا!

«ستبقى في بيتك!»، قال لارس ضاحكاً.

طلب الصبي من والده أن يدخن غليونه ويرحل.

وقفت إنغريد بجانب البرميل وفكرت في السؤال الذي سألته للتو، لكنّها لم تطرحه بعد على الصبيين، وأظهرت بعض التعاطف مع هانس في البداية، ثم أرادت أن تعرف رأيه في ماتياس.

استمرّ هانس في تكديس الرنجة في البرميل وجرف الملح كما يُجرف الروث في الحقل، ولم يفهم ما الذي تقصده إنغريد.

قالت إنغريد إنها قد أخطأت الاسم، فهي تقصد الرنجة.

حسنٌ.

انظر إلى الصغير منها.

نظر هانس إليها.

قالت إنغريد إنه خرج إلى البحر في الوقت المناسب، فتساءل: هل جئت العمّة إنغريد؟

أجل، لقد طلبت العمّة إنغريد منه ثانيةً أن يهتم بكايا وماتياس، كما أنها تريد أن تسمع رأيه بهذا الوافد الجديد إلى الجزيرة. إنه كلبٌ ضالّ، قال مارتين الذي كان واقفاً بجوار البرميل التالي. وقف فريدريك بجواره من جديد واكتفى بابتسامة ساخرة.

سألت إنغريد من هو الكلب الضالّ؟ نظر مارتين إلى ماتياس الذي يكافح مع برميله الصغير الجديد، وقال فريدريك بطريقة الناضجين إنه أحمرُّ حقاً.

اسمه ماتياس، قالت إنغريد.

أعرف، أعرف، قال هانس.

أتعني ذلك؟ قالت إنغريد لهانس.

ماذا تقصدين؟ قال وهو يحاول التركيز على صفوف سمك الرنجة. لاحظت إنغريد أنّ سلمى قد سمعت المحادثة، أو هذا ما تهياً لها، ولذلك انحنت صوب ماتياس وامتدحت عمله. نظر إليها ماتياس باستغراب، مثلما نظر هانس إلى إنغريد، لذلك قرّرت تعليق المحادثة وطلبت من كايا أن تطيع العمّة هانا، حتى إنّ كايا أيضاً نظرت إليها مندهشة، كما هو متوقع عندما يكون كلّ شيء على ما يرام.

قادر لارس وفيليكس سالتهمر بلا هدف حول كهوف الأمواج الرغوية، وهما يتنقلان بمختلف أدوات الصيد ويسحبان الشبكة في دوائر حيث اعتقدا أنهما يريان أسماك الرنجة تتحرك في تكهفات الأمواج في ما يشبه رقصة مرتجلة لسمكة تقترب من الجنون، فنجحا في صيد كمية كبيرة جداً وسحبها خلف السفينة إلى الرصيف، حيث وقف سكان بارأوي ينظرون بعيونٍ مندهشة إلى كيسٍ فضي يتدلى مثل شباك الجرّ بعد شدّ حبالها بإحكام.

ربطاً حزاماً حول الكيس وشرعاً يرفعانه، لكنّ العاصفة ضربته على الرصيف، فتمزّق وسط العواء والصراخ، لأنه في هذه اللحظة تناثرت غنيمة الصيد على الرصيف، وكان على سكان الجزيرة الركوع على رُكبهم لالتقاط ما تبقى منها بأيديهم.

أحضرا شباكاً جديدةً، وخرجا مرّةً أخرى، ونفّذا المزيد من عمليات الالتفاف، وحصلا على صيدٍ وفير، نجحا في إنقاذ جزءٍ كبير منه. لكنّ الشباك تأذت كثيراً مرّةً أخرى، وقد حلّ الظلام الآن. فقرّر لارس الانتظار، ربما تتلاشى العاصفة البحرية، وأنه أصبح من الضروري أن يحصلوا الآن على هذا الراديو اللعين، الراديو الذي لم يعد بوسع أحد أن يعيش دونه هنا، كما عاشوا هم.

عاد معظم سكان الجزيرة إلى منازلهم وناموا لبضع ساعات، بينما خرج فيليكس ولارس ثانيةً، وهذه المرّة مع هانس وفريدريك، الذي كان صغيراً في السن، لكنّ العاصفة كانت قد تلاشت فعلاً، وفريدريك يعيش هنا منذ أن كان في الخامسة -أو ربما في السادسة؟- وعمل مثل رجل. لكنّ، هذه المرّة، مارتين هو من تعرّض للظلم مرّةً أخرى.

اختفت أسماك الرنجة. وفي وقت متأخر من النهار وجدوا أنفسهم في المياه الضحلة شمال سكوغ هولمن، أي في الشعب المرجانية في بارأوي، أمضوا النهار كله وهم يحرقون الفيول، وماذا عن السونار، الاختراع النرويجي العبقري، المنظار الذي يمكنك من رؤية القاع على طول الطريق؟

لقد كان باهظ الثمن، مثل الراديو، مثل معظم الأشياء التي يفتقرون إليها. وصلت الشحنة الأخيرة، ووضعت على الرصيف في البراميل. وانتهى صيد الرنجة لهذا الخريف. وبدا واضحاً الآن أنهم قد دمروا بجنونهم أكثر مما ينبغي من الشباك، العمود الفقري لأي صيد مثمر، لكن لا بد من تحقيق التوازن بين الغضب والحكمة. كان لارس يمشي مكتئباً بين بقايا الشباك التي علّقوها لتجفّ على الرصيف الجديد، ليس لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يمكن أن يعوّضوا الخسائر، بل لأنّ الأمر كان محرّجاً، حتى مع وجود ستّة وأربعين برميلاً من الرنجة على طول الرصيف تحت المطر، فالعيون جميعها معلقة على لارس في هذا اليوم، خصوصاً عيون ابنه الأكبر، هانس، الذي بدأ فعلاً يفهم حقيقة الأمر كله، وكذلك مع وجود فريدريك ومارتين، الذي حاول أن يشمت بهم. لقد بلغ مارتين من العمر عشر سنوات، فرفعه والده عالياً فوق رأسه وأبقاه معلقاً هناك حتى توّسل العفو والرحمة.

يصل القسّ صموئيل إلى الرصيف بينما الجميع نائمون. وهو لم يأت هذه المرّة في القارب الرباعيّ، بل على متن سفينة صيد كبيرة. يصعد السلم إلى الرصيف ويقف هناك غير مرئيّ وهو يتساءل ما إذا كانت الجزيرة قد

غرقت، على الرغم من هذا العدد المثير للإعجاب من براميل الرنجة على هذا الرصيف الغرانيطي المهيّب، الذي يشير إلى عكس ذلك تماماً.

يصعد صموئيل الطريق تحت سماءٍ زرقاء، وشمسٍ منخفضة فوق البحر واليابسة، ورياحٍ لطيفة، ربما هي آخر تنهيدات الخريف الاستسلامية. لم يكن قد صعد نصف الطريق تقريباً، عندما انفتح بابٌ في المدخل الخارجي وخرجت منه إنغريد، تتلمّس سترتها الصوفية، وهي تهوّل صوبه حتى كادت تصطدم به، وتصافحه معذرةً ومرحبةً.

يصافح صموئيل لِيَقِيسَ رفاهية أبناء الرعية بمصافحته لهم. وقبضة إنغريد قويّة كالعادة، وهي مندهشةٌ من أنه يأتي في طقسٍ كهذا. فيبدو لا يشبه نفسه.

يضحكان ويصعدان إلى المطبخ، حيث باربرو جاثية على ركبتيها أمام الموقد، وتنفخ على الجمر. لكنّها تنهض لتتلقّى قبلاتها الثلاث. ويلى ذلك طحن القهوة، ولعبة الكرسي ومكعبي السكر، قبل أن يوضح القسّ الغاية من زيارته.

سفينة يوهانس هارتفيسن.

انتهى البحث عنه رسمياً الآن، ويُعتبر في عداد الأموات، حتى إنّه جرى تخصيص قبرٍ له في مقبرة القرية، مع صليبٍ، أبيض اللون.

يتلو صموئيل مونولوجاً مسموعاً عن مراسيم التّأبين غير التقليدية التي أقامها تحت المطر وحيداً يوم الثلاثاء الماضي، كما لو أنه بحاجة إلى إعادة النظر في الأمر مرّةً أخرى، إلى وجود جمهور، هذا التقليد المفقود على الساحل، لدفن أولئك الذين اختفوا، بالمعنى المجازي، لدفن ذكرى إنسان.

هذا لا يعني أنّ ما فعله صموئيل في حالة يوهانس هو سابقة تُسجّل له. لأنه يوجد على ساحل فينمارك الكثير من المقابر التي تحتوي على صلبان «مجهولة الاسم»، وهي حالاتٌ عُثر فيها على بقايا بشرية على الشاطئ أو في الشُّعْب المرجانية، بقايا بشرية مجهولة الهوية دفنها السكّان المحليون بطريقةٍ كريمة. فهناك شيءٌ تحت الصليب الأبيض سيتحوّل ذات يوم إلى تراب، ولن يُذكر بشخصٍ محدّد، لأن لا أحد يعرف ذلك الشخص.

لكن قل لي، يا إنغريد، ألا ينبغي أيضاً أن يحصل من اختفوا على قبر، نقطة ثابتة على الأرض، إذا جاز التعبير، يمكن أن يزورها الثكالي لتخفيف أحزانهم؟

بالطبع، تعتقد إنغريد أنّ هذه فكرةٌ رائعة، لكنّها ليست واثقة جداً من أنها يجب أن تبدأ مع يوهانس هارتفيسن، الرجل الذي لا يفتقده أحدٌ تقريباً على وجه الأرض.

القسّ: عندما تمشين في مقبرة، يا إنغريد، هل تشعرين بأنك تمشين على الأجداد؟ كلاً، بالتأكيد، يمتنع المرء عن وطء القبور الحديثة، حيث دُفن شخصٌ ما مؤخراً. لأننا نعتقد أنه من المبكر جداً فعل ذلك، لأنّ المدفون هناك لم يتحوّل إلى تراب بعد. لكن عندما يصبح تراباً، يتحد ذلك التراب مع الذكرى، من نوع ذكرى يوهانس ذاتها. يقول صموئيل ويتلفّت حوله كمن يفتش عن استنتاجٍ مفهوم، وهو يرشف رشفةً صغيرة من القهوة. وتجد إنغريد نفسها مضطّرةً للتفكير في نيلفي التي ماتت هنا أثناء الحرب، والتي كادت إنغريد تدفنها بيديها ودموعها، وهي ما تزال تعني بقبرها مع إحساسٍ بالذنب لن يفارقها، كانت نيلفي تشبهها كثيراً، نيلفي التي لم تنعم بالحياة التي تعيشها إنغريد.

يعتقد صموئيل أنّ لاهوته الجديد هو الذي دفع إنغريد إلى البكاء، فيضع يده على ذراعها ويكرّر إنّنا مجرد بشر، يا إنغريد، لقد حان الوقت ليتعلّم أن يزن كلماته، جميعنا لدينا كلماتنا، وقد يقول المرء ما يعتقد ككلمة معقولة، بينما يشعر الآخرون أنها تحفر في جروحهم، قبل أن يغلق فمه أخيراً ويمكن لباربرو أيضاً أن تجلس.

تجلس في حضرة القسّ؟

أجل، يمكن للجميع أن يجلسوا في حضرة صموئيل، لقد تفرّد بذلك من بين القساوسة، منذ متى وهو هنا؟

منذ أربع سنوات وتسعة أشهر، تقول إنغريد نافذة الصبر، ويُسرّ لهما صموئيل كيف اعتقد في البدء أنه لن يكون سعيداً في هذه البقعة من البلد، لكنّه يعتقد الآن أنه سيمضي حياته كلّها هنا.

تكاد باربرو تسأله ما إذا كان لديه خططٌ للزواج، لأنّها لاحظت أنه يطارد بنظراته الأخت الكبرى لأولافيا، أنا كارينا ستورم، التي تنشد في كورس الكنيسة أيضاً. وأنا كارينا أيضاً تلاحق صموئيل بنظراتها، لكن من لا تلاحقه بنظراتها؟ ولهذا تهتمّ باربرو بالأمر، لكنّها تكتفي بالجلوس إلى الطاولة ذاتها مع القسّ وشرب القهوة معه.

ماذا عن السفينة؟ تقول إنغريد كاسرة الصمت.

نعم، لقد كان الجوّ حارّاً في أواخر الصيف، وبدأ يتحسن الآن. لقد صعد صموئيل على متن السفينة، وأدار المحركات والمضخّات عدّة مرّات، لكن لديه أشياء أخرى يهتمّ بها، لذلك ينبغي بيعها، إذا كان سكّان بارأوي غير راغبين في الاحتفاظ بها؟

تقول إنغريد إنهم لا يرغبون في ذلك.

حسنٌ، إذًا. في هذه الحال المشتري موجودٌ، ويتساءل ما إذا كانوا يعرفون دانييل في مالفিকা، ابن أدولف؟

أجل، بالطبع، تعرف إنغريد دانييل جيّدًا، وتعرف أنه ليس بحارًا، لذلك هو لا يحتاج إلى معدّات يوهانس، ولذلك يرغبون في الاحتفاظ بتلك المعدّات.

ينظر إليها صموئيل.

تفهم إنغريد أنه كان ينبغي ألا تستخدم كلمة «الاحتفاظ»، فهذه كلمة القسّ، فتقول بدلاً منها إنهم يرغبون في الاستفادة من عدّة يوهانس. يهزّ صموئيل برأسه.

تسكب إنغريد مزيدًا من القهوة وتسأله ما إن كان قد لاحظ قضبان الحديد على الشاطئ بالقرب من رصيف يوهانس، صدئة ومدفونة بين الطحالب والأعشاب البحرية، كانت مزلقًا في ما مضى، والآن تريد إنغريد أن تستفيد منها.

القضبان الحديدية؟

أجل، تلك الخردة.

لارس هو الذي أخبرها عن هذه القضبان، عندما جلب السندان، وهم ليس لديهم مزلق في بارأوي، ولطالما افتقدوا له.

طبعًا، طبعًا يقول صموئيل، هذا آخر ما يمكن أن يثير اهتمامه، وفي ما يخصّ ثمن القارب، فإنّ دانييل يعرض على المالك الشرعي اثني عشر ألفًا.

تكاد إنغريد تسقط عن الكرسيّ.

المالك الشرعي هو ماتياس، ولقد فتحت حساباً باسمه في بنك الادّخار، ويمكن أن أرّتب أمر البيع، ثم تأتين أنت توقعين عقد البيع وتأخذين معك دفتر البنك.

تستعيد إنغريد توازنها من جديد وتهزّ رأسها، لكنّها تواجه مشكلات جديدة مع نسبة ماتياس.

يطمئنّها صموئيل أنّ اللوصيّ حقّ التصرّف الكامل في الحساب، حتى يبلغ الصبيّ الحادية والعشرين من العمر، حتى لو كانت نسبتها بارأوي ونسبته هارتفيسن.

تضطرّ إنغريد للنهوض. حتى لو لم تزل الكثير من الأشياء غامضة، فالأمر الواضح هو أنّ باربرو ينبغي ألا تعرف المبلغ الحقيقي. وتفكّر إنغريد في تقديم القشدة مع القهوة، والقشدة موجودة في القبو في امتداد البئر، لذلك يجب أن تذهب باربرو لإحضارها، وتستغلّ إنغريد غيابها لتتقن القسّ بأنّ المبلغ المذكور ينبغي أن يبقى بينهما وبين دانييل، لأنه إذا كان القسّ يتصوّر أنّ هذا المبلغ سيبقى على حاله على مدى الستة عشر عاماً القادمة، كذلك سيتصوّر الناس الآخرون، لذلك فالأفضل ألا يعرفوا ذلك.

يظهر الانزعاج على وجه صموئيل لأنه لم يفكّر بهذه الطريقة، فينهض ويمسك بيد إنغريد، ثم يعود ويجلس ثانية بعد هذه الشكليات الفريدة من نوعها، وينتظر عودة باربرو بالقشدة. يشربون المزيد من القهوة مع شرائح خبز وقشدة، ثم يتناولون وجبة الفطور معاً. وفي منتصف النهار، بينما ينام بقية المنزل. ويتصرّف صموئيل مرّة أخرى كإنسانٍ عادي، يسأل عن حال الصبيّ؟

تقول إنغريد إن الصبيّ بخير لكنّه قليل الكلام، ولا يتكلّم تقريباً إلا مع كايا، وكلاهما يتهامسان عندما يكون آخرون بجانبهما، كما لو أنّ لديهما أسراراً.

يهزّ صموئيل برأسه ويقول إنّ الصبيّ محظوظٌ بوجوده هنا.

ماذا؟

نعم، فوضع هؤلاء الأطفال غير جيّد في البلد الآن، والسلام جيّماً بالنسبة لهم، لذلك من حسن حظّه أنه هنا. ويقول أيضاً شيئاً عن المصالحة والنسيان الضروريين. تعتقد إنغريد إنها لم تسمع أيّ كلمةٍ حول أنها منقذة ماتياس، بل إنّ جزيرة قد تكون منقذته، وبما أنه نطق أولى كلماته هنا في بارأوي فمن المفيد له أن ينتمي إليها لا إلى بقية العالم.

لارس في مزاجٍ طيّبٍ اليوم، يقف أمام المنزل بعد نوم ليلة كاملة في آخر ليلة مشمسة من السنة ويرى سفينة صيد كبيرة حول الشُّعب المرجانية الشمالية وهي تبحر مبتعدةً صوب القرية. لكنّه سرعان ما يستسلم ويبدأ في التساؤل ما إن كان قد بدأ يصاب بدوار الطقس، وما إذا كان المرء في الجوّ السديمي ليس هو نفسه تحت سماءٍ صافية. وفي اللحظة نفسها يرى إنغريد تصعد رقبة أوسكار وتصيح عليه بشيءٍ ما.

ماذا؟

لا تكلف إنغريد نفسها عناء نزول الطريق، فتصيح من قمة التلّة إنّّه ينبغي عليهم الذهاب وإحضار القضبان الحديدية من مزلقان يوهانس. وينبغي أن يجلبوا أيضاً كلّ ما قد يحتاجون من عدّة يوهانس لأنّ سفينة الحليب قد بيعت الآن.

يصيح لارس من مكانه: بكم بيعت؟

«بأربعة آلاف» - تصيح إنغريد - «إنها نقود ماتيّاس».

أنت منجم نقودٍ لا قرار له، يقول لارس، ويدخل لتناول الفطور والانطلاق مع فيليكس إلى رصيف يوهانس.

هناك يصعدان أولاً إلى أحد الجيران، له اسمٌ غامض: «غوت»، وغوت هو الوحيد الذي نجح في العيش هنا كل هذه السنوات دون أن يلاحظ وجوده أحد، روحٌ غامضة لإنسان قد يلتقيه المرء في فترات غير منتظمة ويقول: آه، أجل، هذا غوت. ثم ينسأه ثانية، حتى يظهر مرةً أخرى في شهر كانون الثاني، فيفكر ثانية: آه أجل، هذا هو غوت.

بوجود غوت كشاهد، ينتزع لارس وفيليكس ستة قضبانٍ حديدية ويرفعانها إلى متن سالتهامر، يكسران الخشب المتعفن في المذود ويأخذان العجلات والحديد، وكذلك البراغي الموجودة في العوارض. ومن ثم يصعدان إلى مستودع الأدوات، ومعهما غوت أيضاً، ويأخذان من هناك الشباك، والأسلاك، والحبال، والمدقات، والعدّة. لكنّهما لا يدخلان إلى البيت اليوم، بل يتجنّبان المنزل الذي لا رجعة إليه، كما هو الحال مع غوت وأمثاله جميعاً. يساعدهم غوت بحمل لفّتين من الحبال، يحمل واحدة في كلّ يد.

في هذه الأثناء تُنفع إنغريد باربرو أنها أخطأت في سماع سعر السفينة. وتنتظر إنغريد حتى تسمع باربرو تذكر المبلغ من تلقاء نفسها: «تخيّلي! إنّها اثنا عشر ألفاً»، تقول بينما تأخذان بتجديد المحلول الملحيّ في براميل الرنجة.

«لا، اثنا عشر ألفاً؟!» - تقول إنغريد مستغربة - «هذا ليس صحيحاً».

لقد دوّنت الرقم على ورقة، ألم تلاحظي الرقم؟ ها هو هنا: تُخرج إنغريد ورقة من جيب مئزرها. أربعة آلاف كرونة، كتابة لا أرقاماً. هي مجرد ورقة للخداع، لذلك تشعر إنغريد بالخجل لأنّ باربرو لا تستطيع

القراءة، فتقول لها بلطف إنهما سيتركان هذه الأربعة آلاف كرونة مفاجأة للارنس، عندما يكتشف الأمر.

تساءل باربرو لماذا سيكون هذا مفاجأة، وللارنس بالتحديد. تشعر إنغريد بالذنب وتقول لأنّ لارنس سيكون سعيداً لامتلاك ماتياس أربعة آلاف كرونة في حسابه البنكي. أربعة آلاف، مهما بدت قليلة، ينبغي أن تُفرّحه.

يصل لارنس وفيليكس مع حلول المساء، يفرغان الحمولة، ويسحبان الحديد إلى الرصيف الجديد، يفرزانه في ثلاث مجموعات على ضوء مصباح إنغريد الذي يعمل بالكبروسين، ويلاحظون أنّ الصدأ ليس عميقاً إلا في موقع التثبيت. إحدى الأذرع على الإطار مكسورة، لكن يمكن لحامها. ويناقشون الخيارات المتاحة: استخدام العوارض الموجودة، أو الأخشاب التي جرفتها الأمواج، أو شراء عوارض جديدة؟ ويخبرهما فيليكس بسيل من المعلومات عن الحريق، لقد سمعها من غوت.

حريق؟ تسأل إنغريد، التي توقفت عن قراءة الجريدة بسبب توقّف سفينة نقل الحليب لهذا العام، وهي لم تذهب إلى القرية منذ عدّة أشهر.

أجل، بيت هنريكسن، احترق في الخريف، ألم تسمعي بذلك؟

تصاب إنغريد بالخرس.

«يبدو أنّ التحقيق قد توقّف الآن» - يقول فيليكس - «وأنّ ما حدث كان بسبب مصباح هنريكسن الذي يعمل بزيّت كبد سمك القد، أو أنه افتعل الحريق في محاولة للاحتيال على التأمين. وكلا الأمرين ليسا في صالحه. في الوقت الحالي يعيش مع أخت له في المدينة، والشكوك تلاحقه حتى

هناك، وهو مضطّر إلى دفع إيجار، كما يقولون، إذ يجب أن يكون مستأجراً في منزلٍ عائليّ».

يضحك فيليكس ضحكةً مكتومة، ويفقد لارس اهتمامه، فهو يفكر أن لديهم من الخشب الخام ما يكفي لثمانية عشر مرقداً للمزلقين، والسؤال الآن هو ما إذا كانت هذه المراقد والحامل قويّة كفاية لتحمل سالتهامر، وهي سفينة يبلغ طولها اثنين وستين قدماً، لكن ربما بوسعهم أولاً سحب القوس وتنظيفه، وبعدئذٍ المؤخرة؟

«حسناً» - يقول فيليكس متشككاً - «الونش؟».

لا تزال إنغريد صامتة، وهي تقف حاملةً المصباح الذي يسقط ضوءه على الحديد الواعد. تعطي المصباح للارس وتخرج إلى الظلمة، ثم تصعد إلى البيت وتجلس في كرسيها بجانب النافذة منطويةً على نفسها وشاردة الذهن وتفكر فيما إذا كانت الحكمة تقتضي أن تُظهر القليل من الاهتمام بالحريق. وكأنه كان لديها خيارٌ آخر.

ثم تبدأ بالتساؤل عما قد يكون فاتها أيضاً هذا الخريف في القرية، وهي هنا في الجزيرة.

لكنّ التعقيد المُركّب يتلاشى وهي جالسةٌ هناك تنظر إلى نفسها في زجاج النافذة، أولاً بنوعٍ من اللامبالاة، ثم بشعورٍ بالارتياح الذي تفضّل عدم الاعتراف به.

تجلس باربرو على الجهة الأخرى من الطاولة وعلى إحدى ركبتيها تجلس كايا وماتياس على الأخرى، وتنشد بصوتٍ خفيض دون كلمات وتتغير تعابير وجهها مع نغمات واضحة المعنى. وأوسكار الذي لا يجلس

بهديء وسلام إلا عندما تنشد باربرو، يجلس في حوض سوزانا المستلقية على الصندوق الخشبي وتتشبّث به كما لو أنه ابنها الحقيقي. لقد كانت سوزانا طوال الخريف كثيئةً ولا مبالية، حتى إنها لم تتأثر بمغامرة صيد أسماك الرنجة. وسوزانا تكره أسماك الرنجة، فهي أسوأ من أسماك الحدوق.

يوضع الطعام على الطاولة.

يتناولون الطعام في خشوع بعد الإنشاد، وتتأمل إنغريد سوزانا، هذه الابنة بالتبني والابنة الحقيقية في الوقت نفسه، في غير مكانها، بينما سوزانا تمضغ وفمها مغلق وتضع يدها بين حين وآخر على رأس أوسكار الذي ينظر إليها كما لو أنها أهلٌ للثقة، هذا الصغير العنيد هو الآن، على الأرجح، الرابط الوحيد الذي يربطها بالجزيرة. تشعر إنغريد في أعماقها بضرورة فعل شيءٍ لأجل ابنتها، وتمسح دمعاً دون أن يلاحظها أحد.

آخر يوم ثلاثاء قبل عيد الميلاد، تقف إنغريد بجانب فيليكس في قمرة قيادة سالتهامر، مرتديةً أفضل ما لديها من ملابس رسمية. لم تعد نساء بارأوي يسافرن للتسوق في قارب تجديد، خاصةً في فصل الشتاء. تقف بجانبها هانا بشياپ أكثر سواداً وأناقةً من ثيابها اليومية، فهذه زيارة رسمية، وهي لم تأتِ إلى القرية منذ بداية الخريف. وماذا عن لارس؟

لدى لارس بعض الأخشاب الطافية التي عليه التعامل معها في جنوب بارأوي، وقد حُسمت مسألة عدم ذهاب أيٍّ من الأطفال معه، لأنهم سيخبزون مع باربرو وسوزانا وسلمى، فموسم لفوتن على الأبواب. يرون برج الكنيسة ومقبرتها. ومصنع الأسماك والقرية تقترب من فوق القوس الذي يدنو من الشاطئ. تقول هانا إنها تشعر بدوار البحر، فيأخذها فيليكس من حول خصرها، ويجعلها تضحك بشكلٍ محرج، وتأخذ إنغريد بعددٍ براميل الرنجة الأحد عشر التي رُصفت على سطح السفينة أمامهم، والباقي في الغرفة، وتتساءل ما إذا كانت مستعدةً بما يكفي لهذه الرحلة، التي لا تملك الوقت لها أيضاً.

بينما يتفاوض فيليكس على براميل الرنجة مع فيغ وابتسامته المربكة، تذهب هانا للتسوق، وإنغريد إلى بنك الادّخار، وهو مستودعٌ سابق جرى تحويله إلى مكتب بجوار مكتب البريد والمكتبة. العمدة السابق هو مدير البنك، ويجلس مرتدياً معطفه ويقرأ جريدة لم ترها إنغريد من قبل.

تحية إنغريد وتجلس دون دعوة، وتقول إنها تريد دفتر توفير للصبي ماتياس هارتفيسن، فهي وصيّةٌ عليه، وهذه وثيقة الوصاية، ولا بدّ أن القسّ صموئيل قد أخبره بذلك.

ينظر رئيس البلدية السابق بدهشةٍ خفيفة، ويسعل ويضع نظارة على أنفه وينظر إلى الورقة التي وضعتها إنغريد على الطاولة. تشعر إنغريد أنه يفعل ذلك كي يمنح نفسه الوقت الكافي للتفكير، أكثر من حاجته للتأكد من أنّ إنغريد هي الوصيّة الشرعية على ماتياس، ثم يخلع النظارة مرّة أخرى ويقول، كما لو أنّ له علاقةً بالأمر: نعم، أليس يوهانس ميتاً؟

تُظهر إنغريد أنها مستعدّة بشكلٍ أفضل ممّا كانت تتوقع، فتذكره بالصليب الذي وضعه صموئيل خلال مراسمه الصغيرة في المقبرة وعليه اسم يوهانس. وتؤكد أيضاً أنها لا تنوي سرقة دفتر البنك، بل المحافظة عليه، ريثما يظهر يوهانس مرّة أخرى أو حتى يبلغ ابنه الحادية والعشرين.

عندئذٍ لا يتبقّى أمام رئيس البلدية السابق سوند غير أن يفتح درجاً ويخرج منه دفترًا صغيراً أزرق ويضعه على الطاولة.

لا تميل إنغريد إلى الأمام لتأخذ الدفتر، بل تبقى جالسةً بهدوء ويدها على حقيبتها، وتقول إنها تريد أيضاً سحب متّي كرونة باسم ماتياس، فهو بحاجة إلى ملابسٍ وأحذيةٍ وشيء لا تتذكره في الوقت الحالي، وتكتفي بالتلويح بيدها.

يبدو رئيس البلدية السابق كأنه يدفع من أمواله الخاصة. يقول إنه لا يعتقد أن لديه الكثير في الخزانة، ويومئ برأسه نحو كتلة حديدية سوداء على أربع أرجل عالية تشبه قضبان السكك الحديدية. تحدّق إليه إنغريد.

ينهض ويمشي بثقل نحو الخزانة ويوليها ظهره. تسمع إنغريد نقرات الأقفال المعدنية. ينزلق باب الحديد مفتوحاً، ويأخذ رئيس البلدية السابق بفرز شيء ما لفترة طويلة، ويصدر أصوات سعالٍ صغيرة وحنحة، ثم يدور نصف دورة وينظر من النافذة ويفكر، ويتذكّر شيئاً فينحني نحو رفٍّ أدنى، ثم المزيد من حفيف الأوراق والسعال والحنحات. طقوسٌ تعرفها إنغريد جيداً من أيام عملها في مصنعٍ للأسماك خلال الحرب، عندما كان من الصعب للغاية الحصول على أجرها.

ينغلق باب الخزانة مرةً أخرى. يعود سوند ويجلس مع كومةٍ من الأوراق النقدية في إحدى يديه، والتي ليس من السهل وضعها على الطاولة. تقول إنغريد إنها يجب أن تتفحصها للتأكد من أنه لا يحاول خداعها بأوراق نقدية مزيفة.

ينظر رئيس البلدية السابق بدهشةٍ ويضحك بصوتٍ عالٍ ويقول إنها تتذكّر جيداً، لكنها تخلط بين الآن ووقت الحرب. لا، هذه عملة متداولة. عديها، هاها، ووقعي هنا!

تعدّ إنغريد وتوقع، ويدوّن رئيس البلدية بعض الملاحظات في دفتر التوفير. تسأل إنغريد ما إذا كان لديه ظرف.

يهزّ رأسه مبتسماً ويشير إلى باب مكتب البريد. تبسم إنغريد أيضاً،

وتضع المال في حقيبتها وتغادر دون أن تشكره. تذهب إلى سفيتلانا وتشتري أولاً ظرفين وتكتب عليهما، وتُرسل أحدهما إلى ماريان فولهايم. لكنّ سفيتلانا تنظر إلى الظرف الثاني، وتقلب عينيها إلى الأعلى كما يفعل الروسي فقط: دانييل مالفيك؟ إنه يعيش على بعد خمسة كيلومترات فقط، أليس من الأفضل أن تحتفظي بالبريد وتسلميه له شخصياً؟

تتفقان على أن تبقى الرسالة عند سفيتلانا، فمن المحتمل أن يتوقف دانييل بالمكتب قبل عيد الميلاد، بالمناسبة فإنّ البريد المرسل إلى إنغريد أخذ يتراكم منذ أن توقفت سفينة نقل الحليب عن العمل.

يتبيّن أنّ كومة البريد هي رسالة واحدة من ماريان فولهايم في تروندهايم ومجموعة من الصحف القديمة التي جمعتها سفيتلانا لها. تسأل إنغريد عن أخبار أطفالها. تقلب سفيتلانا عينيها إلى الأعلى مرّة أخرى، وتخرج إنغريد إلى آخر جرةٍ من أشعة الشمس في غضون ثلاثة أسابيع ويومين.

في طريق العودة، يشكو فيليكس من أنّ مالك المصنع فيغ، مثل جميع أصحاب المصانع الآخرين، يبدو أنهم يذهبون إلى المدرسة ليتعلّموا أن يقلّد بعضهم البعض الآخر. تُهمهم هانّا وتدير السفينة بينما تقف إنغريد مُسندةً ظهرها إلى الحاجز وتقرأ رسالة ماريان، التي توافق التوقعات، وبدأت إنغريد تفكّر في ردّ عندما قاطعتها هانّا، التي قالت فجأةً إنها لم تأتِ معهم من أجل التسوّق فقط، بل لتتحدّث مع إنغريد على انفراد.

يبدو الأمر رسمياً وخطيراً في فم حصانٍ مطيع يعمل في صمت، ثم يقف فجأة، الآن، مطالباً بشيءٍ لا يمكن التراجع عنه. لا تريد هانّا أن يذهب

أطفالها إلى المدرسة في الشتاء، وإلا فلن تتمكّن من العيش هنا، بمفردها على جزيرة، لقد كان الشتاء الماضي فظيماً.

تقول إنغريد إنّ الأطفال سيذهبون طبعاً إلى المدرسة، لقد عوملوا بتراخ كبير هذا الخريف، لا يريد هانس وفريدريك سوى البقاء في البحر، ولا يمكن انتظار المزيد من العون من فيليكس ولارس.

تدير هانا ظهرها مؤكّدةً على موقفها المتغطرّس، مرسلّةً نظرها إلى الأمام من فوق قوس السفينة الذي يهتزّ وهو يشقّ طريقه الآن وسط عاصفةٍ ثلجية.

ترجوها إنغريد أن تلتفت إليها.

لكنّ هانا لا تلتفت.

تحدّق إنغريد في ظهرها ثم تنظر إلى فيليكس متسائلةً، لكنّ فيليكس يوافق زوجته الرأي.

هل سيذهب فريدريك وحدّه إلى المدرسة، بينما تبقى التوءمان في الجزيرة برفقة والدتهما وأوسكار؟
هانا لا تردّ.

ينظر فيليكس إلى الثلج الممتزج بالمطر ويقول إنّ فريدريك سيذهب إلى لوفوتن، وهناك يلتحق بالمدرسة بعد الظهر مع مارتين وهانس، فهم يحتاجون إلى مساعدة في شكّ الطُعم.

لكنّ عمره عشر سنوات فقط، تقول إنغريد مقاطعةً.

عمره اثنا عشر عاماً على الأقل، يقول فيليكس بلهجةٍ قاطعة، مضيفاً إنّ إنغريد قد نسيت بالتأكيد عندما كان والدها صغيراً جداً، وجدها أيضاً، فضلاً عنه هو ولارس.

تريد إنغريد أن تقول إنّ الأزمنة تتغيّر، أمّا البشر فلا يتغيّرون، لكنّها
تُمسك لسانها عن ذلك، تطبق فمها بقوة وهي تغلي غضباً، مثل خلية نحل،
حتى تشعر أنّ خبطةً يائسة بدأت تتبلور في ذهنها.

في ذلك العام ينفصل الزمان عن بارأوي. في ظلام دامس ومطرٍ ثلجيٍّ من جهة الغرب، في صباح يوم الثالث من كانون الثاني، صعد جميع سكّان كارفيكا على متن سفينة سالتهامر. ستقضي هانّا وسلمى الشتاء في مرابع طفولتهما، وسيذهب الأطفال إلى المدرسة في لوفوتن، حتى فريدريك البالغ من العمر اثني عشر عاماً، عندما لا يعمل في شكّ الطعوم.

تعانق إنغريد التوءمين وتعطيتهما بعض التوصيات التي تتلاشى مع مهبّ الريح. الشخص الوحيد الذي يبكي هو سوزانا، التي لا تنفصل فقط عن ابنها، قطعة من جسدها، الذي فقد الاهتمام بها منذ فترة طويلة، بل أيضاً عن أوسكار الصغير.

لقد واجهت إنغريد صعوبةً كبيرة في وضع هذه المغامرة الكبيرة في مكانها الصحيح، وهي أنّ ثلثي سكّان الجزيرة سيغادرونها مؤقتاً، كما يزعمون، لكن من يدري.

لقد جرى تحميل العدة والأدوات يوم أمس. الآن، يجري رفع آخر صندوق طعام على متن السفينة، والمزيد من البُسْط، وقفّاز وقبّعة.

هل هذا كلّ شيء؟

يصرخ لارس من على متن السفينة إلى الأسفل أنه قد سئم من كل هذه البُسط في كل مرة يغادرون فيها.

تتقدّم إنغريد إلى الأمام على الرصيف وتصرخ عليه أن ينزل إليها، تصرخ بلهجة تجعله يطيع دون نقاش، وتعطيه المرسى هديةً، وتقول إنها تريد أن تشكره على الحريق.

ينظر إليها لارس مندهشاً ويصرخ في الريح إنه يأمل منها أن تذهب إلى كارفيكا وتشعل النار في الداخل من وقتٍ إلى آخر، لأنه لا نار هناك. ويتركان الأمر عند هذا الحدّ.

يقف فيليكس في قمرة القيادة، والمحرّك يهدر، تنطلق سالتهامر مبتعدةً عن الرصيف وتبحر شمالاً في البحر والظلام، ورغم أن الباقيين كما هي العادة يبقون واقفين على الرصيف في الطقس السيئ حتى يتوقّف فانوس مؤخرة السفينة عن الدوران في ظلام هذا الليل، تصرخ إنغريد على سوزانا المنتحبة أن تتماسك وتصعد لحزم حقيبتها.

أنت أيضاً، ستسافرين، غداً.

تجفّف سوزانا دموعها والمطر الثلجي، لكنّها تذرف مزيداً من الدموع. في هذه الأثناء بدأت إنغريد صعود الطريق مع باربرو والصغيرين، فتضطرّ سوزانا إلى الركض وراءها لتسألها ماذا تقصد بكلامها.

تتوقّف إنغريد وتقول بلهجة لم تستخدمها من قبل إنه في الصباح، يا سوزانا، في الصباح ستغادرين بارأوي.

تقول ذلك بجديّة وتهديد لم تستعملهما من قبل، بنبرة غضبٍ تعلم أنها لا تستطيع السيطرة عليه.

تريدها سوزانا أن تكرّر، وتوضّح ما قالت، لكنّها لا تستطيع التحكّم

بصوتها ولا تعابير وجهها. وباربرو لا تعرف شيئاً عن الأمر، لكنها تعرف على الأقل أن كايا وماتياس يتشبّثان بها جيّداً، وهما يصعدان الخطوات الأخيرة إلى المنزل، وهناك يخلعان معطفيهما المطريّين ويعلّقانهما بطاعة على الأوتاد على يمين المدخل الخارجي.

تأخذ إنغريد سوزانا إلى غرفة الجلوس، التي يشعّ الموقد فيها دفئاً على غير العادة، وتوضح لها بالنبرة الثقيلة ذاتها أن لديها هديّة لها، هديّة عيد الميلاد، إنها تكذب بسلاسة، فهي لم تقدّم الهدية لها في عيد الميلاد، أولاً لأن الآخرين كانوا سيعرفون بها، وثانياً لأنّ سوزانا لا تستطيع كتمان سرّ أو إخفاء أيّ شيء، ولا حتى عيوبها الشخصية.

لكنّها تقدّمها لها الآن. سينقلها دانييل صباح الغد إلى المدينة: «ومن هناك تستقلّين العبّارة السريعة إلى تروندهايم، حيث ستزورين إحدى معارفي، ماريان فولهايم، ربما تذكّرينها، وهي ستساعدك وتوضح لك». تنزل صاعقة على سوزانا. إنها تُطرد؟ من بيتها؟ هل تريد إنغريد التخلص منها؟ تصرخ متفجّعة لدرجة أن باربرو تأتي مسرعةً وتساءل ما الخطب؟

تجيبها إنغريد أن لا شيء وتحذّق بازدراء شبه صريح في كائنٍ يشبه ابنتها من صلبها، وتقول: «لا تمثلي!». وبشقّ النفس تمكّنت من كبح جملة تفيد بأنّ سوزانا لم تعد تستطيع البقاء هنا وأنها تُسمّم الجزيرة بحزنها وبكائها الأبديّ.

لكن لماذا هي غاضبةٌ جداً؟

غاضبة، لأنه قد ثبت مرّةً واحدةً وإلى الأبد أنه من الممكن مغادرة جزيرة، أولاً من قبَلِ إنغريد نفسها، رأس الجزيرة، علاوةً على حقيقة أنّ

سكّان كارفيكا كلّهم قد هربوا مؤخراً إلى الشمال، وهو سقوطٌ شامل لمملكة إنغريد.

ترمي إنغريد النقود، التي ترفرف وتستقرّ مثل أوراق الشجر على الأرض، وتسال سوزانا ما إذا كانت قد فقدت عقلها.

يمكن أن يحصل ذلك ببساطة. ترغي إنغريد وتزبد وتقول إنها قد ادّخرت هذه النقود (كرمي لله، لا تجعلها تبدو كتضحية!) من أجل أن تسافر سوزانا إلى أوصلو، وهي تستحقّ أكثر من ذلك (كرمي لله، لا تحسبها أجراً!).

قبل أن تضطرّ إلى التقاط أنفاسها ثانية.

تنهض سوزانا، تأخذ حطبةً وتضعها في الموقد، وتبقى واقفةً وتستجمع قواها، من أجل ماذا؟ تفهم إنغريد جيّداً أنّ أمراً ما ينبغي أن يحدث. فتصرخ باتجاه الباب كي تأتي باربرو والصغيران ويشاركانهما في أكل ما تبقى من كعكة الميلاد، في غرفة الجلوس المُدفأة، كعكة على الفطور بمناسبة المغادرة إلى لوفوتن.

يدخلون متردّدين، وتخبرهم إنغريد كم سيكون هذا الشتاء رائعاً، ويمكن أن تغني باربرو أغنية، كم هي الساعة الآن، السابعة والنصف! يا إلهي، يمكننا أن نعود إلى النوم أيضاً، بقدر ما نريد.

لولا الأبقار الأربع والأغنام الستّ عشرة التي ينبغي أن يقدّموا لها العلف، وحبل الشباك الذي ربطوه بين الصخور، وبعض المهام الأخرى.

صباح اليوم التالي، في طقسٍ هادئٍ وصافٍ تصل سفينة الحليب القديمة إلى الرصيف الجديد. يكادون لا يعرفونها. وهذا أمرٌ جيّد، لأنّ

ماتياس أيضاً يقف ويُرحّب بالسفينة. لقد صنفّر دانييل السفينة وطلاها، وركّب المعدّات، وأعادها إلى أصلها، إلى سفينة الصيد التي كانت، حتى إنه أعاد تسميتها من جديد، على اسم زوجته الشابة، مالين، كما هو مكتوب بحروف نحاسية برّاقة في قوس جميل فوق البندقية في قمرة القيادة. لا تتذكّر إنغريد حتى اسم السفينة عندما كانت تنقل الحليب، بلى، كانت تُدعى «أولافيا». لقد استعاد المحرّك الصوت العادي، الهادئ كصوت قطعة، ويقول دانييل بحماس إنه فعل كلّ شيء بنفسه.

يرمق دانييل كايا وماتياس بنظرة هادئة ويسأل ضاحكاً ما إذا كان الصغيران سيذهبان إلى هافستاین؟

يعتقد دانييل أنه استُدعي لنقل صغار كارفيكا إلى المدرسة، العملية التي أُلغيت لصالح مهمّة نقل سوزانا إلى المدينة. أجل، بالطبع.

سوزانا مستعدّة للسفر، وهي ترتدي الملابس التي جاءت بها أثناء الحرب والتي لم ترَ ضوء النهار حتى اليوم. الحقيّة الصغيرة ذاتها، مركونة بالقرب من ساقها، وهي تلبس المعطف الأخضر الطحلي بياقته التي تبدو لإنغريد مثل جناحي نورس، وعلى رأسها قُبعةً محبوكة يدرياً، وفي يدها قُبعةً أخرى ستحلّ محلّها بمجرد دخولها المدينة. تبكي سوزانا بهدوء، ودون توقّف، لدرجة أنّ دانييل يسألها جدّياً ما إن كانت ذاهبة إلى جنازة.

تتجاهل سوزانا سؤاله، تمسك بيده وتستند عليها بقوة لتصعد إلى السفينة. تتذكّر إنغريد كلمةً من أيام الحرب كانت قد نسيتهَا، تشبه كلمة «سيّدة»، لكنّها تجلب معها الآن ابتسامةً عزيزة.

عندئذٍ فقط تتذكّر كلتاها أنّهما لم تتعانقا، وبدا الأمر على ما يرام.

فكرت سوزانا في العودة مرةً أخرى ومعانقة باربرو على الأقل، ذلك أنه لم يكن بينهما أيُّ خلاف. ولكن هل ستقف إنغريد جانباً متفرّجة؟ ألن تحاول أيُّ منهما احتضان الأخرى؟ أيّ نوعٍ من الوداع سيكون هذا؟ لقد احتضنت سوزانا الأطفال بالفعل عدّة مرّات، لذلك تقرّر أنها قد نزلت بسلام على سطح السفينة، وأنّ الوقت قد فات، وأنها قد غادرت بالفعل، فتنظر إلى الأربعة الواقفين وتلّوح ببطءٍ بقبعاتها التي ستضعها على رأسها بمجرد دخولها إلى الحضارة.

- 12 -

بدأ ماتياس يتكلّم كثيراً وبسرعة. اكتشفت إنغريد ذلك قبل قرابة شهر من عيد الميلاد، عندما سمعت سيلاً من الكلمات من داخل الغرفة، حيث يشعلون الموقد أثناء الطقس السيئ كي يلعب الأولاد فيها.

بدلاً من الدخول إليهم، وضعت أذنها على الباب واستمعت إلى ثرثرة كايا المعتادة، التي يقطعها الآن تدفق كلمات ماتياس وعبارات التعجّب العرضية من أوسكار. يشير ماتياس إلى شيء لا بدّ أنه تعلّمه من لارس، بخصوص مدى غباء الأسماك، مثل أشجار جري اصطيادها في شبكة من الخيوط وثُركت معلقة في الهواء، لا بدّ أنّ السمكة عمياء.

تسأله كايا: كيف عمياء؟

هكذا.

فهمت إنغريد أنّ ماتياس قد وضع غطاءً فوق رأسها. فقال أوسكار: وأنا أيضاً. صمتٌ جديد، وتعجّبان. أوضح ماتياس أنه في البحر ظلام، ولا أحد يستطيع أن يرى شيئاً. قالت كايا محتجّة إنّها تستطيع أن ترى أنّ البحر أخضرٌ وصافٍ. بدأا يتجادلان حول لعبة ادّعت كايا أنها لها، وهي خزانة دمى، كما فهمت إنغريد، وكان من الواضح أنها سترمى على الجدار.

كانت إنغريد على وشك أن تقتحم الغرفة، لكنّ ماتياس استبقها: لا لا، كل شيء على ما يرام. مجرد جدالٍ قصير. وشرح لها بالتفصيل لماذا يمكن لأمر ما أن يسير على ما يرام.

شرح؟

طوال فصل الخريف، كانت إنغريد متحفظة في السؤال والتنقيب، ولكن الآن في العام الجديد، حين لم يبقَ هنا فجأة سوى أربعتهم حول الطاولة، أصبح من الطبيعي أن تتحدّث معه بشأن أي شيء، على سبيل المثال لماذا لا يريد أن يمسك السكين بيده اليمنى؟

قال ماتياس إنه لا ينجح في ذلك، لأنّ يده لا تطيعه.

ضحكت كايا وقالت إنها تستطيع ذلك، قطعت قطعة من السمك ورفعتها بالشوكة إلى فمها، لكنّ قطعة السمك وقعت على الطاولة، فتناولتها بأصابعها بسرعة إلى فمها.

أمسك ماتياس السكين بيده اليمنى وضغطها بارتباك على حبة بطاطس، ثم حمل البطاطس بالشوكة بيده اليسرى وغمسها بأناقة في الزبدة ورفعها إلى فمه دون صعوبة، قائلاً إنه خُلِقَ بشكلٍ مختلف. ضحكت إنغريد وسألت كيف خُلِقَ؟

كان على وشك أن يجيبها. عندما قالت كايا إنّها أيضاً مخلوقة. سألت ما هو المختلف. فقال ماتياس: غريب.

هل أنت غريب؟

ضحك ماتياس، وقالت باربرو بسرعة إنها هي فقط الغريبة في هذا المنزل.

وأنا، قالت إنغريد منزعة لأنّ عمّتها سبقَتْها إلى قول ذلك.

فقلت كايا: في هذه الحالة نحن جميعاً غريبون. لم يقل ماتياس شيئاً، واكتفى بالابتسام وتابع الأكل بطريقة أفضل من كايا، والسكين في يده اليسرى. لقد زاد وزنه كثيراً منذ وصوله إلى الجزيرة، وأصبح أطول من كايا أيضاً.

عندما أصبح الطقس جيداً بحيث يمكن السماح للأطفال بالبقاء في الخارج، اصطحبتهم إنغريد ليرعوا الأغنام الأعشاب البحرية على الشاطئ الكبير. لاحظت أنّ ماتياس كان حذراً جداً، وهادئاً وبقي معظم الوقت وراء كايا، رغم أنه لم يُظهر أيّ أمارّة من أمارات القلق عندما كانا يقفزان فوق الأسوار أو يشقان مسارات جديدة عبر الحدائق، لكنّه بدا أكثر حذراً، ويقظة وتفكيراً.

بينما أخذت الأغنام ترعى، أطلعت إنغريد الطفلين على الأصداق والحجارة والمحار، وشرحت لهما عن الثروات الكبيرة التي جمعتها هي نفسها هنا في طفولتها، واتفقوا واختلفوا حول ما هو قيم وما يمكن إلقاؤه في البحر.

غطّت الثلوج العشب المسطح، فاقترحت إنغريد أن يمسك الطفلان بصوف النعجة الأكبر، التي تسمّيها كايا «أمّ»، وأن يسمحا لها بسحبهما صعوداً. كانت «أمّ» قويّة مثل الكبش، كلّ ما عليهم فعله هو الاستلقاء على ظهرها بسترتهما المطرية. أرثهما إنغريد كيف يفعلان ذلك. هزّت «أمّ» رأسها، ورفست، ونهضت وركضت بعيداً بمجرد أن تركتها إنغريد، وسحبت الطفلين الصارخين خلفها صعوداً على التلّ ونزولاً إلى منحدر خفيف، حيث زادت سرعتها وتعالّت صرخاتهما أكثر. اضطرت كايا

إلى التخلّي، لكنّ ماتياس ظلّ متمسكاً بها، وركضت «أمّ» مثل ريحٍ على العشب المتجمّد في حديقة، ثمّ أخرى ولم تتوقّف حتى وصلت إلى البركة في مستنقع التورف، حيث اعتادت الحيوانات أن تشرب بعد رعي الأعشاب البحرية المالحة.

وقف ماتياس يرتجف فرحاً بالقرب من النعجة اللاهثة، التي أخذت تركل بحافريها الأماميين، وتنظر بلهفة، منتظرةً وصول إنغريد لصنع ثقبٍ في جليد البركة.

وصفت إنغريد ماتياس بالنملة الشجاعة، وسألته ما إن كان قد تشبّث بصوف النعجة بكلتا يديه أو بيده اليسرى فقط.

عندما لم يُجبها ماتياس، شرحت له إنغريد الفرق بين اليمين واليسار، الشيء الذي يعرفه الصغار بالتأكيد، لكنّها نسيت ذلك. لكن ماذا عن الميسرة واليمين؟

ركبت كايا «أمّ» نحو الحظيرة، بمساعدة إنغريد التي ثبّتها من كتفها وقادت النعجة بركلات صغيرة جيّدة التوجيه، وسار ماتياس بجانبها، على الميمنة. في البيت كانت باربرو قد غطّت في النوم على طاولة العشاء، وهي مقتنعة أنّ السلام القديم قد حلّ ثانيةً على الجزيرة.

ما يزال لديهم القارب الصغير. وتعلّم ماتياس وكايا التجديف هذا الشتاء. وفي أيام الطقس الجيّد يأخذان معهما الخيوط وشصوص الصيد، وقد علّمتهم إنغريد صيد سمك القدّ الصغير والبولاك في المضيق الواقع بين الجزيرة والشُعَب المرجانية. وتعلّم كيف ينظّفان السمك، ماتياس يحمل السكّين بيده اليسرى بينما تحملها كايا بيدها اليمنى. إصبعان في

عَيْنِي سَمَكَةُ الْقَدِّ وَالْإِبْهَامُ تَحْتَ الْفَكِّ، أَقْلَبُ الْبَطْنَ إِلَى الْأَعْلَى، أَدْخُلُ رَأْسَ السَّكِّينِ مِنْ خِلَالِ الْجِلْدِ الْأَبْيَضِ تَحْتَ الْخِيَاشِيمِ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ، ثُمَّ حَرَّكَ السَّكِّينَ بَوْصَةً إِلَى الْأَسْفَلِ تَحْتَ الْحَنَكِ وَهَكَذَا وَصُولاً إِلَى فَتْحَةِ الْبَطْنِ، لَيْسَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ الْأَحْشَاءُ، احْتَفِظْ بِالْكَبِدِ، وَأَلْقِ مَا تَبَقَّى فِي الْبَحْرِ. شَعَرْتُ كَايَا بِالْأَشْمِئَزَّازِ، وَلَا حِظْتَ إِنْغْرِيدَ أَنَّهَا تَبَالِغُ فِي ذَلِكَ. عَضَّ مَاتِيَّاسُ عَلَى شَفْتِهِ زَاعِماً إِنَّ الْأَمْرَ مَثِيرٌ لِلْأَشْمِئَزَّازِ. لَكِنْ إِنْغْرِيدَ رَأَتْ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلَّهُ تَمَثِيلًا، تَرْكِيزًا، انْتِصَارًا، وَفَكَّرَتْ: رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ، هُنَا عَلَى الْأَقْلَ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ.

فِي أَيَّامِ الطَّقْسِ الْجَيِّدِ، يَصْطَادُ دَانِيِيلُ مَالْفِيكََا جَنُوبَ بَارَاوِي، وَفِي نَهَايَةِ شَهْرِ كَانُونِ الثَّانِي جَاءَهُمْ بِطَرْدٌ مَلْفُوفٌ بِوَرَقٍ رَمَادِيٍّ وَمَرْبُوطٌ بِخِيطٍ. كَانَ الطَّرْدُ مِنْ سَفِيْتِلَانَا فِي مَكْتَبِ الْبَرِيدِ. وَفِيهِ بَعْضُ الصَّحَفِ الْمَقْرُوءَةِ جَيِّدًا، وَتَحْتَهَا رِسَالَةٌ، وَكِتَابُ أَطْفَالٍ رُوسِيٍّ قَدِيمٍ.

وُلِدَتْ سَفِيْتِلَانَا فِي أَرْخَانْجِيلْسْكِ، لَكِنَّمَا جَاءَتْ أَثْنَاءَ الثَّوْرَةِ مَعَ عَائِلَتِهَا إِلَى فَارْدُو. كَانَ عُمْرُهَا ثَلَاثَةَ عَشْرَ عَامًا، التَّحَقَّتْ بِالمَدْرَسَةِ النُّرُوجِيَّةِ، وَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا نُرُوجِيًّا، ثُمَّ تَرَمَّلَتْ، وَاعْتَبَرَتْ نَفْسَهَا نُرُوجِيَّةً مِثْلَ أَيِّ مُوَاطِنٍ آخَرَ فِي الْمَدِينَةِ الْقَطْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ. ثُمَّ أَصْبَحَتْ خِلَالِ الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ لَاجِئَةً مِنْ جَدِيدٍ، وَبَقِيَ الْحَالُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، لِذَلِكَ لَمْ تُعُدْ إِلَى بِلْدِهَا، بَلْ بَقِيَتْ هُنَا، هُنَا حَيْثُ وَضَعَهَا الْقَدَرُ إِلَى الْأَبَدِ، كَمَا اعْتَقَدَتْ.

وَلَأَنَّ إِنْغْرِيدَ مَا تَزَالُ مَتِيْمَةً بِأَلَكْسَنْدَرِ وَكُلِّ شَيْءٍ رُوسِيٍّ، سَأَلَتْهَا مَا إِذَا كَانَ بِإِمْكَانِهَا تَعْلِيمُهَا اللُّغَةَ الرُّوسِيَّةَ، لَكِنْ سَفِيْتِلَانَا لَمْ تَقْلِبْ عَيْنَيْهَا فَقَطْ، بَلْ أَجَابَتْ بِـ«لَا» قَاطِعَةً وَقَاسِيَةً، وَقَالَتْ إِنَّ اللُّغَةَ الرُّوسِيَّةَ هِيَ لُغَةُ سَتَالِيْنِ، أَكْبَرِ

مجرم في تاريخ البشرية، ولذلك هي لا تتحدث الروسية حتى مع أبنائها، وإنها فخورة بذلك.

فوجئت إنغريد بهذا الخطاب الفظ، وهي التي ألفت صورة ستالين، التي بقيت معلقة طيلة سنوات إلى جانب صورة صديقه لينين، وصورة كارل ماركس أيضاً، في غرفة جدّها.

فتحت الكتاب وعرفت أنه كتابٌ تعليمي، فيه رسوماتٌ وقصائدٌ وقصص، يفترض أنها للصفّ الثاني أو الثالث الابتدائي. وقد كتبت سفيتلانا فوق الكلمات ذات الأحرف الكيريلية طريقة لفظها باللغة النرويجية، كما كتبت أيضاً ترجمتها بلغة نرويجية ركيكة، ثلاثة أسطر مقابل كلّ سطر، فبدت الصفحات وكأنّها نوتة موسيقية.

قرأت إنغريد ملاحظة سفيتلانا المرفقة، التي تقول فيها إنّها تذكّرت رفضها السابق، لكنّها تأثرت كثيراً وغيّرت رأيها عندما علمت أنّ إنغريد قد ساعدت أسرى حرب روساً بعد كارثة ريغل.

لقد ساعدت إنغريد سجيناً واحداً، صحّحت إنغريد المعلومة في نفسها، وناولت الكتاب إلى كايا وماتياس، اللذين لم يزعجهما أن تكون الأحرف كيريلية. لقد أحبّا الرسومات، على الفور، والدببة الصغيرة الراقصة، ونسراً لطيفاً من الواضح أنه ساعد صبيّاً ضائعاً في العثور على طريق الخروج من الغابة، ونال على مساعدته عرضاً للعيش في غرفة الصبي، يجثم على وتدٍ مثل دجاجة، ويأكل العصيدة بالملعقة، وهو يتفرّج عبر نوافذ مزينة بمنحوتاتٍ وزهور على الثلج الذي يهطل في الخارج.

كان في الكتاب قصّة عن أرنيين وشجرة تنوب لها فمٌ، ومن المفترض أنها تقصّ على الأرنيين قصصاً خيالية. في الصفحة التالية يحمل الأرنبان

بين أيديهما خريطةً، استدّأ بها على حجرٍ في الأرض شاهداً داخله خمسة أزواج عيونٍ لأرانبٍ أخرى، وفي الرسم الأخير رقصَ الأرانب السبعة جميعاً حول الحجر احتفالاً بلمّ شمل العائلة، وفي الصفحة الأخيرة يمكن أن يُعجب المرء لمنظر شمعدانٍ بسبع أذرعٍ وصليبٍ روسيٍّ.

طلبت إنغريد من الطفلين التعامل مع الكتاب بلطف، إنه مُكَلِّفٌ، وطلبت منهما أن يضعاه على الطاولة أيضاً أثناء تقليب صفحاته.

بعدئذٍ فتحت إنغريد الرسالة من ماريان فولهايم، التي استقبلت سوزانا، ووصفتها بـ«لقمة كبيرة»، وهو تعبير فهمته إنغريد رغم سماعه للمرة الأولى. لقد أمضت سوزانا ثلاثة أيام في منزل ماريان، كما هو متفق عليه، قبل أن تضعها ماريان في القطار المتجه إلى العاصمة، معتقدةً أنها لن تسمع منها مرةً أخرى.

لكنّ بعد مرور أسبوعٍ، اتصلت سوزانا عبر الهاتف وقالت إنها التقت مرةً أخرى بصديقة قديمة، وهي معها، تعتني بأطفالها، ريثما تجد شقّةً صغيرةً (؟)، وقد حصلت على وظيفة في مصنعٍ للستائر وأغطية الأسرة والمناشف، وتحصل على راتبٍ جيّدٍ.

كتبت ماريان إنها تشكّ في أنّ سوزانا كانت متكلّفة قليلاً، وهذا تعبير اعتقدت إنغريد أنه مألوف لديها، لكنّها لم تفهمه في هذا السياق. وأخبرتها أيضاً أنّ سوزانا بدت سعيدةً، وفي صوتها رنة فرح، ولم تشتك سوى من الثلوج في الشوارع، فقد تساقطت كمياتٌ كبيرة لدرجة أنّ السيارات لم تتمكن من السير في الشوارع، كما اشتكت من سقوط الثلج عن الأسطح على رؤوس الناس، وكانوا يسمّونه: انهيار الأسطح.

لكنّ ما أقلق ماريان بشكلٍ رئيسي هو أنّ سوزانا لن تكتب لإنغريد قبل أن تستقرّ (تؤسّس ذاتها) في مكان إقامتها (شقّتها؟)، ليس قبل أن يكون لديها شيء آخر لتثبّت به أنها قد نجحت، لأنّ إنغريد متطلّبة جداً.

وأنت ماريان الرسالة بتقريرٍ عن السعادة في منزلها، وعن إنغريد الصغيرة ذات التسعة أشهر التي اضطرت أن تأخذها معها إلى العمل، حيث اهتمّت بها زميلةٌ في مكتبها، بينما كانت ماريان تدرّس. لكنّ إنغريد الصغيرة نشيطةٌ جداً، زحفت كالسلطعون، ورمت الكتب عن الرفوف وقلبت أواني الزهور.

تحيّاتٌ من أولاف. وهذا هو عنوان سوزانا في أوصلو، يمكنك أن تكتبي لها بنفسك.

دوّنت إنغريد عنوان سوزانا، والكلمات الجديدة، وخاصّةً «متطلّبة» التي جرحتها. وخطرت لها فكرةٌ، فأخرجت جميع الأدراج الموجودة في الكمودينة ووضعتها على طاولة الطعام، وأفرغت الخزائن. ثم نقلت الكمودينة بمساعدة باربرو إلى الصالة الشمالية، كان التغير ضرورياً جيّداً، فقد وُضع الصندوق بشكلٍ مثاليّ بين النافذتين. جلبت الأدراج والمحتويات، ورّبت كلّ شيء في مكانه، وجلست على السرير متعجّبةً من أنّ الأثاث لم يكن في مكانه الصحيح من قبل، وأننا لا نلاحظ أكثر الأشياء بدهاءة في الحياة، إلّا عندما تكون في مكانها الطبيعيّ.

لم تتعلّم إنغريد الكثير من اللغة الروسية من كتاب أرخانجيلسك. لكنّها نظقت الكلمات التي على السطر الأوسط ورسمتها، ولم يملّ الأطفال من الرسومات. أحبّت كايا التفسيرات التي توصّلت إليها إنغريد عندما قرؤوا

الاختلافات. كان ماتياس انتقادياً بالقدر نفسه، لكنّه أراد المزيد من التغيير، كما أراد التأليف بشكلٍ أكبر بمفرده. خطرت في بال إنغريد فكرة تعليمهم الحروف النرويجية على الأقلّ.

سرعان ما تبدّدت مثل دخان.

وعادت من جديد لكنّ مع شيء من المرارة بسبب إصرار ماتياس على استخدام يده اليسرى، واحتجّاه كلّما حاولت إنغريد إجباره على الكتابة باليمنى، رغم أنّه يكتب بيساره على تلك الأوراق الرمادية التي تقصّها وتصنع منها دفاتر صغيرة بخطّ أجمل من خطّ كايا التي تكتب بيمينها. وازداد الأمر تعقيداً في الشهرين الأخيرين عندما أصبح أخاً لا يفصل عن كايا، ابن المنزل المشرق، والفصل شتاءً والظلام طويل. لذلك، عندما زارهم دانييل من جديد، تركت إنغريد كايا وماتياس مع باربرو وذهبت معه إلى القرية.

في القرية، لم تذهب إلى متجر ماركوس، ولم تذهب فوراً زيارةً إلى بيت القسّ صموئيل كما كان المخطّط الأساسي، بل ذهبت إلى المكتبة العامة، التي تشغل الجزء الثاني من مكتب بنك الادّخار. وكان العمدة السابق هو نفسه مدير البنك والمكتبة معاً، وهو يدير أمور الكتب بالارتياح الصّحيّ ذاته الذي يدير به أموال الآخرين، لكنّه ببساطة سمح لإنغريد بإقناعه أن يفتح لها باب المكتبة ويطلعها على الموسوعة العلميّة.

قرأت إنغريد أنّ الشخص الأعسر، أو من يستخدم يسراه كما يقال أيضاً، يمكن أن يواجه مشكلاتٍ، خاصّةً إذا أُجبرَ على التصرف بما يتعارض مع طبيعته. وقرأت أيضاً بعض الكلام الغامض عن الفرق بين الفطرة والوراثة، لكنّها لم تتمكّن من فهمه، رغم أنّها أعادت قراءته مراراً وتكراراً.

تساءلت من وقتٍ إلى آخر ما إذا كان ينبغي أن يكون إيمانها بالله راسخاً أكثر، أو أن تضع ثقته في سيّد أكثر قدرةً من الربّ الرسميّ. لذا، دون حتى أن تُلقِي التحيّة على سفيتلانا وتشكرها على الكتاب، أسرع إلى صموئيل الذي بدا سعيداً برؤيتها واعتذر لأنه لم يكن لديه الوقت لزيارتهم في العام الجديد.

أخذها صموئيل إلى غرفة المكتب واستمع بصبرٍ إلى سرّيّ ماتيّاس، وتساءلت إنغريد: هل يمكن أن يكون لذلك علاقة بأنّه ابن خطيئة؟ تبدّلت تعابير القسّ، الذي جلس على مكتب والده العظيم. يا إلهي، هل تؤمنين بالخطيئة الأصلية، يا إنغريد؟! ماذا؟

قال بصوتٍ عالٍ مبالغ فيه: هل تعتقدين، أيتها المرأة الحكيمة، أن الأطفال يرثون خطايا آبائهم وأعمالهم؟ «ماذا؟»، قالت إنغريد من جديد، وشعرت بالخجل لأنّها لم تفكّر في الأمر، لكنّها أدركت أيضاً أنّها في كلّ الأحوال ما كانت لتسير غور القضية بسهولة.

بدا أنّ صموئيل قد فهم ما يقلقها، وقال بهدوء: لقد كان ليوناردو دافنشي أعسر. مثل عددٍ لا يُحصى من العباقرة الآخرين. وقد يتبيّن أنّ ماتيّاس معجزة، أو أنّه مجرد صبيّ عاديّ، طبيعيّ، مثل معظمنا، مجرد إنسان.

أرادت إنغريد أن تسأل من هو ليوناردو دافنشي، لكنّها بدلاً من ذلك فكّرت بصوتٍ عالٍ ما إذا لم يكن الصبيّ غريباً، على أيّ حال؟ غريباً؟

«نعم، إنه يتحدث عن هذا، ويقول إنه غريب. ولديه خيال مثل...»،
لم تستطع أن تجد الكلمات المناسبة، فأخبرته عن كتاب القراءة الروسي،
الذي اختلق منه الصبي قصصاً وحشية أكثر فأكثر، وفي كل مرة يضيف
أحداثاً وشخصيات أيضاً، بينما تطالب كايا إنغريد بتكرار القصة ذاتها
حرفياً.

«هذا هو الأمر إذاً»، قال القسّ وتنفس الصعداء، فصمتت إنغريد
وأخذت الأمر على محمل شخصي. في هذه الغرفة التي لم تتغير جلس
وعمل والد صموئيل، ولإنغريد معها العديد من الذكريات من أيام
الحرب، عندما أقامت هنا ووزعت اللاجئين على الكراسي والأرائك.
ولها فيها ذكريات سابقة على الحرب، عندما جلست مقابل مالميرغيت
العجوز وواجهت صعوبة في فهم كل من كلامه ودوافعه. وهنا جلس الآن
ابنه في الكرسي ذاته، وبدا أنه يفكر في أتعس أبناء رعيته.

طلب منها صموئيل أن تعود إلى بيتها وترك الصبي وشأنه.
لقد طردها.

لكن إنغريد لم تنته، ماذا عن استقلالية ماتيئاس. ففي البداية كان متعلقاً
بها مثلما تتعلق سخله بأمها، لكنه الآن يصبح أكثر استقلالية، إذا جاز
التعبير.

حسن؟

الدبية في كتاب سفيتلانا يمكن أن تقتل مثلما ترقص. فهو يمكن أن
يخلع ملابسه في منتصف النهار لينام، وسوف تفعل كايا الأمر ذاته. وماذا
غير ذلك أيضاً؟ نعم، يوم أمس نعت إنغريد بالخرقاء لأنها أخطأت بسبب
العجلة وخلطت بين الميمنة والميسرة.

ضحك القسّ وسأل ما إذا كان ما يزال يعاني من دوار البحر؟

كلّا، ليس حتى في الطقس السيّئ.

وما إذا كان ما يزال يتبوّل في السرير؟

نادراً، ليس أكثر من كايا.

وماذا عن الكوابيس؟

إنها تراجع تدريجياً، لكن ينبغي أن تضيء إنغريد الشموع.

الشموع؟

أجل، فإذا استيقظ خائفاً، لا يكفي اصطحابه إلى الأعلى في الصلاة الشمالية، فهو يطلب إضاءة الشموع ليرى الغرفة بأكملها. فتضيء إنغريد مصباحاً، فيستلقي ويتلفّث حوله، بهدوء، كما لو أنه يحصي كلّ ما هو موجود حوله، وهكذا حتى يهدأ ويغطّ في النوم من جديد.

هزّ القسّ برأسه متفكّراً وسألها ما إن كانت تحبّه.

ما هذا السؤال السخيف؟

أرادت إنغريد ذكر اسم نيلفي، لكنّها تجد صعوبة دوماً في لفظ اسمها.

فقال القسّ إنّ كلّ شيء على ما يرام إذاً.

أملت إنغريد جذعها إلى الورا ونظرت حولها، وتعرّفت من جديد على مصباحٍ قديم، ومن جديد على صورة، وعلى الثريّا ذاتها التي رأتها من قبل، ونمط الألوان ذاته على الباب ذاته.

نهضت، وقالت شكراً دون أن تنظر إلى صموئيل ونزلت الطريق إلى المتجر دون مرافقة. كانت السماء غريبة جداً فوقها، وغير مفهومة ومهدّدة، وفوق ذلك كلّها كانت تنسكب صمّتا فوق الريح.

خرج العمال من معمل الأسماك بعد انتهاء عملهم، ومشوا مثنًى مترٍ أو ثلاثمئة إلى بيوتهم لتناول العشاء مع أُسرهم، بينما أمضت إنغريد قرابة ساعة بين الوقوف والجلوس على رصيفٍ تعصف به الرياح، ثم ساعةٍ أخرى مع لغز الوراثة والفطرة الغريب الذي يدور في رأسها، كان عليها فقط أن تصعد إلى سفيتلانا وتطلب المبيت عندها، لكن، كلاً، فقد حصلت على أيّ حال على توصيلة مع قاربٍ متّجه إلى إيغا.

ثم كانت تجربة النزول إلى رصيفها الخاص، العودة إلى بارأوي بعد مثل هذا الجهد الذهنيّ الهائل. صعدت التلال بهدوء وحذرٍ باتجاه البيت، فالى المدخل الخارجي ثم إلى المطبخ، وتأكدت أثناء وجبة العشاء أنّ ماتياس يأكل بيده اليسرى. لقد لاحظت ذلك في المرّة الثانية التي جاء فيها إلى الجزيرة. في المرّة الأولى كان جائعاً للغاية ولم يكن قادراً على الكلام. الآن، هو يأكل كما يريد، ويتحدّث وفمه مليءً بالطعام.

مكتبة

t.me/soramnqraa

بعد شهر، في صباح يوم أحدٍ لطيف وهادئ، ذهبت العائلة كلّها إلى القرية. استيقظت إنغريد منذ الخامسة فجراً وأعدّت الفطور، وزوّادة الطريق، وجّهزت الملابس والمعدّات، وحالما انتهوا من تناول الطعام نزلوا إلى القارب.

رياحٌ جنوبيّة شرقية خفيفة، الأرض بيضاء، والبحر أخضر وصافٍ كما تتمناه كايا. جلست كايا وماتياس في مقدّمة القارب على بساطين، تحت فراء الأغنام، بالطريقة التي ينبغي أن يجلس بها أطفال بارأوي في القارب، بينما اهتمّت باربرو بالحبال والأشرعة، وقادت إنغريد القارب، وكان التقدّم بطيئاً.

في منتصف الطريق، توقفت الريح تماماً، واضطّروا إلى التجديف، لكنّهم وصلوا إلى الكنيسة في الوقت المناسب. فالיום هو يوم باربرو، أول ظهورٍ عامٍّ لها في جوقة الإنشاد منذ شهر تشرين الأول.

وتُنشد في الجوقة أيضاً الابنة الأكبر لعائلة ستورم، آنا كارينا، إحدى خالات ماتياس اللواتي لا يعرفهنّ. وقد اعتُبرت آنا كارينا أقلّ بنات العائلة حظاً، وعلى وجهها أمارات الاستسلام. هذا مصير العديد من بنات الأثرياء

اللواتي بلغن سنّ العنوسة، كما يُسمّى، بين الثلاثين والثانية والأربعين عاماً. خصوصاً، بعد أن قيّمت عائلة الفتاة جميع الرجال المتقدمين للزواج منها، ورأت أنّهم خفيفو الوزن بناءً على معيارين رئيسيين: مقدار الثروة ودرجة الغباء. وهكذا توصّلت عائلة ستورم إلى أنّ آنا كارينا ستبقى عزباء، نعم، لقد حُسم الأمر.

لم تأتِ إنغريد إلى الكنيسة من أجل إنشاد باربرو فحسب، بل لدراسة انطباعات الناس الذين سيرون ماتياس. وحتى هذه اللحظة، فإنّ جارة يوهانس العجوز، غودرون، هي الوحيدة التي بدا أنّها عرفتّه، وقطّبت حاجبيها، لكنّ غودرون كانت ما كانت عليه، ولحسن الحظّ ليس هناك الكثير من أمثالها.

رأت إنغريد آنا كارينا تتهامس مع باربرو، لكنّها لم تنظر مطلقاً باتجاه مقاعد سكّان بارأوي في الصف الثالث، وبينما كانت الجوقة تسير في الممرّ وتنشد «جميلة هي الأرض»، كجزء من خاتمة القدّاس، التي ينبغي أن يكون القسّ صموئيل ألفها شخصياً، أو جلبها معه من بادربورن، لم تنظر آنا كارينا البتّة باتجاه ماتياس، الذي دفعته إنغريد إلى الأمام وجعلته مرئياً قدر الإمكان.

بعد الحماّم الحمضي المنعش للمحادثة بخصوص اليد اليسرى، أمّلت إنغريد في التحدّث إلى القسّ، فتبعت رواد الكنيسة الآخرين إلى خارج الهيكل المطلّي باللون الأبيض، ووقفت في الطابور لمصافحة القسّ الشهيرة، والتي لم ينسَ فيها القسّ صموئيل قياس حرارة رفاية أبناء الرعيّة بمصافحته لهم، دون أن ينسى أحداً، وتبادل معهم كلمات صغيرة وكبيرة، بصوت عالٍ وخفيض، أجاب عن أسئلة، وأخذ بعضهم

جانباً لإجراء نقاش أكثر تعمّقا، وكانت محادثات قصيرة لأنّ المنتظرين في الطابور كُثُر، تفاعلُ شخصي بين العلماني ورجل الدين الذي جذب المزيد من الضوضاء إلى الكنيسة أكثر من أيّ وقتٍ مضى، ومع كلّ هذا السلام قد يعتقد المرء أنّ الحاجة إلى الربّ تقلّ أكثر فأكثر.

عندما حان دور إنغريد، عبّرت عن شكرها العميق لصموئيل لشرحه النيرّ عن عسر اليد، وعن غباء تفكيرها.

لم يردّ صمويل على هذه التعليقات، بل ابتسم ابتسامة شفقة، ثم انحنى نحو الطفلين، وجلس على ركبتيه حتى تجعّدت عباءته في الثلج. سألهما عن اسميهما وأعمارهما، وحصل على بعض الإيماءات الخجولة، واستمع إلى قصّة ماتياس عن كيف دفعتهما الريح في الطريق إلى هنا، وكيف جلسوا معاً بين مجاديف القارب عندما حان دورهما بالتجديف. ضحك صموئيل بصوت أعلى من اللازم، وشعر الطفلان بيديه الثقيلتين على رأسيهما عندما نهض واقفاً كما لو أنه كان يستند عليهما كعكازتين، ونظر مرّة أخرى إلى إنغريد التي كانت تغمغم بصوت غير مسموع تقريباً، متمنّية لو تستطيع أن تتبنّى ماتياس، بدلاً من كونها مجرد وصيّة عليه، عندئذٍ ستكون أكثر طمأنينة وصلابة.

كان يكفي أن تنظر إلى وجه القسّ.

لا لا، لا داعي للتسرّع، وانطلقت عائدةً إلى داخل الكنيسة ثانية، وأوماً صموئيل برأسه واستدار لمقابلة الشخص التالي.

كانت باربرو واقفةً عند البوابة الحديدية برفقة سفيتلانا وامرأة أخرى، لم تقابلها إنغريد من قبل، إنها ليزا، مديرة بيت القسّ الجديدة، مخلوقةٌ

لطيفة وسمينة، قالت لإنغريد إنها سمعت الكثير عنها. هزت كلّ منهما برأسها للأخرى، وقالت سفيتلانا جملةً طويلة باللغة الروسية، وضحكت بصوت عالٍ من حيرة إنغريد، وقالت إنّ الكتاب الذي أرسلته لها لم يكن ذا فائدة كبيرة، لكنّها أحضرت لها الآن صندوقاً.

طلبت منها إنغريد أن تنتظر قليلاً، ثم أخذت باربرو جانباً وسألتها ما الذي تهامست به هي وأنا كارينا عندما كانتا في الجوقة، لقد رأيتهما تتهامسان؟

فكرت باربرو قليلاً وقالت إنّ أنا كارينا سألتها كيف تسير الأمور في الجزيرة، وكيف حال الأطفال.

ماتياس؟

كلّا، الأطفال.

ألم تذكر اسمه؟

كلّا...، قالت باربرو.

هل أنت واثقة؟

لم تكن باربرو واثقة.

لكنكما تهامستما كثيراً. لقد لاحظت ذلك!

ابتسمت باربرو وقالت إنّ أنا كارينا كانت تُثني على صوتها، والنعّامات النقيّة.

استسلمت إنغريد وعادت إلى سفيتلانا، التي ركبت درّاجتها ثلاثية العجلات، وهي درّاجة مزوّدة بصندوق له حواف متأرجحةٌ مثبتةٌ فوق العجلتين الأماميتين لنقل الأشياء، وفي صندوق الدّراجة شيءٌ يشبه نصف

صندوق بيرة، من ماريان فولهايم في تروندهايم. كان غطاء الصندوق مُسمّراً، وليس لدى سفيتلانا أيُّ فكرة عن محتوياته. وهناك رسالتان أيضاً، واحدة من ماريان، والثانية من فريدريك في لوفوتن. شهر آذار على الأبواب، وقد شارف الشتاء على الانتهاء، وتلقّت إنغريد أول أمانة حياة من سكّان كارفيكا بعد أن غادروا بارأوي.

سُمح للطفلين بالجلوس في صندوق درّاجة سفيتلانا، التي قادتهما مع الصندوق الصغير إلى الرصيف، بينما ذهبت إنغريد وباربرو لزيارة ما تعتقدانه قبر نيلفي، ثم لحقتا بهما.

السماء زرقاء، تتخلّلها بعض السحب الخفيفة، وكانت هناك الرياح الجنوبية الشرقية الضعيفة أيضاً. جلسوا عند خليج دافى وتشاركوا الطعام مع سفيتلانا، وتحدّثوا حتى أصبح الجوّ بارداً، واستنفدوا الوقت حتى آخر لحظة، ثم وضعوا الصندوق في القارب، ولقّوا الطفلين بفراء الأغنام وأبحروا عائدين إلى المنزل في رحلة بحريّة هادئة.

تبيّن أنّ الصندوق الخشبي يحتوي على ثماني زجاجاتٍ سعة ليتر من عصير التفاح، ملفوفة جيداً بنشارة خشب تشبه الصوف، ومغلقة بإحكام بسدادات فلّين. لم يكن الأمر يتعلّق بالتركيز، هذا ما اكتشفوه بعد أن أدخلت إنغريد، بجهدٍ كبير، مسماراً في سدادة الفلين ووسبتها بالمخل. لقد كان طعمها سماوياً، حلواً وطازجاً وإلهياً لدرجة أنّ إنغريد أدركت على الفور أنه يجب حفظها لا شربها.

لكن، هناك شيءٌ غريب في كلتا الرسالتين.

كتبت ماريان إنها تحدّثت عبر الهاتف مرّةً أخرى مع سوزانا، وتلقّت منها رسالةً، من أوصلو، أيضاً، وأرفقها لك هنا.

قرأت إنغريد رسالة سوزانا في المطبخ، ومن الواضح أنّ علاقة سوزانا وماريان قد أصبحت حميمةً جداً، واطمأنت إنغريد الآن أنّ سوزانا لم تنتقل إلى غرفة، لأنّها كانت ضيّقة جداً، لكنّها تعيش في شقّة من غرفتين مع صديقة في أوفر فوس، وتذهب يومياً إلى العمل في المصنع وتمضي وقتاً ممتعاً. وتحدّثت عن الملابس والأحذية، وعن المطاعم، وعن الرقص والمرح، الذي تمضي فيه سوزانا وقت فراغها.

من الواضح أنه لدى سوزانا كثيراً من وقت الفراغ، لكنها أكدت لماريان أنها تعمل ساعاتٍ إضافية يوماً في الأسبوع، كما تعمل كلَّ ثاني يوم أحد من الشهر.

لكنّ الموضوع الأهمّ في الرسالة كان قلق سوزانا الكبير بشأن ابنها فريدريك، الذي كتب لها من لوفوتن عن يومٍ لا يُنسى، في البحر، لأنَّ أحد أفراد الطاقم قد كُسِرَ ذراعه، واضطرَّ فريدريك وهانس إلى المشاركة في فلق السمك وجمع العوامات.

كانت تجربةً قاسيةً، ومن الواضح أنها أفقدته صوابه. لقد فوجئوا بعاصفة، واضطروا لقضاء ستِّ عشرة ساعة في سفينتهم الصغيرة، وأصيبوا بكدماتٍ في جميع أنحاء أجسادهم وجروح في أيديهم لم تلتئم بسبب الملح والرطوبة. لكن لحسن الحظّ، نجح لارس في الرسو بهم على البرّ مرّةً أخرى، حيث احتاجوا في البداية إلى مساعدة شخصٍ إضافيّ ريثما تعافت أيديهما المصابة.

تساءلت إنغريد: يعملون بدوامٍ كامل؟ ماذا عن المدرسة إذا؟ كانت سالتها مر تنطلق من مرساها في الساعة الرابعة صباحاً ولا تعود قبل ما بين السادسة مساءً ومنتصف الليل، عندئذٍ يبدأ ثلاثة رجال بتنظيف طنٍّ أو اثنين أو أربعة أطنان من سمك القدّ قبل أيّ حديث عن النوم، ومن الأفضل أن يكون ذلك قبل أن يخرجوا إلى البحر مرّةً أخرى.

لكنّ طاقم السفينة تمكّن من النوم حتى الساعة السادسة. وعندما تخلّصوا من تلك الجروح اللعينة، تمكّنوا من معالجة ثلاثة خزّانات كاملة، كما كتب فريدريك لأمه بمزيجٍ من الحروف المتداخلة والخطّ المائل، على أربع صفحات، لذلك، لا تقلقي يا أمي.

لكنّ سوزانا قلقت على أيّ حال، وإن لم يكن بسبب الدراسة تحديداً،
لكن بحق كلّ الأشياء، لماذا تتوجّه سوزانا إلى ماريان فولهايم؟

الأمر الثاني، هو أنّ تقرير فريدريك من البحر كان على الأرجح أكثر
مصادقيّة من كلّ الرسائل التي اعتادت إنغريد أن تتلقاها، بمضمونها
الجافّ عن الصيد وعدم وقوع أحداث سيّئة، وسلامات من لارس، وقبله
سلامات من والدها هانس، وقبله سلامات من جدّها مارتين.

سالتها مر سفينّة قويّة كما عهدتها إنغريد، ولهذا السبب ربما لم ترسّ
قطّ تقريباً، تبحر ستّ عشرة ساعة أو ثماني عشرة ساعة في الظلام الدامس،
وفي عشر درجاتٍ تحت الصفر، في بحرٍ متلاطم الأمواج فوق سطحها
المفتوح والنابض بالحياة إلى الأبد، ستة أيّام في الأسبوع.

لكن كان عليها أن تقرأ هذا أيضاً في تقرير غير مباشر من خلال سوزانا
عبر ماريان فولهايم، وهذا التفافٌ واجهت صعوبةً كبيرة في فهم مساره.

بعد الطعام، ذهبت مباشرةً إلى العلّية وقرأت رسالة سوزانا مرّة ثانية.
ولم يصبح الأمر أفضل عندما فتحت أخيراً الرسالة التي كتبها فريدريك
لها. عزيزتي إنغريد، وهنا وجدت على الفور نسخة مصغّرة من رسائل
لارس المقتضبة، عن الصيد الجيّد والطقس الجيّد، تحيّاتي، فريدريك،
ولك تحيات من هانس ومارتين أيضاً.

هل كتب فريدريك إلى إنغريد بقلم تمسكه يدٌ غيره؟

تحت إشراف لارس أو فيليكس، كي لا تتزعج العجائز في المنزل؟
هذا منطقيّ، على الأقلّ.

نظرت إنغريد إلى التاريخ فوق الطابعين وأجرت بعض الحسابات

الذهنية البسيطة. حسناً، لقد كتب فريدريك إلى سوزانا قبل أكثر من شهر من كتابته إلى إنغريد، ربما قبل أن يتلقى التعليمات حول كيف يصوّر حياة الصيد الوردية؟

هل وجدت عزاءً في ذلك؟

حسناً. جلست إنغريد إلى كمودينة الأدراج في الصالة الشمالية. الدرج الأعلى إلى اليمين له قفلٌ، وهناك تحتفظ برسائلها، وبشهادات الميلاد والمعمودية، صكّ الزواج، والرسائل التي كتبتها ولم ترسلها، رسائل ربما ندمت على كتابتها، والتي لم تحتمل مراجعتها، ولذلك وجدت نفسها بين مجموعة من رسائل القلق والندم.

وتوجد فيه أيضاً رسائل تلقتها، ولم تحرقها، رسومات أطفال، سند ملكية العقار، صكّ الوصاية، وكان بينها على الأرجح العديد من إيصالات الشراء المختلفة أيضاً، التي جلست تحدّق فيها بينما يجري شيء ما في مكانٍ بعيد في ذاكرتها.

ما الذي أثار هذا الضجيج هنا؟

فاتورة معطف، أمكنَ شراؤه بعد صفقة بيع ريش عيدر ناجحة. بوليصة شحن لاثني عشر طناً ونصف الطنّ من سمك القد. فاتورة شراء شباك لصيد الرنجة، ووقود، وبالة من حجر الأردواز... هل تخيلت إنغريد ماريا بارأوي أنه ستكون هناك فرصة ذات يوم للإعلان عن مجموعة من أحجار الأردواز من ألتا؟

نظرت إنغريد إلى الرسائل الثلاث الجديدة، وضعتها فوق كومة الرسائل المهمة الأخرى، ثم جمعت الرسائل غير المهمة، نظّفت درجاً خاصاً للرسائل من الأوساخ، ونزلت إلى الطابق السفلي وألقتها في الموقد

وهي تشعر بأنها قد أنجزت شيئاً. أحبّت إنغريد هذا الشعور، وبحث عنه دوماً، الشعور بأنها أنجزت شيئاً ما، لكنّها ولهذا السبب لم تتخلّص من الشعور بفقدان شيء ما، فقدان ألفة فريدريك، وسوزانا، وماذا عن الآخرين؟

في صباح اليوم التالي عادت إنغريد إلى كمودينة الأدرج -وكان المطر في الخارج يهطل مائلاً وغزيراً- ومعها ورقة وقلم رصاص، وبدأت في كتابة رسالتين في الوقت نفسه تقريباً، واحدة لماريان فولهايم والثانية لفريدريك. كانتا رسالتين سهلتين، شكراً على العصير، الجميع بصحة جيّدة، الربيع على الأبواب، نتطلّع إلى رؤيتكم من جديد.

لكن ما يزال هناك عنوانٌ آخر غير مستخدم، عنوان سوزانا في أوفر فوس، سايلدوكس غاتا، أوسلو. وكانت هذه هي المهمة الأصعب.

أدركت إنغريد أنه هنا ينبغي فقط أن تتّبع النمط التقليدي في كتابة الرسائل واستعمال الصيغ ذاتها التي عفا عليها الزمان، الصيغ الشتوية، بعض الكلمات المكرورة ويُفضّل أن تكون عن الطقس السيئ، والصيد الهزيل الذي تمكّنت هي وباربرو من تعليقه على السقالات هذا الشتاء، ويمكن أن نتحدّث عن انتشار بضع مئاتٍ من العوارض الخشبية من البحر، خصوصاً أننا اثنتان فقط، وينبغي أن نصطاد بالقرب من الشاطئ طوال الوقت، لنتمكّن باستمرار من مراقبة الطفلين، اللذين لديهما أوامرُ بالبقاء في مرمى النظر دائماً، لكنّهما لا يلتزمان بذلك البتّة، وصحّتهما جيّدة.

محت إنغريد عبارة بقاء الأطفال في مرمى النظر، واستعاضت عنها

بملاحظة أكثر صدقاً عن الطقس، وجاد قلمها بعبارات أكثر تصالحيّة: لقد ترك غياب سوزانا فراغاً كبيراً، إننا نفتقدك كثيراً، نحن الأربعة. وختمت إنغريد الرسالة بأنها تلقت مؤخراً رسالة من فريدريك، بالتالي يمكن لوالدة الصبي أن تشعر بالرضا لأنّه يمضي وقتاً رائعاً في لوفوتن، ويستمتع بالعمل مع هانس ومارتين والتوءمين. وهم يذهبون إلى المدرسة، ويتطلّعون إلى العودة إلى المنزل.

محت ما يتعلّق بالمدرسة وتلهّف الأولاد للعودة إلى المنزل أيضاً، وكتبت إنّها كانت تأمل حقّاً أن تكون أمور سوزانا على أحسن ما يرام، وأنها تفكّر فيها طوال الوقت، كما تفكّر أمّ بابتها، وتتطلّع إلى أن تسمع أخبارها منها مباشرة.

لكن هل ينبغي إرسال هذه الرسالة أم أرشفتها؟

تركت إنغريد الأمر عند هذا الحدّ، وانهمكت في المهام المنزلية اليومية، ثم حسمت أمرها وأرسلت الرسائل الثلاث مع دانييل عندما جلب لهم في نهاية الأسبوع القهوة والسكر والدقيق وطبقين من بيض الدجاج، وبعض الصحف القديمة من سفيتلانا، أيضاً. لكن لا رسائل لإنغريد اليوم، وقد كانت سعيدة لذلك.

- 15 -

لقد أمضوا طيلة النهار في ترتيب البيوت التي ستسكنها طيور العيدر التي ستزحف مرةً أخرى خارج البحر، وتبني أعشاشها المعجزة، وتضع بيوضها ذات اللون الأخضر الزيتوني الباهت، وتجلس عليها حتى تظهر حياةً جديدةً تحتها. في وقتٍ ما بين شهري أيار وحزيران، ستظهر فراخُ عيدرٍ صغيرةٌ لديها فكرةٌ واحدة فقط في رؤوسها: البحر.

أين هو البحر؟ تفكّر فراخ العيدر عندما تخرج منقارها بحرّيةً من البيضة.

تنزل الفراخ عادةً المنحدر صوب البحر، ربما بمساعدة الجاذبية، أو تتوجّه وفقاً لحركة ذيل الأم التي تنهادى هزيلةً وهي تقودهم بفعل الواجب إلى الأسفل.

البحر هو الخلاص.

أخبرت إنغريد كايا وماتياس عن هذا الطقس السنويّ الغامض الذي يمكن للبشر أن يضبطوا ساعتهم من خلاله، وهو مزيجٌ ممّا نفهمه وممّا يمكن أن نتخيّله عندما ننظر إلى حيوان.

لقد أبدعت إنغريد هنا، واستوحت من براعة ماتياس الجامحة، لأنه

ليس من الضروري فحسب، بل ربما لوجود متعة أيضاً في إخبار أولادنا وأحفادنا عما تعلّمناه وخبرناه بأنفسنا، نحن نبذل قصارى جهدنا.

سألها ماتياس: ماذا تعني بكلمة «الأحفاد»؟

ماذا؟ قالت إنغريد.

كان الطقس سيئاً، مطرٌ ثلجيّ، ورياح قويّة، لكن ليس لدرجة أن تمنع الطفلين من الخروج معهما. كانت باربرو تغني. فيما إنغريد تضع ألواحاً حجرية فوق بيوت البيض، أو تعيد ترتيب صناديق الأسماك القديمة، تفرش القشّ والأعشاب البحرية الجافة كأثاثٍ لما سيصبح أعشاشاً، لا، بل عروشاً، للملكات. رفضت طلب الطفلين: الغناء لهما، إنغريد لا تجيد الغناء، استمعا إلى باربرو. لكنّها كانت قادرة على الأقل أن تتمرّج معهما في نبات الخلنج البنيّ الحزين، وتحتضنهما بحرارة وحماقة لدرجة أنه حتى باربرو تضطرّ إلى قلب عينيهما.

ثم عادوا إلى البيت، علّقوا ملابسهم في المدخل الخارجي، على المشاجب على اليمين واليسار، على الميمنة والميسرة، ثم إلى المطبخ، الذي كان بارداً كالفلّين. أشعلوا النار، أعدّوا الطعام، وشربوا أربعة أكوابٍ مُقَنّنة من عصير التفاح، ارتفعت درجة حرارة الغرفة، فخلعوا سترةً أخرى، كتب الطفلان حروفاً جديدة على الورق الأبيض الذي وفرّته لهما إنغريد، وقلمَي تلوين، وتساءل ماتياس ما إذا كانت طيور العيدر غبيةً مثل الأسماك، لتسمح لنفسها بالوقوع في الأسر في هذه المنازل المظلمة.

أرادت إنغريد أن تقول شيئاً حكيماً عن الفرق بين الأسر والصداقة، فطائر العيدر هو صديق الإنسان الأكثر إخلاصاً، في الصيف يكون ألطف من الدجاج وفي الشتاء شرساً مثل نسر. لكنّ وميض ضوء، قنديل كاز، يمرّ

بسرعة عبر زجاج النافذة المبلّل ثم يختفي في المدخل الخارجي، ويدخل القسّ صموئيل، مبتلاً وفرحاً، ويقبّل باربرو وإنغريد على خديهما، ويصافح الصغيرين. تصرّ إنغريد على أن يعلّق سترته المطريّة وجاكيته الشتوية فوق الموقد، وتعيره زوجاً من الجوارب، وتسأله هل يريد أن يأكل؟
بالتأكيد، يريد أن يأكل.

تعتقد إنغريد أنه جاءها بإجابة عن سؤالها الذي غمغمت به عندما كانت تقف أمامه خارج الكنيسة منذ قرابة شهر، الجواب الذي سيوحّد مرّة وللأبد بين مصير ماتيّاس ومصير بارأوي. لكنّ صموئيل هنا الآن لسببٍ مختلف تماماً، ويخبرها وهو يتناول القهوة أنّها تعرف بالتأكيد أنه ليس عالم لاهوت فحسب، بل هو مؤرّخٌ أيضاً، ولهذا السبب لا يمكنه أن يقضي حياته على هذا الساحل الجميل دون أن يترك وراءه أثراً مكتوباً.
لا، لا تعرف إنغريد ذلك.

يضبط نفسه، ويتظاهر بالتفكير في طريقة يشرح بها لهذه الإنسانية البسيطة أنّ الحياة على الساحل تستحقّ سرداً تاريخياً شاملاً للأجيال القادمة.

هاها، كلا، لا تستطيع إنغريد أن تتخيّل ذلك، ما هو الهراء الذي توصّل إليه؟

يقول صموئيل إنّ الساحل يتمتّع بأهميّة كبيرة.

تبقى نظرة الحيرة ذاتها على وجه إنغريد.

يستجمع أفكاره، ويقول: كم طناً من الأسماك سلّمتم إلى مصنع الأسماك خلال السنة الماضية؟

تشعر إنغريد بالذنب فهي لا تعرف بمَ تجيب.

يجيب بنفسه على السؤال: أحد عشر طناً. هذا ما ملّحتموه وجفّتموه خلال السنة الماضية، هنا، فقط في هذه الجزيرة. يضاف إليه لحم الحيتان وما يأتي به الرجال من لوفوتن خلال فصل الشتاء. في السنين المباركة يبلغ قرابة مئة طن. وهناك أسماك الرنجة والبولاك. لكنّ أحد عشر طناً من جزيرة واحدة! هل تعرف إنغريد كم جزيرة في هذا الساحل مثل بارأوي؟ لا.

لقد توقّعتُ ذلك. هل نقول ألف؟ هذا على الأقل، هاها. وهل تعرف إنغريد كم هو سعر الكيلو من هذه الأسماك في إيطاليا والبرتغال وإسبانيا، أرض البكالاو؟ وفي هنغاريا؟

لم تفكّر إنغريد قطّ في سعر كيلو السمك في هنغاريا.

لكنّها تسمع به الآن.

وهذه معرفةٌ صادمة.

هل يمكن أن تخبرني؟

تضحك إنغريد ضحكةً هي نفسها لا تثق بها، لأنّها تضحكها عادةً عندما تكون في حيرةٍ من أمرها.

يصمت القسّ برزانة. ويستثمر فترة الصمت هذه لمتابعة الصغيرين، اللذين يلعبان على أرضية الغرفة، بابتسامة مخصّصة لهما.

تسأله إنغريد هل يرغب بمزيد من القهوة؟

لا.

ثم يقول نعم، ويدخل في الموضوع مباشرةً: هذا الآخرق من رعايا الكنيسة، هنريكسن، رئيس المخفر السابق، حرق في الخريف الماضي بيته

وبضربة واحدة أيضاً كتابين من كتب الكنيسة، مصدرين لا غنى عنهما لأي مؤرخ. ولهذا السبب يضطرّ صموئيل إلى التجوال بين القرى ويطلب من الناس إبراز وثائقهم الشخصية والسماح له بأخذ صورة عنها. تنتظر إنغريد.

يومئ صموئيل برأسه إلى حقيبة سوداء كبيرة جلبها معه ووضعها بجانب صندوق الحطب عندما دخل الغرفة. يحمل الحقيبة ويضعها على الطاولة، يفتحها ويخرج منها جهاز تصوير يبدو باهظ الثمن، مصباح فلاش، سلكاً وزرّ تشغيل، حاملاً ثلاثياً، ويوضح أنّه ليس بوسعه أن يطلب من الناس تسليم وثائق معموديتهم، وصكوك زواجهم، لكن ربما سيسمحون له بتصويرها؟ لقد تجوّل بالفعل في جزء كبير من القرية، وعشرين جزيرة، والناس متعاونون جداً، وكان بعضهم فخورين به.

ترى إنغريد الفرصة على الفور، وتظاهر بأنّ عليها التفكير فيها، وتردّد أكثر قليلاً، وتقول إنها لا تعرف ما لديها في المنزل، لكنّها تعدّ بالبحث عنه. ماذا؟

ينظر إليها القسّ بترقب.

«الآن؟» - تتساءل إنغريد في دهشة - «الآن، فوراً؟».

يزفر صموئيل بسخط. تغمغم إنغريد بنعم، بالتأكيد، لكنّ الأمر قد يستغرق وقتاً، وهناك حقاً شيء آخر أرادت حلّه، إنه التبنّي؟

«آها»، يقول صموئيل، ينهض ويعبث بالكاميرا ويُرِيها للصغيرين، يفتحها ويشرح لهما، ويضع فيها لفافة الفيلم. لكنّ إنغريد تبقى جالسةً في مكانها وليس لديها أيّ نيّة للذهاب إلى العليّة لجلب صكوك الزواج القديمة.

يستسلم صموئيل ويشير إلى الطفلين. تطلب إنغريد منهما الذهاب وترتيب سريريهما، وهو ما لا يُسمح لهما عادةً بفعله بمفردهما، لأنه بعد ذلك ينتهي بهما الأمر تحت اللحاف نفسه.

يذهب الطفلان ويتحدّث صموئيل بصوتٍ خفيض بأنّ أولافيا قد تصبح عقبةً، أولافيا ستورم هارتفيسن، التي يبدو أنها على قيد الحياة أكثر من زوجها المفقود. وفي هذه الحالة، تحتاج إنغريد إلى موافقتها. ولكن من الممكن حلّ المشكلة من خلال طلبٍ رسميٍّ وعلميٍّ، وتحديد مهلةٍ زمنية، وإذا لم يبلغ الشخص المناسب بحلول الوقت الذي تنتهي فيه المهلة، فقد تكون هناك فرصة. مثل الإعلان.

تعرف إنغريد ما هو الإعلان.

وهل سيعترض آل ستورم؟

لا يستطيع صموئيل أن يجزم بذلك، لكنّه يقول من أجل المزيد من الأمان إنّ بوسعه التحدّث إلى آنا كارينا، التي يعرفها جيّداً، ربما يجعلها تتصلّ بأختها.

وإذا كانت عائلتها تعرف فعلاً أين هي؟

يبتسم صموئيل ابتسامة تقدير، لكنّه لا يرجّح ذلك كثيراً، ويقول بشكلٍ غير مفهوم إنه بصرف النظر لم يمضِ وقتٌ طويل على انتهاء الحرب لتتوقّع إنغريد المتاعب من هذا الجانب. لكن لماذا هذا الاندفاع؟

تعتقد إنغريد أنّ الأمر يبدو واعداً. لكنّها لم تذكر مشاعر الصبيّ أو مشاعر كايا أو مشاعرها هي، وجميعها مشاعر يفهمها المرء، إذا كان لديه عيونٌ ترى. فقد شعرت بالتردّد حيال هذا الأمر خلال خريفٍ طويل

وشتاء أطول، أن ماتياس ليس نيلفي، وأن ماتياس سيعيش، وأن إنغريد هي والدته، وأنه لا يستطيع مغادرة الجزيرة أبداً.

يتظاهر صموئيل بأنه يأخذ الأمر على محمل الجدّ ويعد بأن ينظر في الأمر.

ينظر في الأمر؟

تحقق فيه إنغريد منتظرةً وعداً قاطعاً، كما تفهمه، من القسّ صموئيل ببذل قصارى جهده لإتمام عملية التبني.

ومع ذلك، تمنح نفسها المزيد من الوقت، وتبتسم للطفلين اللذين ينزلان مرةً أخرى، وتبتسم لكايا التي تقول إنها كبيرة جداً للجلوس في حضنها، ولديها كرسيّها الخاص، وهذه أهميّة الكراسي في المنزل. وتعلق آخر: كيف سيعود القسّ إلى منزله، هل يريد المبيت هنا؟

يتسم صموئيل ويقول إنه يريد ذلك، لأنّ صياديّ القرش اللذين أوصلاه إلى هنا لن يعودا قبل صباح الغد.

تهزّ إنغريد برأسها وتقول إنّ باربرو يمكن أن تفتح له غرفة سوزانا، وتصعد هي إلى الصالة الشمالية وتفتح الدرج الأيمن في الكمودينة وتفترز الوثائق عن الرسائل، وتعيد ما لا ينبغي أن تراه عين إنسانٍ ولا عين الربّ. وتقلّ الدرج وتنزل عائدةً إلى الطابق السفلي.

في المطبخ ترى أنّ صموئيل قد بدأ بتصوير الطفلين، يوقفهما كلّاً على كرسيّه، وباربرو بينهما، ويطلب منهما الابتسام عند إشارته، والضحك عالياً عند طلبه أيضاً، وأن يصطنعوا نظرةً جادة. ماتياس، استلق على الطاولة وتظاهر أنك ميت! وأنت أيضاً، يا كايا!

تنضمّ إنغريد إلى موضوع الصورة وتقف بجانب باربرو وعلى وجهها ابتسامةٌ خفيفة. بعد ذلك يثبت صموئيل الكاميرا على الحامل، ويوجه عدسة الكاميرا إلى سطح الطاولة، يشدّ سلك زرّ التصوير ويَزِنه بيده مثل سلاح. تضع إنغريد الوثائق تباعاً، صكّ زواج والديها، شهادات معموديّة الجدّين، وشهادة تعميدها، وشهادة تعميد لارس، وكايا... ومعظمها يحمل توقيع والد صموئيل بخطّه اليدوي الفخم، لكن بألوان حبرٍ مختلفة فقط، فيما يضغط ابنه صموئيل الآن على الزرّ في نهاية السلك ويخلّدها في ومضات فلاش صغيرة، معموديات، تواريخ، عناوين، تاريخ عائلة بارأوي كما هو مدوّن في الوثائق الرسمية، وهذه أشياء ليست كبيرة حقّاً، إنها ضئيلة جدّاً، كما يقول القسّ فجأةً، مثل الآثار الصغيرة جدّاً لكلّ هذه الأرواح، وهذا هو بالضبط عمل المؤرّخ، إذا كانت إنغريد تفهم قصده.

من الصعب وصف فرحة الطفلين عندما يرفعهما صموئيل إلى الطاولة ليتمكّنا من النظر في عدسة الكاميرا بعينٍ واحدة، وقراءة علامات لا يفهمانها، لكنهما يتعجّبان من كونها تصبح واضحةً وقريبة. «اضغط» -يقول القسّ- «اضغط ثانية».

بعد تصوير الورقة الأخيرة، يسأل إنغريد ما إن كان لديها رسائل أيضاً، من وإلى والديها، أجدادها؟ رسائل من لوفوتن؟

تقول إنغريد إنها لا تحتفظ بالرسائل.

يجد صموئيل صعوبةً في تصديق ذلك.

من الواضح أنّ إنغريد تعتبر شكوكه إهانة، ويُدرك كما يبدو أنه، مرّة أخرى، قد لامس الخطّ الأحمر لدى إنغريد.

فيسأل متى يخلد الطفلان إلى النوم؟

تأخذ إنغريد كايا وماتياس معها إلى الطابق العلوي وتضع كلاً منهما في سريره، ولكن بعد تلك التجربة الروحية في المطبخ، تجد نفسها مضطرة لقضاء وقتٍ أطول من المعتاد معهما. فهي لا تقرأ الآن كتاباً روسياً أو «هوف وأوف»، بل تحكي عن جزيرة في البحر لا يعيش فيها سوى الطيور، ثم فجأة يأتي بعض الناس بهدوء ويتعجبون من جمالها، يناقشون ما يمكنهم فعله في هذه الجزيرة، ما الذي يمكن للناس فعله بجزيرة! يتحمس ماتياس كثيراً، فلا يوجد شيء لا يمكنك استخدام الجزيرة من أجله، وحده الخيال هو الذي يضع حدوداً للجزيرة، مثل البحر.

تنهض إنغريد باكراً، تشعل الموقد، تستحم وتعدّ الفطور، تسلق خمس بيضات دجاج وتضعها على الطاولة برؤوسها المديبة متقابلة فتبدو مثل بتلات زهرة.

تستيقظ باربرو، تنزل وتستحم. تشربان القهوة. تقطع إنغريد الخبز، تحضر باربرو الزبد، ولفائف لحم الضأن، وجبن مصل اللبن من المخزن، تعدّان الطاولة. سكاكين.

يستيقظ الطفلان وينزلان إلى الطابق السفلي، وهما يرتديان ملابسهما اليومية، وتساءلهما إنغريد ما إن كانا قد ناما جيداً، لكنهما لا يكلفان نفسيهما عناء الردّ على سؤالها.

لكن لا صوت من صوب القسّ.
قسّ ينام في بيتهم، لأول مرة في تاريخ بارأوي، ولا يستيقظ.
إنهم ينتظرون.

تسأل إنغريد ما إذا كانت كايا قد استخدمت النونية الليلة الماضية؟
أجل.

اصعدي واجلبها وأفرغها حيث تعرفين.

تصعد كايا وتجلبها، تخرج إلى الحديقة ويرتفع صوت عويلها تحت
المطر المستمر في الهطل، يصعد ماتياس على الطاولة كي يستطيع رؤيتها
عبر النافذة، ويضحك ويقوم بإيماءات محمومة بيده اليسرى.

تطلب منه إنغريد توخي الحذر كي لا يوقع البيض. ينتبه ماتياس إلى
وجود البيض، فينزل إلى كرسيه ويجلس وهو ينظر متعجباً.

تعود كايا وتناول النونية إلى باربرو، فتغسلها تحت الصنبور وتجففها
ثم تعيدها إلى كايا، التي تصعد بها إلى الطابق العلوي، وتبادل باربرو
وإنغريد النظرات، تهزان أكتافهما، ثم تلبسان ستراتهما المحبوكة وتذهبان
إلى الحظيرة. تقدّمان العلف للحيوانات، تدفعان الروث بالمجارف عبر
الفتحة، تجسّان بطون الأبقار الحوامل، وتعودان إلى الداخل، وتجدان
إحدى البيضات على الأرض.

يستيقظ القسّ صموئيل مالمبيرغيت في سرير غريب وليس لديه أيّ
فكرة عن مكان وجوده. ويرى خارج النافذة أمطار الربيع الغزيرة ويقرّر أن
يأخذها كمصدر إلهام.

أين أنا؟

إنه موجود في إحدى الجزر التي يريد أن يؤلف عنها كتاباً في يوم ما،
وهي واحدة من آلاف الجزر التي على وشك أن يكتشف أهميتها. يعود
للنوم ثانية فيرى والده وجميع إخوته الذين فقد الاتصال بهم، مبشرين

في كلّ الاتجاهات، باستثناء أخيه الأكبر، الذي يعيش في بيرغن، ولكن في الحلم يراهم جميعاً معاً، كما كان الحال في حياة والدهم، ويرى أنهم ينتمون واحدهم إلى الآخر، أنهم واحد.

يستيقظ صموئيل ثانيةً بفعل دغدغة ريشة عيدر في اللحاف، وما يزال لا يعرف أين هو.

لكنّه على الأقل، يستيقظ الآن، يرتدي ملابسه ويخرج إلى غرفة معيشة فارغة، ويخطو إلى ما يسمّيه الفقراء هنا على هذا الساحل غرفة معيشة فخمة. وهنا توجد أثمن الأشياء التي يمتلكونها، وأرقى الأثاث والكراسي والطاولات التي صنعوها بأنفسهم، خزانة ورثوها، مع الخزف البولندي خلف بابيها الزجاجيين، وصور على الجدران لأشخاص لم يعد لهم وجود، ستائر النوافذ، وساعة حائط تشير إلى الساعة العاشرة وعشر دقائق.

فرغت إنغريد ماريا بارأوي من ترتيب أفكارها. نهضت عن المقعد وسارت نحو الشمال والعشب يتمايل حول ساقها، سيجزونه قريباً جداً، كانوا ينتظرون تحسّن الطقس، كما أملوا أن يطول قليلاً بحيث يمكن تعليقه على سقالات التجفيف، فقد كان قصيراً جداً على التعليق. ومن الجدير ذكره أنها لا تمشي الآن على طول الشاطئ، بل عبر الحدائق، ولم تكن تقفز فوق الأسوار، كما كانت تفعل في طفولتها، بل تدخل عبر البوابات، أغلقت الحديقة الثالثة خلفها، وكانت على وشك أن تبسم عندما تعثرت بحجر. انحنت ورفعته، قلبته ووضعته على أقرب سور وتابعت سيرها. لو أنّ كلّ من تعثّر بحجر انحنى والتقطه ووضعته فوق سور، فما كانت الأسوار لتبقى سليمةً فحسب، بل ويزداد ارتفاعها عشرين ستمتراً خلال قرنٍ، وستبقى المروج مروجاً، وفي بارأوي يوجد ثمانية مروج، وخمسة أسوار.

II

لم يكن البحر حول الكوكب كله بمثل هذه الزرقة والشفافية، من قَبْلُ. وهو على هذه الحال لليوم الخامس على التوالي. لذلك قرّر سكّان بارأوي الذهاب في نزهة، كما كانوا يسمّونها من قبل. لكن اليوم يسمّونها عطلة، سيذهبون في عطلة إلى ترانا؟

لكنّ سيتخلّل هذه العطلة عملٌ صغير. سيجلب لارس وفليكس رافعةً من ترانا، قد يستغرق الأمر يوماً أو يومين، والطبيعي في هذه الحال أن يذهب أهل الجزيرة جميعهم على متن سالتهامر التي جرى تجديدها حديثاً، خصوصاً أنّ الراديو في السفينة يقول إنّ الطقس سيستمرّ على هذه الحالة الرائعة.

لكن لا يمكن ترك الجزيرة خاوية، لذلك سحبوا قرعة على من سيبقى في البيت ويعتني بالحيوانات. وقعت باربرو في القرعة. لن تذهب باربرو في عطلة. لم تكن الوحيدة التي احتجّت على هذه النتيجة، وكان من بين المحتجّين الآخرين ابنها لارس، الذي يريد أن يأخذ أمّه لتستمتع بالأكل الطيّب والكثير من الضحك، فأولئك الذين خبروا البحر في حالاته الجميلة يعرفون كيف يقدّرونه جيّداً في هذه الحالة.

نتيجة القرعة لا ترحم. وبعد مداوولات مكثفة لإقناع إنغريد بإعطاء مكانها لباربرو، قالت إنغريد إنه في هذه الحالة ستبقى كايا وماتياس معها في البيت، وهذا غير معقول بعد كلّ الحماس الذي أظهره، ومن غير الممكن أيضاً إرسالهما من دون أمّ، وهذه معضلة جعلت باربرو تستسلم من شدة الإرهاق.

ينزلون من البيوت في موكبٍ مهيب نحو سفينة نوح. يتقدّمهم أوسكار، البالغ من العمر ثماني سنوات، ويخطو خطواته الحاسمة من الرصيف إلى الدرابزين عبر سلّم خشبيّ من ثلاث درجاتٍ صنعه فيليكس لهذه الغاية، ويقف هناك مزهواً بانتصاره وينظر إلى بقية أفراد العائلة.

لاحظوا شعره المجعد الجامح، الذي ترفض والدته هاتاً أن تقصّه له، لأنه يميّز به عن جميع أفراد العائلة. وستذكّر الأجيال القادمة أيضاً أنه لم يميّز بشعره الأجدد فحسب، بل أيضاً كيف أصبح اجتماعياً بعد أن تعلّم الكلام، وآته صبيّ محبوب وسريع التعلّم، ولم يعد أحدٌ يعبس في وجهه.

أميرة الجزيرة كايا هي الشخص الثاني بعد أوسكار. ينحني لها لارس رسمياً على سطح السفينة المطلية بالورنيش حديثاً، وهو يرتدي سترة وربطة عنق ويقف هنا لاستقبال الواصلين واحداً بعد الآخر.

مثل أوسكار، لقد أتمّت كايا عاماً دراسياً ناجحاً، وهي ترتدي زياً تقليدياً لوالدتها، أي إنها للأسف ترتدي زيّ إنغريد القاتم الذي لبسته عندما كانت في الثامنة من عمرها. لقد احتفظت إنغريد بهذه الملابس، وأعادت ترتيبها في الخزائن والأدراج على مرّ السنين، في انتظار مثل هذه اللحظة الذهبية. ورغم أنّ هذه أجمل ثيابٍ لديها، تبدو الفتاة وكأنها في حالة حزن. لكنّ كايا لا تشكّ في أهمّيتها عندما يقودها «العم» لارس

بأناقة إلى سطح السفينة، لتقف بجانب أوسكار، إنهما لجنة استقبال أفراد الموكب المُنتظر، الذي ما يزال واقفاً على الرصيف.

يرفعون أولاً عدداً قليلاً من سلال الطعام ووعاء من حساء اللحم والجاودار اللذيذ، بطانياتٍ، وبُسطاً، وجلوداً والمزيد من الطعام قبل السماح للمشاركة التالي بالصعود.

يصعد الآن ماتياس بارأوي، وهو أيضاً في الثامنة من عمره، ابن إنغريد منذ تشرين الأول الماضي، بعد أن جرى ترتيب أوراق التبنّي أخيراً. وقد أتمَّ عاماً دراسياً ناجحاً، وأفضل من كايا، إنه طفلٌ جيّد التكيف، وقد نسي معظم الناس في بارأوي من أين أتى. إنه ينتمي كلياً لإنغريد وقد عاش هنا منذ أكثر من ثلاث سنوات دون أن يثير ضجةً حول أيّ شيء.

يتظاهر ماتياس أنه لا يحتاج إلى يد القبطان المهيبة، لذلك يسحب لارس يده بسرعة ويترك الصبيّ ينقل قدمه اليسرى بعد اليمنى، حتى يكاد يفقد توازنه، عندئذٍ يمسكه لارس ويرفعه في قوس رافع فوق رأسه ويضعه بجوار كايا. يقف ماتياس هناك متسائلاً عن مقدار نجاح هذا الدخول، لكنه يتصالح مع حقيقة أنه بين أصدقائه، حتى أوسكار الذي يتمسك بكايا كثيراً، ولذلك يهدّد ماتياس بقتله من حينٍ إلى آخر، لكنّ هذه مجرد تعابير مجازية ومتبادلة بينهما.

يتبعهم الآخرون.

سوزانا هنا أيضاً، جاءت تقضي إجازتها في بارأوي مرتديةً ملابس المدينة الجديدة، التي ترفض الاستعاضة عنها بـ«الأسمال» التي تريدها إنغريد أن تلبسها عندما يذهبان إلى الحظيرة. ترفض سوزانا الذهاب إلى

الحظيرة، يمكنها عند الحاجة أن تشعل بعض الأعشاب وتطهو طعاماً غريباً وتخبر الجميع أنها حامل.

لم تعد سوزانا تعيش مع صديقة في أوفر فوس في أوصلو، بل مع بيورنار، في انتظار الخطوة التالية على سلّم الرفاهية. فهي وبيورنار على قائمة انتظار لشقة من ثلاث غرف في جمعية تعاونية، فيها مياهٌ جارية وتدفئة مركزية، في منطقة بناء يعمل فيها بيورنار متطوعاً، كما يُقال، مع مئات آخرين، بعد ساعات العمل العادية. لقد استثمر بيورنار بالفعل ستمئة ساعة في هذا المشروع، الذي سينتقلان إليه بعد عام أو عامين، ويأملان ألا يطول انتظارهما بعد مجيء مولودهما إلى هذا العالم.

لا تمانع سوزانا بالطبع أن تتلقّى مساعدةً للصعود إلى سطح السفينة. لكنّ بيورنار لا يريد. لذلك لا يبذل لارس أيّ جهد حتى لمجاملته، بل ينتهز الفرصة ليرتّب شيئاً ما على سطح السفينة.

بيورنار رجلٌ ضخم كالدبّ يعمل سائق آليات. قضى أسبوعه الأول في بارأوي يستمتع بالمشروبات الكحولية التي أحضرها معه، وكان ينظر إلى السكّان المحليّين بازدراء. لكنّه غيرَ رأيه عندما بدأ موسم الحصاد. وأثبت أيضاً أنه رجلٌ مجتهد، ولم يتردّد في ارتداء الملابس القديمة لأسلاف سكّان الجزيرة. حتى إنّه كان يمشي حافي القدمين، ويستيقظ مع لارس وفيليكس عندما يهطل الندى قرابة الساعة الثالثة أو الرابعة فجراً. وقد تسامح مع سخريّتهم منه بلطفٍ لأنه لا يعرف استخدام المنجل، لكنّه لم يستسلم البتّة. لقد نجح في اجتياز هذا الجزء من اختبار الاكتفاء الذاتي الطبيعي بامتياز، وبشكلٍ خاصّ لأنه أثبت أنه أفضل رجلٍ يمكن أن تتخيّله لشخصية مثل سوزانا.

يصعد بيورنار إلى السفينة دون مساعدة، وهو يلبس قميصاً بأكمام مطوية، وينطلقون بكسرات، وفي يده حقيبة سفر، يقف على سطح السفينة ويضع ذراعه حول من يحب.

حقيبة سفر على متن سالتهامر؟

نعم، لقد وصل الأمر إلى هذا الحد.

آخر مرة نقلت فيها سالتهامر حقائب سفر كانت أثناء الحرب، وكانت تحتوي بقايا أشياء لاجئي فينمارك، لكن الحرب أصبحت طي النسيان الآن.

أما الاعتقاد بأن حقيبة سفر على متن السفينة هي نذير شؤم، مثل الجبن البني وقلوب فطيرة الوافل، والصافرات، وما شابه، فقد اختفت مع الحرب أيضاً. مجرد خرافات.

هناك المزيد من الخلط في قائمة الانتظار. لا تستطيع صوفيا وأنا، توء ما هانا وفيليكس، أن تتفقا على مَنْ منهما تصعد أولاً. إنهما مراهقتان، ولديهما أنداء صغيرة تحت فساتين ضيقة للغاية، وشفاه مزومة، ولا تجدان هذه الرحلة أكثر إغراءً من حلب بقرّة أو إطعام خروف. أخيراً، تدفع أنا صوفيا إلى الأمام صوب حافة الرصيف بحيث لا يمكنها التراجع. يحتضن لارس صوفيا مثل الطفلة التي هي عليها ويرفعها عالياً بينما هي تصرخ احتجاجاً.

تبقى أنا وحدها هناك، ويجب أن تصعد إلى السفينة بنفسها. ترفض يد لارس وتشقّ طريقها وحدها وتحالف مع أختها لتمكّنا من السير على سطح السفينة وتجلسان في الشمس تحت المدفع وتديران ظهرهما إلى بقية الصاعدين، وتهمسان بكلماتٍ ينبغي ألا يسمعها غيرهما.

يمكن القول إنّ هانّا أصبحت ترتدي ملابس زاهية الألوان منذ عودتها من زيارتها الشتوية إلى لوفوتن، قبل بضع سنوات. لقد أحبطت هانّا من لقاء عائلتها، الذي كان أدنى بكثير من توقّعاتها، ويقال إنّ ذلك بسبب والدتها، التي يصفها فيليكس بأنها مبشرة. لذلك شعرت هانّا براحة أكبر في بارأوي، حتى إنّها في الشتاء الماضي جدّفت مع إنغريد، وتمكّنت من تجفيف كمّيّة كبيرة من أسماك القدّ قبل أن يرجع الرجال من لوفوتن، وقد أظهروا تقديرًا لذلك العمل.

ليست هذه أوّل مرّة تصعد فيها هانّا متن سفينة، وكان صعودها اليوم هو الأقلّ رشاقةً، مع سلّة فيها طعامٌ وثياب بيّدة، والكتاب المقدّس في اليد الأخرى، ولم تتوقّف على سطح القارب، بل نزلت فوراً إلى المقصورة التي نظّفتها هي وإنغريد بشكلٍ كامل، يوم أمس، ووضعتا على كلّ الأسرة ملاءاتٍ وبطّانيات ووسائد نظيفة.

تبقى سلمى الكائن الأقصر في الجزيرة، حيث يكبر الأطفال واحداً تلو الآخر ويتجاوزونها طويلاً. صغيرة ورشيقة في فستان مزهر، وشعرها الأشقر مرسلٌ، دوماً. لم تتمكّن من أن تطأ سطح السفينة بقدميها لأنّ لارس وضع يديه الاثنتين حول خصرها ورفعها عالياً ودار بها بإيقاع الفالس الرائع على سطح السفينة، وهي تضحك وتزيح الشعر عن وجهها قبل أن تتمكّن إنغريد من أن تناولها سلّة لتُنزلها على الفور إلى مطبخ السفينة.

ماذا عن رجال بارأوي؟

بدأ عددهم يزداد، وهم جميعاً على متن القارب. يقف فيليكس مع هانس وفريدريك على سطح قمرة القيادة، متكئين على السور ذي القماش البلاستيكي الأبيض، ويشاهدون الوداع من أعلى. تحتوي سفن صيد

الحيّتان على دفة توجيه في قمرة القيادة أيضاً، كي يتمكّن القبطان من المناورة عند البحث عن الحيّتان، بينما يقف رجلان أو ثلاثة رجال في منصّة المراقبة، على ارتفاع خمسة عشر متراً فوقهم، لكن لا يوجد أحد هناك الآن.

في قمرة القيادة يقف مارتين، البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، يميل بجذعه من النافذة المظلمة بانتظار إشارة لارس. هذا يعني أنه لم يتبقّ على الرصيف سوى إنغريد وباربرو.

تلكاً إنغريد. وهي لا تحتاج إلى مساعدة للصعود إلى سطح السفينة، يضع لارس يده على السلم ليسحبه، وهو يسألها ما إذا كانت لا تحتاجه، ثم يتجه مباشرة نحو قمرة القيادة ويصيح على مارتين أن يشغل المحرّك.

يختفي مارتين داخل النافذة، يهدر المحرّك. تصرخ إنغريد لباربرو أنهم لن يغيبوا أكثر من يومين، أو ثلاثة كحدّ أقصى، وكأنّ باربرو لم تسمع ذلك من قبل. تبتعد باربرو وترفع جبل مرسى المؤخّرة وتقف وهي تصرخ على السادة فوق سطح السفينة إذا كانوا يعتقدون أنها يجب أن ترمي الجبل في البحر.

ينحني فريدريك فوق الدرابزين ويسحب الجبل، ويلفّه وهو يحاول أن يجد كلمة وداع مناسبة للعمّة باربرو، لكنّه لم ينجح، فيبتسم لها مشجعاً، بينما يستدير ويعود متجاوزاً إنغريد ويرفع القوس ويصيح على التوءمين تحت المدفع أن تنهضا وتأخذا الجبل.

بعد بعض التردّد، تقف صوفيا وتبدأ بلفّ الجبل بانزعاج، لكنّها لا تنجح في ذلك حتى تساعدّها آنا. يلفّان الجبل معاً حتى تتنظم حركة اللفّ، في غضون ذلك، تكون إنغريد قد هبطت على متن السفينة متأرجحة مع

حقيبة السفر. يبحر مارتين مبتعداً عن الرصيف بينما يتجمّع الركّاب في أماكن مختلفة مرئية على سطح السفينة وقمرة القيادة، ويلوّحون لباربرو التي تصبح أصغر كلّما ابتعدت السفينة. لا تلوّح باربرو لهم، بل تدير ظهرها وتسير نحو المنازل، كما لو أنّ عملاً مستعجلاً ينتظرها، رغم أنه قد جُمع التبن لهذا الموسم، وجرى تجفيفه في الأرض، وهو مخزونٌ أخضر اللون تقريباً في الحظيرة، والأغنام في الجُزر، وقد جرى فصل العجول عن الأبقار، التي لن تُحلب قبل ستّ ساعات.

تمخر سالتهامر عبر بحر ترانفيورد المهيّب والهادئ اليوم. وحدها
طيور البفن الكسولة تعزّز الوهم بأنّ سالتهامر تحرث الماء فقط وليس
الهواء أيضاً. تحت المدفع، تزيح التوءمان البطّانيتين عنهما، وترفعان
أطراف فستانيهما وتعرّضان سيقانهما وذراعيهما لأشعة الشمس، تتكئان
على العارضة الخشبية، تغمضان عيونهما وتتوقّfan عن التهامس في ما
بينهما.

إنغريد وهانا مستقلّتان كلّ على بساطها على سطح السفينة، وقد رفعتا
أطراف فستانيهما أيضاً. على سطح قمرة القيادة، يجلس لارس وبيورنار
ومعهما زجاجة كحول. لارس يشرح ويشير بيديه، وبيورنار يدخن ويقول
من حينٍ إلى آخر إنّهُ لم يتوقّع عيش هذه الحياة المثالية، خصوصاً أنه كان
مجبوراً على سماع قصص سوزانا المربعة عن طفولة في الجحيم. يتسم
لارس ويقول إنّ الأمور ليست على هذه الحال طوال العام.

لكنّ بيورنار لا يستطيع تخيّل ذلك، ولا يستطيع لارس شرحها له
أيضاً، فالمعجزات هي ما هي عليه دائماً، حتى لو لم يكن المرء مستقراً
أبداً.

في غرفة الطعوم، يجلس أربعة فتيان متحلّقين حول مجموعة أوراق اللعب التي أحضرها بيورنار المولع بلعبة البريدج، لكنّه لم ينجح في تعليمهم اللعبة بعد، لذلك يلعبون لعبة الويست ويحاولون شرح قواعدها لأوسكار. كانوا يفضلون وجود ماتياس أو كايا، لأنهما يعرفان اللعبة، لكنّ كايا وماتياس لديهما مشاغل أخرى.

لقد طلبا الإذن بتسلّق سارية السفينة، وحصلا على «كلّا» كبيرة، من إنغريد أولاً، ثم من لارس. لكنّ، على الرغم من ذلك، تسلّلا تحت قماش الشراع كلّ من جهة. سارية السفينة قويّة كأنها من حديد، لكن للوصول إلى درجاتها، ينبغي أن يكونا على الجانب الخارجي من الدرابزين. يصلان إليها دون أن تشعر بزحفهما إنغريد المستلقية هناك مغمضة العينين. يصعدان الدرجة الأولى ثم الثانية، ويتسمان كلّ منهما للآخر بتحدّ، ثم الدرجة الثالثة، والرابعة، والسابعة قبل أن تفتح إنغريد عينيها وتصرخ عليهما أن ينزلا.

يتوقّفان، لكنّهما يبقيان في الأعلى حيث لا تستطيع إنغريد أن تطولهما. علاوة على ذلك، عليها أن تتخذ ذلك الخيار المستحيل بين الابن والابنة، وتخطو دون تفكير نحو درج الصاري الذي تتمسّك به كايا، رغم أنها كانت تقف أقرب إلى ماتياس.

يدرك فيليكس أيضاً ما يحدث عندما يخرج من المطبخ وفي يده فنجان قهوة، فيضع الفنجان عند مدخل المطبخ، ويصعد إلى ماتياس، يقف وراءه على السّلم، ويحتضنه، ثم يسأله ما إن كان خائفاً! يهمس ماتياس: «لا».

قامت إنغريد بمناورة مماثلة على الجانب الأيسر، احتضنت كايا بجسدها، وقدّرت الارتفاع عن سطح السفينة؟ ثلاثة أمتار؟ أربعة أمتار؟

دعوهما يكملان، يصيح لارس مشجّعاً من على سطح قمرة القيادة.
تهزّ إنغريد برأسها.

يهمس فيليكس في أذن ماتياس ما إذا كان يجرؤ على المتابعة إلى الأعلى. يهزّ ماتياس برأسه، ويتابع التسلّق ببطء، ثلاث درجاتٍ أخرى. ويلحق به فيليكس. على الجانب الأيسر، تقود إنغريد كايا في الاتجاه المعاكس، لكن بشكلٍ أبطأ، بسبب احتجاجات كايا العنيفة التي تريد أن تصعد إلى الارتفاع نفسه الذي بلغه ماتياس، لكن دون جدوى. تحصل إنغريد على مساعدة من هانا التي تمسك كايا من خصرها في اللحظة المناسبة وتُنزلها إلى سطح السفينة.

تضحك إنغريد بارتياح، لكنّها تبقى واقفة على سلّم الصاري وتراقب ماتياس وفيليكس، اللذين صعدا بضع درجاتٍ أخرى وأصبحا على ارتفاع ستة أمتار أو سبعة. يطلق ماتياس صرخة شجاعة، وقد أصبحت براجم يديه بيضاء. يقول له فيليكس إنه سينقل يداً بعد الأخرى ليمسك بالحبل، لأنّ صائد الحيتان الجيّد لا يتمسك بدرجات الصاري، بل بالدرابزين كما لو أنك في المنزل، فالولد الكبير، لا يصعد الدرج زحفاً.

يأخذ ماتياس بنصيحة فيليكس، لكنّ براجم يديه تزداد بياضاً، وجسده يرتجف، ويتحدّى صراخ إنغريد المتزايد ويصعد ثلاث درجاتٍ جديدة. يهمس فيليكس إنهما ينبغي أن يتوقفا قليلاً حتى يتأقلا مع الارتفاع، وما يزال أمامهما خمسة أمتارٍ أو ستة للوصول إلى منصّة المراقبة.

فيسأل ماتياس: هل يجب أن نصل إلى القمة؟

يضحك فيليكس ويقول إنّه ما يزال الوقت مبكراً بعض الشيء، لكن يمكننا التوقّف هنا لبعض الوقت.

لقد نزلت إنغريد إلى سطح السفينة، تخصّرت وبدأت تصرخ من جديد بأنّ عليهما أن ينزلا. اللعنة! هل تسمع يا فيليكس! تصرخ هاتأ، لكن أخفض قليلاً.

هل تسمع ما تقولان؟ يهمس فيليكس لماتياس.

يضحك ماتياس، ويتجسّراً على النظر إلى الأسفل، إلى أولئك الأشخاص الذين أصبحوا وجوهاً صغيرة، وأكتافاً ضيّقة، واقفين على متن السفينة الذي يشبه نعل حذاء. يوجّه نظره إلى البحر قليلاً، وينظر ثانية إلى الأعلى صوب منصّة المراقبة التي لا يمكن بلوغها.

يقول فيليكس إنه سوف يُريه شيئاً، فينظر إلى الأسفل باتجاه سطح غرفة طعوم الأسماك، حيث توقّف لاعبو الورق للاستمتاع بهذه الدراما على الصاري، ويصيح على مارتين أن يأتي بحجر أبيض منقّط ويرميه في البحر.

يختفي مارتين داخل غرفة الطعوم، ثم يخرج ثانية ومعه حجرٌ فاتح اللون إلى حدّ ما، ويرفع نظره إلى فيليكس متسائلاً. فيصيح فيليكس إنه مناسب، ثم يهمس لماتياس: الآن، انتبه إلى ما سيحدث!

يمشي مارتين إلى درابزين السفينة ويرمي الحجر. يمزق الحجر سطح الماء نائراً الرذاذ من حوله، لكنّه لا يختفي. يبقى عائماً ويتمايل بشكلٍ غامض من جانب إلى آخر، مثل ريشة في الهواء.

يشرح فيليكس أنهم لا يقفون في منصّة المراقبة من أجل النظر بعيداً فقط، بل للنظر إلى الأسفل أيضاً. فمن هنا لا تنعكس الرؤية على السطح، بل يستطيع المرء أن يرى حتى مسافة كيلو متر إلى الأسفل.

يهزّ ماتياس رأسه بجديّة.

ويبقى الحجر ساكناً في مكانه. وماتياس لا يستطيع أن يرفع نظره عنه. يخضرّ لونه قليلاً، ويصبح أصغر قليلاً لكنّه لا يختفي. يصبح أكثر خضرةً وأعمق ولا يختفي. وسالتهامر تطفو في الهواء.

يُصابُ ماتياس بالدوار ويضطرّ أن يتقيّاً.

يطلب منه فيليكس أن يغمض عينيه.

الآن، يمكنك أن تفتحهما ثانية.

عندئذٍ يكون الحجر قد اختفى، وسالتهامر لم تعد طافية، بل تستقرّ بقوة في حوض البحر. ويتسم ماتياس بدهشة.

ما الذي جرى؟

يقول فيليكس إنّه قد تعلّم شيئاً مهماً، ويسأله ما إن كان خائفاً؟

ليس الآن.

إذاً، سننزل الآن، وستبقى عند الدرايزين وليس على درج الصاري.

ينزل ماتياس بخطوات متعبة، محاطاً بفيليكس، إلى الأسفل، حيث تمسك به إنغريد وتُنزله إلى سطح السفينة، وتحضنه طويلاً قبل أن تتركه في سلام، ويرتجف من النشوة. ثم ترسل نظرةً غاضبة إلى فيليكس الذي يتناول فنجان قهوته ويشني على الصبيّ أمام الجميع، ويعلو تصفيق الشباب. «أحمق!» تقول هانّا، ثم تنزل إلى المطبخ لمساعدة سلمى بإعداد الطعام. تسأله كايا ما الذي رآه من الأعلى. ولأوّل مرّة لا يجد ماتياس الكلمات المناسبة.

يرتدي فيليكس قفازاتٍ جلدية، ويصعد درج الصاري مرّةً أخرى، مثل قطّ، يقفز إلى داخل المنصة ويختفي. يظهر رأسه مرّةً أخرى. يستطيعون

رؤيته مقابل سحابة وحيدة هناك في الأعلى، ويدركون أنّ سالتهامر تتأرجح وأنّ الصاري بندولٌ في السماء. يمسك فيليكس علبة صفيح في يده، ويلقي بها إلى الأسفل نحو سطح السفينة، تلاقىها العيون من الأسفل وتشاهد بندولاً آخر في الساعة الكبيرة، يسمعون من الأعلى صراخاً يطلب منهم ملء كوب قهوة ووضعها في العلبة، وربما إرسال قطعة كعكٍ مالحة أيضاً.

ترتطم علبة الصفيح والحبل بسطح السفينة قبل أن يتمكن أي شخص من التفاعل مع صوت صراخ هيسستيري.

برودجيت! برودجيت!

وسلسلة شنيعة من الشتائم البذيئة، يضحك منها الشباب الموجودون على سطح قمرة القيادة، ولا يفهم معناها سوى لارس. ويدرك بيورنار على الأقل أنّ عليه الخروج من مجال القوة المفاجئ للرّبّان، فيتسلّل إلى سطح السفينة، حيث يتجمّع الشباب حول الصاري ويصرخون للأعلى: ماذا؟ أين؟

يمدّ فيليكس ذراعه باتجاه الميمنة، ويكرّر شتائم. يمسك لارس بالدقة ويضغط على دواسة الوقود، فتتحرف سالتهامر، ثم تستقيم وتتجه بسرعة نحو شيء لا يمكن لأحد رؤيته.

يغمغم لارس: «أمسكتها!»، ويصرخ: «هل هي كبيرة؟».

يرمي الرجل الواقف في المنصة نفسه فوق الحافة وينزلق بمساعدة الأحذية والقفّازات على الجانب الخارجي للصاري، ويقفز على سطح السفينة ويدفع صوفياً وأنا بعيداً ويفتح صندوق الذخيرة وهو يصرخ على هانس: رمح، رمح. استخدمه! برودجيت!

يختفي هانس في غرفة الطعوم ثم يخرج ومعه سلاحٌ ضخْمٌ بطول متر ونصف المتر، يشبه وحشاً معدنياً مع سلكٍ متصل بعين في المنتصف. يفتح فيليكس غطاء المدفع يضع الرمح فيه، ويغلقه، ثم يشدّ صواميل الجناح، ويدفع الحربة إلى الداخل حتى يتدلّى السلك القصير من فوهة المدفع.

في هذه الأثناء، يستدعي لارس هانس إلى قمرة القيادة وينزل هو إلى سطح السفينة، ينزع الغطاء البلاستيكي عن الرافعة، يأخذ بكرة من الأسلاك ويعطي أحد طرفيها لفيليكس، الذي يربطه مع السلك المتدلّي من الحربة ويدير المدفع إلى الخلف. يلفّ لارس الجزء الآخر من الكبل حول الونش، ويجرّب الرافعات، ويعود إلى سطح قمرة القيادة، حيث يقف منذ هذه اللحظة الحاسمة فصاعداً ويبدأ بتوجيه هانس، بينما يصعد فيليكس مرّة أخرى إلى منصّة المراقبة.

تسأل سوزانا مصدومةً عمّا يجري.

تعرف إنغريد ما الذي يجري، وهي غاضبة، وقد صرخت مراراً وتكراراً أنهم في عطلاة، لكن على آذانٍ صمّاء.

لن تصيدوا حوتاً، الآن!

برودجيت ليست حوتاً، بل سمكة قرشٍ ضخمة، ما إن تخترق الحربة الباردة ظهرها حتى تنزف كلّ دمها في غضون عشر دقائق أو عشرين دقيقة، فيجري بعد ذلك رفعها مثل ذبيحة تلفظ أنفاسها الأخيرة. فعندما تخترق حربة الصيد ظهر السمكة تخرج من صدرها وتبقى عالقة في جسدها مثل حرف T، ويجري سحبها بالقوّة، باستخدام الرافعة والآلات.

لسوء الحظّ، لقد سمعت إنغريد عن ذلك من قبل.

يطلب لارس من هانس تخفيف السرعة. تنزل سفينة الصيد إلى

الأمام ببطء، بينما يحدث الحشد على سطح السفينة باتجاه المسار وقد حبسوا أنفاسهم. مارتين، هو أول من يرى السمكة، جسمها، زعنفتها التي تحرث الماء ببطء، كسيف مشرّع في وجه السماء، على بعد مئتي مترٍ أو ثلاثمئة أمامهم. يقدر لارس الاتجاه والسرعة ويأمر هانس بتغيير المسار وزيادة السرعة.

إنها هناك الآن.

يشير فيليكس بكلتا ذراعيه. نعم.

يطلب لارس من هانس تغيير المسار مرةً أخرى. يبدأ الشاب، الآن، بالانزعاج من والده. يلاحظ لارس ذلك، فيهزّ برأسه ويقول له إنها مسؤوليتك وحدك، من الآن فصاعداً، وأنا أعني ما أقول. يغمغم هانس بما معناه أنه يقبل الاتفاق، ثم يزيد هانس من سرعة السفينة، وتندفع سالتهامر إلى الأمام، لكن ليس نحو القرش.

يخفف هانس السرعة وينظر نحو منصّة المراقبة حيث يقوم فيليكس بالتوجيه بذراع واحدة فقط. يحبس الجميع أنفاسهم. بعد مرور عشر دقائق طويلة، تقطع خلالها سالتهامر مسافة مئة مترٍ أمام مسار زعنفة القرش.

يخفف هانس السرعة من جديد، دون أن يضطرّ لارس لقول أي شيء. تدور السفينة ويرون سمكة القرش تنزلق ببطءٍ في شريط الماء الذي تشقّه السفينة. ثم يرونها تنحني وتتردّد أول مرةً، ثم ثاني مرةً، قبل أن تقرّر اللحاق بالسفينة.

يتمتم لارس: «لقد أمسكنا بها».

يقود هانس السفينة بهدوءٍ إلى الأمام، ويغيّر مسارها تدريجياً إلى مسار

دائري حتى تكتمل الدورة، ويرى إيماءات والده المؤكدة لصحة ما يفعله. ثم يُضَيَّق قطر الدائرة التي يدور فيها السفينة. سمكة القرش والسفينة في رقصة دائرية وسط البحر. السفينة وسمكة القرش تطاردان كل منهما الأخرى في دوائر تضيق أكثر فأكثر، حتى تصبحا على طرفي نقيض في دائرة قطرها أقل من مئة متر.

«الآن!»، يهمس لارس الذي لا يستطيع أن يمسك نفسه.

يدير هانس القارب ويزيد السرعة إلى أقصاها.

يميل فيليكس فوق حافة منصّة المراقبة، وينزلق إلى السفينة، ويحذف إنغريد بنظرة غضب لأنها لم تبعد الأطفال. تلجأ سوزانا إلى المقصورة، بينما تقف التوءمان مع أمهما عند باب المطبخ. وأوسكار يجلس على مقعد في غرفة القيادة وقد وضع يديه على أذنيه. بينما عرف بيورنار، ضيف العطلة، كيف يبقى في مؤخرة السفينة، حيث أشعل سيجارة أخرى وهو على يقين أنّ في انتظاره شيئاً لا يُصدّق.

وأيّن إنغريد؟

تقف إنغريد مع كايا المذعورة وماتياس الشجاع في منتصف السفينة، وهي تشكّل عبئاً على المجموعة. وعبثاً تحاول التواصل مع فيليكس، الذي يقف مفرشخاً ساقيه، ظهره نحوها، وهو في وضعية رماية خلف المدفع.

لقاءً في البحر. تنزلق سالتهامر ببطء إلى الأمام بجانب سمكة قرش بطول سبعة أمتار أو ثمانية، وبوسعهم الآن رؤيتها في الماء الصافي مثل الكريستال. وزنها ستّة أطنان؟ ثمانية؟

تحاول إنغريد من جديد التواصل مع لارس، لكنه ينزل الآن إلى سطح السفينة، ويكاد لا يراها لحنقه منها، ويقف وراء الرافعة قبل أن يمزق هدير المدفع سكون اليوم الأكثر هدوءاً في هذه السنة.

يعلو الماء متناثراً بقوة فوق قوس السفينة. يشغل لارس الرافعة، ويصرخ على هانس -الذي انضم إليه فريدريك في قمرة القيادة- أن يعود بالسفينة إلى الوراء بأقصى سرعتها.

تندفق أمواج ودم على سطح السفينة. وتهتز السفينة بأكملها. تفرقع كل محتوياتها، ويزأر المحرك، وتدفن سالتهمر قوس مقدمتها في البحر الذي يغلي. تغلق البنتان باب المطبخ، ويضع بيورنار سيجارة أخرى بين شفتيه اللتين لن يفتحهما مرة ثانية في حياته كلها على مثل تلك الدهشة.

يقف لارس وسط موجة التسونامي وهو يسحب الحبل متراً تلو الآخر. يرتفع قوس السفينة ثانية. يصعد فيليكس الدرايزين ومعه سيخ يشد به الحبل ويدخله من شمعة إلى الثانية، فالثالثة. لا يهدأ الزلزال قبل أن تصبح سمكة القرش بالكامل تحت جانب السفينة، ثم يزداد الأمر سوءاً وتميل السفينة مرة أخرى.

يتولى فيليكس أمر الرافعة والحبال. يدخل لارس إلى قمرة القيادة، يختفي ثم يخرج ومعه بندقية، ويطلق رصاصتين في الماء المتدفق عن جانب السفينة، ثم طلقة ثالثة. يمد ذراعه في الوقت نفسه في الهواء، فيطفيئ هانس محرك سالتهمر.

يقترّب الحشد المبلول والمذهول من ميمنة السفينة إلى الميسرة. يسحب فيليكس بضعة أمتار أخرى من الحبل، وينظرون إلى الأسفل، إلى وحش يبلغ طوله قرابة ثمانية أمتار، مخلوق توراثي يتفصض وترتجف

زعانفه بشكلٍ غامض، ويتلوّى جسده ذهاباً وإياباً، يطلق لارس رصاصةً أخرى.

نزل أوسكار إلى سطح السفينة.

لقد أطلقت النار على أنفها. مكتبة سُر من قرأ

يضحك لارس ويقول إنّ ذلك هو المكان الذي يوجد فيه دماغ الخنزير.

يرسل إيماءة تقدير للشباب الموجودين على سطح غرفة القيادة ويطلب منهم النزول وتولّي المهمة، فقد حان دورهم، ثم ينظر إلى ساكن المدينة ويتساءل أين هي مشروباته الكحولية.

ينزل بيورنار إلى الحقيبة الموجودة في المقصورة ويعود ومعه زوجته وزجاجة كحولٍ جديدة، ينزع الفليّنة ويرميها في البحر، يأخذ رشفةً طويلة ويشتّم مذهولاً. يعطي الزجاجة إلى لارس الذي يشرب ويمرّها إلى فيليكس، الذي يشرب منها جرعةً كبيرة جداً، ويقدمها بشكلٍ مُغرٍ إلى هانس، الذي ينخدع مرتين أو ثلاثاً قبل أن يرحمه فيليكس. يشرب هانس ويسعل ويعيد الزجاجة إلى بيورنار. عندئذٍ يبدأ لارس في إصدار الأوامر، الأوامر اللذيذة، التي لا ضرورة لها بعد الآن، عندما تعمل كلّ التروس بصمتٍ متكاملةً معاً، في طقوسٍ احتفالية.

لقد اهتزّت إنغريد بعمق، لكنّها تدرك أنه ينبغي تأجيل ساعة التسوية، ربما إلى الأبد، فهناك قوى أخرى تعمل هنا.

تنزع الملابس المبلّلة والملطّخة بالدماء عن الطفلين وتطلب منهما أن يجفّفا جسديهما في أشعة الشمس على سطح السفينة، حيث يمكنهما الانغماس في فنّ التعامل مع سمكة قرشٍ ميّنة، بينما تقف هي متصلّبة وغير مرتاحة وتلاحظ شيئاً ما جديداً في نظرة كايا، الشكّ؟

يربط فريدريك ومارتين حبلًا حول زعنفة ذيل الحيوان ويثبتانه على حاملٍ خلفيّ، ويرفعان السمكة إلى أعلى مستوى ممكن باستخدام السلك والرافعة، بحيث تصبح البطن البيضاء للأعلى. يفتحها هانس بنصل منجلٍ مسطّحٍ مثبتٍ على رمح قارب، يقطعها باستقامة من الخياشيم إلى فتحة الشرج، حتى ينسكب الكبد بسلاسة، وحجم كبد القرش كبيرٌ جداً، وهو أكثر قيمةً بكثير من كبد سمك القد، أو الحدوق، أو الحوت وغيرها. يبلغ حجم كبد القرش ربع حجم السمكة تقريباً، ويحتوي على الغليسيرين، الذي يباع بأسعار باهظة للأشخاص القادرين على استخلاص العطر والديناميت منه في مكانٍ ما في جنوب البلاد.

يجدون السلّة في الغرفة ويضعونها في الرافعة. يتحكّم هانس بالرافعة، بينما يضع فريدريك ومارتين السلّة في أسفل بطن السمكة حتى يتمكّن فيليكس من قطع الكبد قطعةً تلو أخرى، ويجري رفعها تحت غيمة، سرب، من الطيور المزعجة، وإفراغها في ستّة براميل سمك رنجة وثمانية أنصاف براميل، يجري رفعها وإنزالها واحداً تلو آخر إلى مكان تخزينها في غرفة أسفل السفينة. بينما يتجوّل لارس مثل حيوانٍ مفترس ضاحك مستمتعاً بهذا المنظر، الشباب في أبهى صوره.

يصيح فيليكس مطالباً بالمزيد من أنصاف البراميل، قد يكون فيها ألف ليدر أو ألف ومئة ليدر تقريباً؟

ماذا يفعلون بجسم الوحش؟

لا يُنزلون الوحش على سطح السفينة، رغم التعليقات المرحّة حول إمكانية إرساله إلى الصين، لأنّ لحم الوحش البحري مليءٌ بحامض البوريك ذي الطعم الفظيع.

يُنهي طاقم الصيد عملية الذبح بفكّ الحبال وسحب الحربة من جسد الوحش.

ينحني الحشد البشري كلّه فوق درابزين السفينة ويشاهدون الوحش طافياً بلا حراك مثل حجر أبيض في البحر، ويشاهدون كيف يتحوّل لونه إلى الأخضر الذي يزداد قتامةً إلى ما لا نهاية، وكلّما ازداد لونه قتامةً صغر حجمه أكثر، وهكذا حتى يبتلعه المحيط تماماً.

في ترانا يجري تثبيت الرافعة على متن السفينة في الساعة الرابعة صباحاً.

يعود لارس من القرية حيث كان يجري مباحثات عبر التلغراف، ويقول إنهم ينبغي أن ينطلقوا إلى روست للتخلص من كبد القرش.

يُبحرون صوب روست، خلال يومٍ صافٍ آخر، وعندما يصلون إلى غليا يشاهدون هناك سفينة صيد حيتان كبيرة تتميز بلونها الأبيض بالكامل، حتى دون الزنار الأسود الذي يزيّن به صائدو الحيتان منصّات المراقبة على صواريخهم.

يأخذ لارس وفيليكس بيورنار وآخر زجاجة كحول لديه، وينزلون إلى الشاطئ، ويصعدون على متن السفينة البيضاء، حيث يتفاوض لارس مع صيّادين من سونمورينغن قرابة ساعة قبل أن يعودوا إلى سالتهامر راضين. ومع ذلك، اضطرّ سكّان بارأوي مؤقتاً إمّا إلى الجلوس خارجاً على سطح المركب وإمّا إلى النزول إلى الشاطئ بسبب الرائحة الكريهة، فقد تحوّلت هذه القذارة الثمينة إلى زيت نقيّ خلال الرحلة المتدحرجة عبر البحر، ورائحتها أسوأ من، نعم، أسوأ من رائحة لحم الحوت.

لكن سكّان الغرب لا يتأثرون بالرائحة الكريهة، لأنّ لديهم خزّانات خاصة لزيت كبد القرش على متن سفنهم. يقبض لارس الثمن نقداً. وتعود سالتهامر جنوباً مرّةً أخرى، بعد زيارة قصيرة لفيسكارهيمن، حيث يأكل الجميع «اللابس كاوس»^(*) والخبز المرقود. يقومون ببعض التجارة، قبل أن يبحروا في فيستفيوردن مرّةً أخرى. ينظّفون سطح السفينة، وغرفة التخزين. يشغّلون المضخّات، وينظّفون مرّةً أخرى، تاركين وراءهم أثراً من الدم والرائحة الكريهة التي تجذب الحيتان القاتلة والطيور بأعداد كبيرة، البفن، والأوك، وفرس البحر، والنورس... لكن حتى الحوت القاتل

(*) طبقٌ مكوّن من خضار ولحم مدخّن. [المترجم]

لا يمكنه الآن إيقاظ لارس، الذي ينام في مقصورة خلف قمرة القيادة. وينام فيليكس على ذراع زوجته في الكابينة. وعلى سطح غرفة القيادة يقف هانس وفريدريك ويعلمان ماتياس وكايا كيف يقودان سفينة صيد الحيتان إلى المنزل.

تجلس إنغريد مع التوءمين على سطح السفينة ويشربن عصير التفاح المُصنَّع من ثمار حديقة في مدينة تروندهايم، وقد أصبح إرساله طقساً سنوياً. تبقى التوءمان غالباً مع إنغريد رغم أنهما لا تحتاجان لسؤالها أو إخبارها بشيء خاص. كما هي الحال الآن.

تسألها إنغريد ما إذا كانت هذه الجوارب الجميلة التي خلعتها للتو من حياكتهما، رغم أنه حتى هذه الحياكة البسيطة يمكنهما أن تؤدياها على مضض: وهذا ما تعرفه إنغريد جيداً.

عندما كانتا صغيرتين فعلتا كل ما يمكن لتبدؤا متشابهتين، وقد نجحتا جيداً لدرجة أن باربرو وأخوهما الصغير كانا يواجهان صعوبة في التمييز بينهما. الآن، يبدو أنهما لا تريدان أن تشبه كل منهما الأخرى، لكنهما لا تنجحان.

مستواهما في المدرسة أعلى من المتوسط، وباستثناء الرياضيات والرسم، أداؤهما متساوٍ في معظم المواد.

لقد بدأت إنغريد تعتبرهما شخصيتين مختلفتين، منذ أن اتضح أنهما ترغبان في ذلك ولا تعرفان كيف تحققانه، ولا تعرف إنغريد أيضاً كيف تساعداهما حقاً. ما تعرفه هو أنها تجد نفسها فيهما، ويسهل عليها الابتسام

أكثر من الآخرين عندما تحاول هاتًا أن تأخذهما إلى الحظيرة أو إلى الأرض لتعلّمهما العمل بالمجرفة. تقول سلمى صراحةً إنها سعيدة لأن ليس لديها بنات، وكان يمكن أن تفكر إنغريد بالطريقة نفسها لولا وجود كايا، المُعفاة من أيّ تفكير.

صوفيا جيّدة في الحساب، وأنا جيّدة في الرسم.

محاسبة المستقبل، ورسمه المستقبل؟

لم تفكر إنغريد بهذه الطريقة، لكنّ هذا فارقٌ واحد على الأقل، إضافةً إلى السمات التي لاحظها الآخرون ويتصرّفون على أساسها، وهي أنّ لدى صوفيا سنّاً ماثلة في الفكّ العلويّ، وأنّ الرسّامة آنا تحصل عادةً على ما تريد، فهي قائدة ومتحدّثة باسم سكّان يبلغ عددهم اثنين، ولهذا تسألها إنغريد ما إن كانت قد أحضرت معها أدوات الرسم.

كلّا.

لدى إنغريد اثنين من رسومات آنا على جدار في الصالة الشمالية، الأولى لسقيفة القارب السويدية وطير عيدر في عشّه بين ركيزتين، وواحدة لقمرة القيادة القديمة الموجودة في أقصى الحديقة الجنوبية التي تبدو في غير مكانها هناك وسط العشب المتموّج. قمرة قيادة رمّتها العاصفة على اليابسة هنا، وأصبحت لعبةً لجيلين من الأطفال.

فازت رسومات آنا الفنيّة بمكانتها في عليّة إنغريد الشمالية ليس بسبب طائر العيدر أو قمرة القيادة، بل بسبب الحركات المذهلة في العشب ولعبة الظلّ السحرية في ريش طائر العيدر، وهذه تقنيات لم تتعلّمها آنا في أيّ مكان، لكنّها تجعلك تنظر إليها مراراً، وتستمرّ في التحديق فيها، مدهوشاً، فهي تشبه الحياة، وهي تشبه الفنّ، من أين يأتي هذا؟

لكنّ معلّم الرسم في هافستين لم تعجبه هذه الرسومات، فهو كأستاذ متخصص في الرسم يعتقد أنّ رسومات آنا «غير دقيقة»، وهكذا توقّفت آنا عن تطوير موهبتها في المدرسة. لكنّ فيليكس يجلب لها كلّ عام أدوات رسمٍ من لفوفتن، وهكذا تستمرّ في الرسم في بارأوي، حيث الحماس أكبر، ويثير درجةً من الغيرة لدى صوفيا التي لا تستطيع أن تستوعب كيف يمكن أن تكون رسومات «غير دقيقة» مثيرةً للحماس أكثر من حلّ مسألة حسابية بشكلٍ صحيح.

تقول إنغريد إنّ من المؤسف أنها لم تجلبها، لو كانت معها لاستطاعت الآن أن ترسم هذا الحيوان الفظيع، الذي ما يزال منظره يشوشها، رغم أن أحداً لم يقل شيئاً حول هذا، ورغم أن رسمه لن يجعل الأمر أفضل.

لا توافقها آنا الرأي، ثم تبتسم وتضيف إنّها رسمت أخاها الصغير أوسكار، بشعره الأشقر المجعد، وقد أغضبه الرسم، لأنه يبدو فيه غريباً، كما يدّعي، لكنّ فيليكس يعتقد أنه يشبهه إلى حدّ كبير.

تقترح إنغريد على آنا أن ترسمها.

تنظر إليها آنا متشكّكة.

تقول إنغريد إنها تعني ما تقول، وأنّ على آنا أن ترسم كلّ سكّان بارأوي.

تضحك صوفيا من كلام إنغريد، التي كانت على وشك أن تقول شيئاً عن أهمية كون الشخص قادراً على إجراء العمليات الحسابية، لكنّ صوتاً من أعلى يقطع عليها أفكارها، إنه فيليكس الذي استيقظ ويفف في منصّة المراقبة من جديد، ويشير لإنغريد أن تصعد الصاري من الجهة المقابلة، لأنه يريد أن يُريها شيئاً.

«ماذا؟» تصيح إنغريد.

لا يجيبها فيليكس.

تنهض إنغريد مترددة وتسلق عالياً لدرجة أنها كادت تدخل منصّة المراقبة وترفع بصرها إليه. يشير فيليكس لها كي تنظر إلى الوراء والأسفل. تلتفت إنغريد وتحّدق في الأعماق الصافية كالزجاج، وترى الحيتان، ثلاثة زعانف حيتانٍ ضخمة، تلعب حول السفينة، وكلّ واحدٍ منها أضخم من سالتهامر، وحوثٌ رابع أصغر قليلاً، كراتٌ زرقاء تتجوّل حول السفينة، برشاقةٍ وصمتٍ مثل طيور في الهواء.

تتمسّك إنغريد بالصاري بقوة، وترفع وجهها بابتسامة إلى فيليكس وتهمس متسائلةً ما إذا كانوا يفكّرون في اصطياد هذه الحيتان أيضاً؟ يهزّ فيليكس برأسه، يزن الواحد منها أربعين طناً، وربما خمسين، وحوث المنك الذي يصطادونه هو بمنزلة سمكة الرنجة بالمقارنة مع واحدٍ منها.

تتساءل إنغريد ما إذا كانت هذه الحيتان تستطيع أن تقلب السفينة، تطيح بقشرة البيض هذه في الأفق؟ يهزّ فيليكس رأسه مرّةً أخرى. وتترك إنغريد نظراتها تنتقل بين هذه المخلوقات الرائعة، وقد أصبحت ستّة الآن، وتشعر بالسفينة تطفو خفيفة، كما تشعر بالدموع الباردة فوق خديها لأنّها لن ترى هذا المنظر مرّةً أخرى، فالحياة قصيرة، تعرف ذلك جيّداً، كما تعرف أيضاً أنها لن تحتفظ بشيء من هذا، لا شيء.

إنها ترى الكارثة قبل وقوعها، ترى جميع الأشياء تتفكّك، وترى هشاشة الحياة. أصبحت إنغريد ضعيفة، ليس بسبب الحرب أو الحياة

أو بسبب فقدان الحب وألكسندر، بل بسبب كونها أمًا، وتثير فيها هذه الأعماق رجفة خوفٍ جديدةً مزلّلة.

يكشف فريدريك الآن وجود الحيتان، ويشعر بالنشوة ذاتها وهو يقف وراء دفة القيادة. في الأسفل على سطح السفينة، تجلس سوزانا بجانب سائق الآليات بيورنار ويحدّقان في الأعماق بالدهشة ذاتها. وبجانبهما تجلس التوءمان، صوفيا بنظرتها المرعوبة نحو إنغريد، كما لو أنها تسألها ما إن كانوا سيغرقون، وتبدو أنا كأنها تبكي.

لقد تسلّقت هانا الصاري من الجهة المقابلة ووقفت بجانب فيليكس وبدأت كأنها تصلّي. تشعر إنغريد باهتزاز الصاري ويبدّ تلمس ساقها، يتجاوزها مارتين وهانس مثل قطّين ويقفزان داخل منصّة المراقبة. ويقف لارس في باب المقصورة بلا حراك، القبطان على حبة رمل، يتحرّك بصمت إلى داخل المقصورة ويجلب سلمى، التي تصمت أيضاً عندما ترى هذا المشهد، أكثر مخلوقات الأرض إثارةً للدهشة في رقصة هادئة حول السفينة، ويرون الشمس تلعب مع الزعانف والجلد، يرون عيونها وبطنها البيضاء، ثم يقفز أحدها بضعة أذرع أمام قوس السفينة ويرسل إليهم صوتاً كونياً يجبر سلمى على إمالة رأسها إلى الخلف وإغماض عينيها.

تفتحهما ثانية، ينفث حوتٌ آخر. الآن يصل فريدريك إلى منصّة المراقبة أيضاً، ويجلس على اللوح الخلفي وذراعه تحتضنان قمة الصاري. لقد ترك فريدريك قيادة السفينة دون أن يطلب الإذن من القبطان، وسالتهامر تبحر في بحرها الخاص، حتى كايا تلمس كاحل إنغريد الآن، وتتسلّق بين أمّها والصاري وكأنّ كلّ شيء قد نُسي.

على ميسرة السفينة يقف ماتياس ويمسك بالرمح، يترك الرمح ويتحرّك

بعيداً متوازناً مثل بهلوانٍ، وينقل بصره بالتناوب بين الوحوش في الأسفل وأعلى الصاري بابتسامة لم ترها إنغريد من قبل، وتدرك أنها لن تراها مرةً أخرى. تحرّك شفّتيها وترسل كلماتٍ غير مسموعة. يهزّ ماتياس رأسه هزّة خفيفة كما لو أنه يعلن موافقته على اقتراحها، ثم يقفز إلى سطح السفينة، ويصعد إلى قمرة القيادة ويقف مثل رجلٍ خلف دفة القيادة الشاغرة، لكنّه لا يلمسها، ولا يلمس مقبض الاتصالات أو الرافعة، لأنّه في مجموعةٍ من أربعة عشر شخصاً هناك دائماً شخصٌ لا يفهم شيئاً ما، لكن في هذا اليوم لا يوجد شخصٌ كهذا.

III

أخيراً تظهر أولافيا هارتفيسن، لكن جثة. لقد توفيت في أحد مستشفيات مدينة آخن في ولاية شمال الراين-فيستفالن في ألمانيا الغربية، متأثرة بجائحة فيروسية. ويبدأ زوجها، أرملها الآن، أوتمار إرليخ، الذي خدم أثناء الحرب رقيباً أول في ثكنة عسكرية على جزيرة في شمال النرويج، بالترتيبات اللازمة لإعادة جثمانها «إلى الوطن» كما كتب في رسالة إلى آل ستورم، بلغة نرويجية جيدة بشكلٍ مدهش.

لم تترك أولافيا وصيةً مكتوبة، لكنها ألحّت على أوتمار أن يعيدها إلى ديارها عندما تموت، حتى تتمكن أسرته من دفنها في المقبرة بجانب البحر حيث نشأت. فهي لا تريد أن يرقد جثمانها في فوتشيردي، فهو مكانٌ غريب عليها، رغم أن الناس هناك كاثوليكيون ملتزمون، وقد شدّد أوتمار على هذه النقطة كثيراً، مبيّناً أن أولافيا ازدادت تديناً على مرّ السنين وكانت مشاركة نشطة في جماعة لوثرية صغيرة.

يعتقد آل ستورم أن الطلب غير مناسب. تذرف أخوات أولافيا غير المتزوجات الدموع على هذا الخبر المحزن، فقد أملنّ طويلاً أن تعود أختهن حية، بعد أن تهدأ الفضيحة، وبعد أن تُصبح الحرب اللعينة مجرد

ذكرى، وقد شاركتهن والدتهن أماليا هذا الأمل، لكنها أكثر قدرة على ضبط مشاعرها.

يأخذ ستورم العجوز رسالة أوتمار ويدخل مكتبه، يفتح الدرج السفلي في طاولة المكتب ويتناول صورة في إطار فضي لثاني أصغر بناته، أولافيا، ويذرف دمعاً أيضاً، لكن دون أن يلين موقفه من أمنية أولافيا الأخيرة. يجلس ويكتب رسالة إلى أوتمار إرليخ، بلغته الألمانية البسيطة التي تعلّمها خلال سنوات الحرب، للإشارة إلى المسافة اللغوية بينهما.

يتذكّر ألفريد ستورم أوتمار إرليخ كرجل نبيل، ورفيق أول يتمتع بموهبة ضابط الصف الطبيعية في الحسابات والإمدادات. لم يكن أوتمار إرليخ في مهمة شخصية في الشمال، لكنّه جاء إلى هنا مرّة واحدة، وكان وما يزال ألمانياً. وعليه، يرى ستورم أنّ رغبة صهره المفاجئة في التعبير عن نفسه باللغة النرويجية، اللغة الأم لعائلة ستورم، محاولة تأخ غير مرغوب فيها، لذلك تتدفّق اللغة الألمانية المدرسية من قلم ستورم العجوز وهو يرفض تلبية رغبة ابنته الأخيرة لأسباب عمليّة.

أسباب عملية؟

أجل، فهو لا يستطيع أن يقول صراحةً إنّّه لا يريد أن يتمرّع في المأزق ذاته مرّتين. يكفيّه ما أذاقته إياه في المرة الأولى، ابنته الجامحة التي بدا أنها كانت في حالة تمرّد دائم منذ سنّ الخامسة عشرة، إلى أن نجحت في الهروب بهذه الطريقة، مع ضابط صفّ ألماني. لكنّ ستورم يتذكّر جيّداً أيضاً، رغم أنّه ومنذ البداية لم يشجع ولم يُعطِ موافقته للطرف غير المناسب، أنّه انسحب هو وزوجته بعد تدهور العلاقة مباشرة.

لقد تناول الشابّ العشاء على مائدتهما، وامتدحا أخلاقه. حتى إنّ

أماليا لم تخجل من التعبير عن إعجابها به، داخل جدران المنزل، لأنّ حفلات العشاء هذه كانت تُقام خفيةً. ويبقى السؤال على أيّ حال ما إذا كان بالإمكان اتهام السيّد ستورم بمحاولة ركوب حصانين معاً في تلك السنوات المصيرية.

لكنّ مَنْ لم يفعل ذلك؟ من لا يستعدّ للأسوأ؟ من لا يخزّن عندما يكون الخطر محدقاً، وكلّ النتائج محتملةٌ بالقدر ذاته؟

لا يعتقد ألفرد ستورم أنّ لديه ما يخجل منه. فهو لم يكن متعاوناً بالتأكيد، ولا مستفيداً أيضاً، لكنّه وبناءً على توجيهات من أعلى المرجعيات الوطنية، حافظ على دوران العجلات فقط، وتزييتها جيّداً إذا اقتضت الحاجة. وهو يعتقد أنه ينبغي أن يكون لدينا مجموعتان من القوانين، إحداهما أثناء الحرب والثانية أثناء السلم، وكلاهما دون أثر رجعي.

كان من الممكن أن يكون هذا أكثر ديمقراطيةً من حكم هيسستريّ أبديّ غير قابل للنقض أثره أولئك الحمقى الذين كانوا يتحدثون في الراديو ويشربون النبيذ وهم جالسون هناك في بيوتهم في لندن، لقد جعلوا منا فرجةً، عليهم اللعنة!

الصورة المفضّلة لدى ستورم العجوز هي صورة حكومة منفى على الرصيف، دون أدنى فكرة عن معاناة الشعب في الوطن، شعبٍ مسكون بالكفاح اليومي لتجنّب تلطيخ نفسه في ظروف لم يكن مسؤولاً عنها بأيّ شكل من الأشكال. يكتب ستورم عنوان أوتمار إرليخ على الظرف، ويرسل الرسالة على أمل أن تكون القضية قد حُسمت.

لكنّ القضية لم تُحسم. ينسى ستورم أن يفكر في أنّ أماليا وبناته الثلاث الأخريات على قيد الحياة قد قرأن أيضاً رسالة أوتمار إرليخ، التي يقفل

عليها ستورم العجوز الآن في الدرج السفلي لإبعادها من طريقهن. لقد
فكر في حرقها، لكن بدت له الفكرة مبتذلة، فالمرء لا يعلم أبداً ما ينتظره.
تفاعل ابنته الكبرى آنا كارينا بطريقتها الخاصة مع تعنته. فتذهب،
دون علمه، إلى قسّ القرية وتساءل ليز، التي تفتح الباب، هل صموئيل في
الداخل؟

لكنّ صموئيل ليس موجوداً، فهو في زيارة إلى الجزر.
في مثل هذا الطقس السيّء؟

نعم، القسّ يحبّ الطقس السيّء، وستبلغه ليزا برسالة آنا كارينا.
تغادر آنا كارينا بيت القسّ وهي تفكر أنه قد يكون هذا التأجيل أمانة
رحمة، أو فرج. هكذا تُعلم نفسها، وأنها ربما تجد فكرةً أخرى، وتأمل
أن تكون أفضل، أو أن تصبح أكثر ثقةً بموقفها. وقد حدث الأمر الثاني.
ففي الأسبوع التالي، عندما تجد القسّ في منزله تخبره بمضمون الرسالة
المفاجئة من ألمانيا، وتطالبه بإقناع والدها بتغيير موقفه. من حقّ أولافيا أن
ترقد في سلام في قبر العائلة في المقبرة بجانب البحر.

قبل أن يشرع صموئيل في التفكير بالأمر، تضيف آنا أنّ هذه العملية قد
تكلف مالاً، وهذا ما لا تملكه لا هي ولا أخواتها، ولذلك عليه أن يجعل
والدها يدفع أيضاً.

لقد عرف صموئيل آنا كارينا منذ سنوات، ويعرف أنها تميل إليه. وهو
معجبٌ بها أيضاً، لكن من الواضح أنه لم يحسم أمره بعد. يفهم الآن أنه
ينبغي ألا يسمح لمشاعره أن تتحكّم به، لذلك يطرح الأسئلة الأكثر أهميةً،
والتي لم يُجب عنها آل ستورم قبل الآن: هل كانت العائلة على علمٍ بخطط

أولافيا للهروب في ذلك الوقت؟ هل ساعدتها العائلة في التخطيط، أو تمويل هروبها؟ هل تواصلوا معها خلال هذه السنوات؟

هناك سؤالان كبيران على الأقل، وأجابت عنهما أنا كارينا بسرعة: كلا، لم تساهم العائلة في هروبها، بأي شكل من الأشكال، لكنها افترضت، أو لنقل أملت، أن أولافيا قد هربت لتعيش حبّها هناك في ألمانيا، مع أوتمار إرليخ، فقد عرفته العائلة، واستقبلته أيضاً. لكن لم يحصل أي اتصال بينهما منذ هروبها.

لا رسائل؟

لا رسائل.

يفكر القس بشكل فلسفي في موضوع الرسائل التي تصل والرسائل التي لا تصل، وماذا قد يعني ذلك للمتظرين، إذا طال الغياب سنوات، ألن ينفد صبرهم ويتوترون؟

يتساءل صموئيل ما إذا كانت عائلة ستورم قد عاشت حالة انتظار في السنوات الماضية؟ وهل اعتزلوا العالم هناك في الشمال، وعاشوا وحيدين مع رخائهم المتآكل؟ ويستفيض، بشكل خاص، في الحديث عن حقيقة أنه لم يحدث أي شيء يتعلّق بزواج الأخوات الثلاث المتبقّيات، وأن واحدةً منهن فقط، غيدا، تعمل ممرضة في المدينة.

تقول أنا كارينا إنها تتفهّم ما يشير إليه وتخبره أنه كان في المنزل حطراً صارم على محاولة تعقب أولافيا، وأن الأخوات كنّ مطيعات، ولو على مضض.

لماذا؟

كنا نأمل أن يمضي الزمن بسرعة.

أن تصبح الحرب طي النسيان؟

تهزّ برأسها، شيءٌ من هذا القبيل.

يدرك القسّ صموئيل أنه لا مفرّ من دفع ألفريد ستورم لتغيير موقفه. وألفريد ستورم ليس رجلاً سهل القياد، لكنّه يتقدّم في السن، كما أنه ينبغي ألا يموت الأبناء قبل والديهم وما إلى ذلك. ولهذا يفكّر صموئيل إنه لا بدّ من وجود قوى قويّة كفايةً لتليين شخصٍ عنيد مثل ستورم.

ثم يدعو آنا كارينا لتناول العشاء معه، فمن المُملّ تناول العشاء بمفردك كلّ ليلة. تقبل آنا دعوته شاكراً. تقدّم ليز، التي لا تتكلّم مع الضيوف، شرائح لحم الخنزير المشويّة مع البرقوق. وتلاحظ آنا كارينا أنّ صموئيل يحرك المزهرية الموجودة على الطاولة بينهما قبل أن يشرعا في تناول الطعام حتى يتمكّن كلّ منهما من رؤية الآخر بشكل أفضل، وتتساءل لماذا جلست قبالة وهي متعلّبة الظهر طيلة الوقت، أليس من الأفضل لو أنها كانت أكثر استرخاءً؟

كان هجوم صموئيل المالمبيرغيت على مزرعة ستورم عنيفاً ومعقداً. شاط الغضب بألفريد ستورم على آنا كارينا أولاً، ثم على القسّ.

وبما أنّ الغضب غالباً ما يُنهك صاحبه، خاصةً إن كان عجوزاً، جلس ستورم على كرسي من أجل الراحة. وأوماً بغضبٍ أيضاً لصموئيل، الذي كان يقف حتى الآن منتصباً أمام الرجل العجوز، أن يجلس أيضاً. جلس صموئيل بين آنا كارينا وإليزابيث على الجانب الآخر من الطاولة وانتظر

حتى يفرغ ألفريد مرّة أخرى من سرد الأسباب الأساسية لاعتقاده أن إنجاب البنات فقط هو لعنة، وتساءل ما إن كان القسّ قادراً على تصوّر ذلك؟
لا.

إنهنّ غداّرات.

وأنت الملك لبر؟

ماذا؟

يمسح صموئيل عن وجهه الابتسامة الأدبية كي لا يتحدّث عن كورديليا، ربما لأنه لا يرى أيّ كورديليا حول الطاولة، يرى إليزابيث لكنّه لا يعرفها.

يقول بدلاً من ذلك ربما يكون الأمر مُلحاً.

ماذا يعني القسّ؟

حسناً.

يفهم الرجل العجوز المغزى ويغضب من جديد، وتفلت منه في سورة غضبه كلمة عن أن أوتمار إرليخ قد ردّ عليه، أرسل له جواباً على رفضه العمليّ المُبرّر لفكرة استعادة جثمان أولافيا إلى الوطن.

يُخرج الرسالة الجديدة من جيب جاكيتته، ليقرأها بصوت عالٍ، لكن أنا كارينا تُفوّت عليه الفرصة، فتنحني عبر الطاولة وتخطفها من يده وهي تصرخ بعنف، ما الذي يحاول والدهنّ أن يُخفيه عنهنّ؟

ينهض ألفريد ستورم ويدور حول الطاولة في محاولة لاستعادة الرسالة، وهو في سورة غضبٍ شديد مرّة أخرى، ربما لأنه يعرف أن إرليخ قد ضمّن هذه الرسالة معلومات أكثر ممّا يريد ألفرد ستورم لعائلته أن

تعرف، تدرك أنا كارينا ما يريد والدها، فتهرب منه وتبدأ بقراءة الرسالة بصوت عالٍ، غير مبالية بصراخه.

لا داعي للعجلة، كما كتب إرليخ، من الناحية العملية الصرفة، فجثمان أولافيا موجودٌ حالياً في مخزن تبريدٍ حديث. لكن من غير اللائق أيضاً أن يبقى هناك لفترة طويلة. هل لدى عائلة ستورم أيُّ رغباتٍ محدّدة؟ إذا كانوا يفكّرون في إيجاد حلٍّ ألمانيٍّ، فإنّ دفنها في ألمانيا، كما قلت، غير وارد.

هذا ما أقوله، يصرخ العجوز، ويحاول استعادة الرسالة، من جديد، وهذا ما تعتبره أنا كارينا أمارّة على رغبته في حجب المزيد من المعلومات الهامة التي تحتويها الرسالة. فتسرع في القراءة، وبدقة أيضاً: لدى الزوجين إرليخ طفلان، ستيفان البالغ من العمر خمس سنوات، وإيفا البالغة من العمر ثلاث سنوات ونصف، ويشعر إرليخ، بل إنّه واثق من أنّ كليهما، وهما نائمان الآن في الطابق العلوي، يرسلان لجديهما في النرويج أحراً التحيّات، ويتمنّى لو أنّهما عرفا فقط الجدّين إرليخ، وأشقّاءه الذين لم تُبقِ الحرب على أيٍّ منهم.

«يا إلهي!»، تقول أماليا، ربّة المنزل النحيلة حدباء الظهر، التي تجلس الآن في صمّ مخلص بجانب زوجها وتظاهر أنّها تحيك.

تضع قطعة صوف كانت تحيكها على الطاولة، تنهض وتمشي بهدوء نحو أنا كارينا، التي ناولتها الرسالة باكيةً، تقترب منها إليزابيث وتحتضنها، وهي تنتحب. تقف أماليا في هدوء تامّ في منتصف الغرفة وتقرأ ببطء وتقلب الورقة لتتأكّد من عدم وجود المزيد من الكتابة على ظهرها، ثم تطويها وتتجه نحو زوجها تصفّعه بقوة، ثم تستدير وتغادر الغرفة ومعها الرسالة.

تصل أولافيا ستورم هارتفيسن إرليخ إلى الوطن على متن سفينة تبريد، وتبقى على منصّات التبريد في مستودع مصنع أسماك فيغ حتى موعد الجنازة، وهي الجنازة الأكثر تحدّياً لصموئيل مالمبيرغيت حتى الآن.

ها هي ذي فتاة القرية التي كانت مفقودةً وضائعة تعود إلى الوطن جثماناً في نعش، وبثلاث نسب، كلّها تثير ارتباطات، معقدة ومزعجة، بالحرب، التي بدأت الآن حقاً تثير أعصاب القسّ.

لأنّ كلّ هذه النسب تثير شقاقاتٍ جديدةً في الأسرة. فهم سيودعون ليس فقط الابنة الأكثر حيويّةً في المنزل، بل المتمرّدة وناشرة الفرح خلال مرحلة الطفولة، بقدر ما يتذكّرون، ولكن كُرمى لله انسوا خطاياها الآن. سيُنقّش اسم أولافيا على شاهدة القبر وسيبقى هناك إلى الأبد، لا يتزعزع مثل كلّ الأدلة المكتوبة عن الحيوانات التي يسافر هذا القسّ التاريخي حول القرية ويصوّرها، وهو رجلٌ يريد أن ينسى ويتذكّر، ويسمّي هذه العملية: المصالحة.

أيّ اسم تختار العائلة؟

«أولافيا ستورم» هو الخيار الثابت للعجوز ستورم.

لكن ألفريد ستورم لم يعد الرجل الذي لا يلين، فبعد التسوية حول المراسلات ونتائجها أصبح مجرد ظلٍ من نفسه. بينما أنا كارينا، وإليزابيث وغيدا، الممرضة، التي جاءت اليوم لتكون مع العائلة في هذا الوقت العصيب، اخترن أن يُنقش على الشهادة «أولافيا ستورم إرليخ»، لأنهن عرفن أوتمار إرليخ رجلاً نبيلًا، وإن يكن في الزيّ الخطأ. وقد سئمن من التجميل المخادع للسلام، وأغرتهن فكرة أن الأخت الثانية الصغرى في العائلة كانت لديها الشجاعة والقدرة على تحدي الحرب والسلام والعائلة والوطن، من أجل الحب، هل هناك أجمل من هذا؟

أو شيء أكثر استحالة؟ تساءلت أماليا.

لقد احترمت أماليا في سرّها اختيار ابنتها لمسار حياتها. حتى إنها تصالحت مع صفقتها مع يوهانس هارتفيسن، الذي كان محاولةً جديرة بالرهان. وتعتقد أماليا أن ابنتها قامت بتلك المحاولة اليائسة في اللحظة التي تخلّت عنها العائلة، يجب أن يخجلوا من ذلك. وكان ينبغي نقش النسب الثلاث على شهادة القبر، احتراماً لقوة أولافيا وشجاعتها، حتى تكون سمعتها حقيقيةً قدر الإمكان في هذا الزمن المستحيل الذي يعيشون فيه.

في البداية، واجهت أماليا صعوبةً في إقناع البنات بقبول هذا النوع من المنطق، ولم يعجبهن هارتفيسن كثيراً. لكنهن ينتقلن ببطء، وثبات، إلى جبهة الأم، أولاً أنا كارينا، ثم غيدا، وأخيراً إليزابيث. لم تبَقْ هناك فرصة أمام ألفريد ستورم العجوز. وقد استشاط غضباً في مناسبتين، وكان طائشاً أيضاً بما يكفي للحديث عن المال، وكلفة النقل، وثمان هذا التابوت

المصنوع من خشب البلوط الألماني، وأنه لا ينوي ارتكاب خطأ آخر من هذا النوع.

لحسن الحظ فقد اتحدت العائلة حول شكوكها في رغبة إرليخ في أن يرافق نعيش أولافيا إلى وطنها، فحضوره شخصياً أمرٌ سابق لأوانه من الناحيتين العملية والسياسية.

المثير للاهتمام هو أن العجوز ستورم كان الشخص الأكثر جلباً في الكنيسة، فهو ينتحب خلال مراسم القداس، كما لو أنه قد فهم أخيراً شيئاً عميقاً لدرجة أنه يكاد يقتله، وهو ردُّ فعلٍ لا يمرّ دون أن يلاحظه غالبية الحضور. لم تكتظ كنيسة القسّ صموئيل بهذه الطريقة منذ تولّيه منصبه. ويحضر هذا القداس اليوم كلّ الذين اهتموا لسنوات ببلغز أولافيا ويوهانس، هل سيحصلون أخيراً على إجابات؟ بصعوبة.

في حالة أولافيا، ما يزال هناك كنزٌ من التفسيرات المحتملة والأسئلة التي لم تلقَ الإجابة عنها، مثل الأفعال والدوافع والأجزاء المبعثرة، التي يمكن تجميعها معاً في القصة التي يحتاجها كلّ فرد. إنهم لا يودّعون حياةً واحدة هنا، بل حيواتٍ بقدر عدد الحضور في الكنيسة، ففي هذه اللحظة، يوجد في الكنيسة جَمْعٌ مؤثّر للغاية، وهم هنا ليس فقط بدافع احترام المتوفّاة وعائلتها، بل لأسبابٍ شخصية جداً، لدفن فرضية، وبالتالي إبقائها على قيد الحياة.

في الصف الثالث تجلس إنغريد بارأوي، بجوار سفيتلانا، التي كان لديها كالعادة اطلاعٌ جيّد على البريد، والاتصالات البرقية بين النرويج

وألمانيا. ولدى سفيتلانا تفسيرها الخاص لهذه الدراما: لقد أحبّت أولافيا يوهانس هارتفيسن أيضاً، وهذ قناعتها التي لا جدال فيها، وهذا منطقٌ روسيّ على الأغلب لدرجة أن إنغريد اضطرت إلى معاندتها.

حبّ؟

نعم، تصرّ سفيتلانا، لقد حاول يوهانس إنقاذ أولافيا في الوقت الذي تخلّت عنها عائلتها، ورعى طفلاً ليس من صلبه، وهذه نبالة من قبل يوهانس، عرفت أولافيا كيف تقدّرها، ولذلك تجددين اسمه منقوشاً في مكانه أيضاً على شاهدة قبر أولافيا وليس فقط على الصليب المحيّر الذي وضعه القسّ فوق قبر فارغ على حافة المقبرة.

تحتاج إنغريد إلى التفكير في الأمر، فلديها أيضاً مخاوفها الشخصية. في البداية، كان ردُّ فعلها موضوعياً تماماً على أخبار ظهور أولافيا. نعم، لقد انتهى هذا الفصل، هكذا فكّرت، وشعرت في البداية بشيء يشبه الارتياح، غير أنها بعد ذلك شعرت بالخجل أيضاً. لكن لم يختفِ الارتياح لأنّها شعرت بالخجل، بل بالتعائش، وبشكل جيّد، مع الخجل.

معلومات سفيتلانا عن وجود طفلين متبقّيين في ألمانيا كانت صدمة جديدة لإنغريد: ماذا يمكن أن يعني ذلك لأمّ بالتبني؟ أن يصبح لدى ابنها فجأة شقيقان كاملان؟ وقد خافت كثيراً من ظهور الأرملة شخصياً في الجنازة. لكنّها لم ترَ بعد أيّ شخص يشبهه، بعد أن دققت في وجوه الحشد عدّة مرّات، لكنّ راحة البال ما تزال بعيدة المنال.

تجلس أماليا المتشحة بالأسود الكامل إلى جانب زوجها ألفريد ستورم وتناوله مناديل لتجفيف الدموع، وتهمس في أذنه بهدوء وتضع يداً مواسيةً على كتفه. كما أنها منزعجة أيضاً من وجود ابنتها الكبرى هناك

في الجوقة، حيث تبدو أنها تقدّم ترفيهاً في حفل زفاف. تتألق أنا كارينا على الملأ. وأماليا تتمنى التوفيق لابتتها الكبرى، وتقدر عالياً نجاحها في تخفيف وزنها مؤخراً، لكن في النهاية هذه جنازة أختها.

إضافةً إلى ذلك، يزداد قلق أماليا أكثر فأكثر من هذا القسّ المستبدّ، الذي لا يعرف كيف يتواضع، ومن الواضح أنه يستمتع بأهميته، وجدّيته، وكلماته الخاصة، وهو يتدخل في شؤون الآخرين، ويسارع إلى تشجيعهم وتقديم نصائح لم يطلبها منه أحد.

على يمين أماليا تجلس بناتها، اللواتي يتشحن بالسواد أيضاً. إليزابيث الصغيرة مهتمة جداً بأن يسير كلّ ما يتعلق بالقدّاس بأناقة وسلاسة قدر الإمكان. لأنّها هي التي ابتكرت تشكيل الزهور، الذي استوحته من نظرة والدتها الجديدة لقصة معاناة أولافيا، وقد أثّرت هذه النظرة بعمق في إليزابيث، لقد حلّ في ذهنها شيءٌ مقدّس حول أولافيا.

أمراً آخر مثير للاهتمام: إذا لم يكن هناك الكثير من الشكّ حول نسب ماتياس الأبوي، فليس هناك أيُّ شكّ حول نسبه الأمومي، أي إنّ أولافيا تركت وراءها ثلاثة أطفال، بينما لم تحقّق الأخوات الثلاث أيّ شيء على الإطلاق. لقد عاشت أولافيا من أجلنا جميعاً، بينما كنا مشغولين بماذا؟ حتى تعليم غيدا وعملها ممرّضةً في المدينة يبهت تماماً في ضوء مصائب أولافيا.

حتى إنّ إليزابيث قد بدأت تفكّر في ماتياس، والتفتت إلى الوراثة كثيراً هنا في صالة الكنيسة، لكنّها لم تلمح من سكّان بارأوي سوى إنغريد، وبجانباها المرأة الروسية الخشنة التي تعمل في مكتب البريد، وجارة أولافيا العجوز غودرون.

تبادلت إليزابيث وإنغريد الإيماء بالرأس، لكن لماذا لم تجلب ماتياس معها، إلى جنازة أمّه؟ هل أخفى سكّان بارأوي الخبر عنه لمصلحته، أم لمصلحتهم؟

كانت إليزابيث تودّ لو تراه مرّة أخرى، تتفرّس في وجهه بحثاً عن ملامح أولافيا، وتتساءل ما إذا كان ينبغي أن تحاول الاقتراب من إنغريد والتحدّث معها خارج الكنيسة، وعن طريق المزاح تمرّر عبارة أنه من المؤسف ألاّ يتمكن الصبيّ من الحضور، وتوديع والدته، شيء من هذا القبيل. ففي نهاية المطاف، ماتياس هو ابن شقيقة إليزابيث، لذلك ينبغي أن يكون سؤال كهذا ممكناً وطبيعياً على حدّ سواء.

لكنّها تذكّرت أنّهم في الحقيقة لم يهتمّوا بالصبيّ على الإطلاق. كانت هي الاستثناء الوحيد. بينما أخواتها غيدا وأنا كارينا لم تنطقا اسمه تقريباً. واكتفت الأم، أماليا بالتّنهّد مرّتين وهي تحيك الصوف وتمتت: أجل، فقط تخيّلني، أنّ قطعة من لحمنا ودمنا تهيم هناك في إحدى هذه الجزر الفقيرة، ونحن لا نهتمّ، لقد سقطنا إلى الدرك الأسفل.

تشعر إنغريد أنّ شيئاً ما يدور في رأس إليزابيث مُصَفَّف الشعر جيّداً، الذي يفصلها عنه مقعدين، شيء يتعلّق بها، ويزداد هذا الشعور مع كلّ نظرة إلى القلادة الذهبية التي تحيط برقبتها النحيلة، وإلى التطريز الأبيض على فستانها الأسود، وإلى وقفتها الرصينة وكبرياتها.

ويزداد قلق إنغريد مع اعتقادها بتضاؤل فرصة التحدّث إلى القسّ صموئيل على انفراد، فكّل شهقة تسمعها من العجوز ستورم تقلّل من فرصتها تلك. وفي يوم كهذا، من المؤكّد أنه لدى القسّ مهامّ أخرى غير

لغزها، الذي من الواضح أنها قد راكمت عليه المزيد من القلق غير المبرر،
هكذا تُطمئن نفسها، وتصلّي مع الآخرين في صمت، بينما استقرّت نظرتها
على تسريحة شعر إيزابيث وعنقها وقلادتها الذهبية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

خلال الأسابيع الماضية، ازداد تقارب القسّ صموئيل مع عائلة ستورم، وتعلّم كيف يقدرهم. حتى ألفريد العجوز كان من حينٍ إلى آخر يظهر كإنسان عاديّ. صحيح أنه كان يُفسد وبسرعة كبيرة أيّ شعورٍ بالتعاطف، لأنّه ضيق الأفق وأرعنٌ وغير معقول، لكنّ صموئيل يعتقد أنه يفعل ذلك بحكم أن الطبع يغلب التطبّع.

لقد بدأ صموئيل يتأقلم مع أهواء العائلة وتقلّباتها، تحت تأثير مشاعره تجاه أنا كارينا، التي تزداد قوّة وعمقاً كلّ يوم.

يعرف صموئيل أنا كارينا منذ عدّة سنوات، لكنّه لم يفهمها تماماً قطّ، فقد كانت غامضة ومتقلّبة، ولكن منذ أن أتت وطلبت مساعدته في إعادة جثمان أولافيا إلى الوطن، أصبحت أكثر وضوحاً. ركّز صموئيل على أنا كارينا، حسب تعبيره، والآن هي واضحةٌ تماماً في ذهنه باستمرار، واضحة وواثقة، لدرجة أنه واجه فيها أكثر سماتِهِ الشخصية غموضاً.

أكثر سمات صموئيل الشخصية غموضاً، كما يراها هو، هي أنه رجل خجول، عندما يكون الأمر مهماً حقّاً، عندما يَجِدُّ الجِدُّ. ونتيجةً لذلك، بدأ

يشك مرةً أخرى، على الرغم من أنه لا يمكنه الشك في ما رآه خلال كل هذه السنوات من التدريبات في جوقة الكنيسة، وهو أن آنا كارينا تُكنّ له مشاعر قويّة!

في اللحظات المظلمة، يشكّك في ذلك.

في اللحظات الأكثر تفاؤلاً، يفكّر: بالطبع، إنها تحبّني.

يتأرجح صموئيل بين هذين النقيضين، ويفكّر كم سيكون محرّجاً أن يبدأ بالخطوة الحاسمة، ويُقابل بالاستغراب وعدم التصديق، والباب المغلق: ماذا يتخيّل القسّ؟

يعلم صموئيل أن مثل هذا الرفض سيضعه في موقف صعب، كرجل وقسّ وإنسان.

ومع ذلك، يعتقد أنه وجد مخرجاً، عندما أدرك في لحظة تجلّ قبل ثلاثة أيام أنّه في الواقع يستطيع تحمّل الرفض، ما دام غير مباشر. لذلك جلس وكتب رسالة، احتاج إلى ثلاثة أيام لصياغتها، رغم أنها لا تتجاوز أربعة أسطر، إلا أنها حاسمة، كما يشعر بثقلها فوق صدره.

في الوقت نفسه، عمل على كتابة خطبته، وهي تأيّن لائق لأولافيا، وهذه المهمة ليست سهلة أيضاً. ففي بادربورن، توجد مدرستان للتعامل مع الحالات المعقّدة كهذه: تطلب المدرسة الأولى من القساوسة قول الحقيقة، والتحدّث بشكلٍ صادق عن المتوفّي، واستخدام أقلّ قدرٍ ممكن من الزخارف اللغوية.

تتبع المدرسة الثانية نهجاً مختلفاً تماماً، فهي تدعو إلى الفصل التام: استخدام مصطلحات عامة وسطحية حول الحياة والخلود، وتجنّب الخوض في تفاصيل سيرة المتوفّي.

لكنّ صموئيل ارتكب الخطيئة، ويدرك خطأه متأخراً، عندما يقف أمام الحضور، ويحاول الجمع بين المدرستين.

يبدأ التآيين مقبولاً عندما يتحدّث عن طفولة أولافيا، التي لا جدال في أنها كانت طفلةً ساحرة للغاية، ولكن عندما يصل إلى سن البلوغ، يفشل الأمر. يقول القسّ إنّ أولافيا اضطرت إلى اتخاذ خياراتٍ مستحيلة، وإنّ الظروف، وليس شخصيتها، هي من أجبرتها على ذلك، وتفعّل الحرب ما تفعله دوماً. فالظروف قد تجبر أحياناً حتى الأقوياء جداً على الركوع، ومن واجبنا في هذه الحالة أن نغفر.

خيار؟ غفران؟

لكن ما معنى الغفران، وهل هناك ما يُغفر عندما لا توجد مسؤولية شخصية عن الخيارات والتصرّفات السيئة، التي نطلق عليها اسم الخطيئة؟ يدرك صموئيل متأخراً أنه يُفسد الأمر، ولا يُصلح شيئاً عندما يطوف ببصره بين الحضور، الذين وصفهم ستورم العجوز بالقطيع، ويسمع نفسه يُؤكّد مرّةً أخرى أنّ الحرب قد دفعت الكثيرين منا لاتخاذ خطواتٍ ما كنّا لننّخذها تحت أيّ ظروف أخرى، أرّثنا الحرب من نحن، لقد غرّتنا جميعاً على حقيقتنا، ولم تكن حقيقةً جيّدة دائماً. يا إلهي، كما أرّثنا أولافيا، بمثالها، من نحن، كلّ الامتنان لها.

يصمت صموئيل، وتبدأ ترنيمة «جميلةٌ هي الأرض».

بعد ذلك، سيبدأ عملٌ فنيّ آخر.

لن يشارك أيّ من أفراد عائلة ستورم في حمل النعش. ربُّ العائلة العجوز لا يقوى على ذلك، وبقية العائلة نساء. لذلك تشاور صموئيل مع

أماليا لاختيار أشخاص من القرية لم يكن لهم أيّ علاقة تقريباً مع أولافيا، ومن غير المتوقع أن تثير مشاركتهم أيّ ذكرى لروابط غير مرغوب فيها بالمتوفاة، إنه فريق عمل احترافي، ستة رجالٍ يحملون النعش.

الشخص الوحيد الذي لا تنطبق عليها هذه الشروط هو غوت العجوز، جار أولافيا في السنوات التي عاشت فيها مع يوهانس. لكنّ غوت هو غوت. وكذلك دانييل مالفيك. إنه صديق لعائلة بارأوي، حيث يعيش ابن المتوفاة، لكنّ دانييل لم يرَ أولافيا قطّ وهو هنا ليس فقط لحمل النعش، بل لأداء خدمة شخصيّة للقسّ أيضاً، بمجرد خروجهم من الكنيسة.

يحمل دانييل الجزء الخلفي الأيسر من النعش وتلتقي نظراته بنظرات إنغريد في الصف الثالث، أثناء مرور الموكب، ولا يفهم تماماً ما يراه. ما علاقة إنغريد بالأمر؟

تقف إنغريد بجانب سفيتلانا وغودرون العجوز التي كانت من بين أولئك الذين عرفوا على مرّ السنين كيف ينفخون الحياة في الشائعات السيئة حول أولافيا، وكانت غودرون مقتنعة بأنّ يوهانس قد قتلها، وأنه شخصٌ مكروه يلفّه الغموض ومتقلّب لا يمكن التنبؤ به ويبعث على الخوف. لكن بمجرد خروجهم، تهمس لإنغريد: ألم أقل لك؟

تقصد غودرون أنها أدركت منذ البداية أنّ أولافيا قد سافرت إلى ألمانيا وراء حبیبها، نهاية القصة. تسوّد الدنيا في عيني إنغريد، التي تراكت لديها مشاعر غامضة بسبب رؤية الرقبة الأرستقراطية لإليزابيث، والذهب، والجمال، وفكرة الشقيقين الكاملين لماتياس في ألمانيا. فتسأل غودرون: ما ذنب الصبيّ؟

أُم تتخلّى عن طفلها، من أجل رجل؟ هل فقدت غودرون عقلها؟
أليس لديها هي أطفال؟ هل هي غبيّة؟

تتفاجأ غودرون وإنغريد نفسها أيضاً من حدّة ردّة فعلها. فتسرع بالمغادرة، تمشي فوق العشب البنيّ في شهر نيسان نحو قبر نيلفي، وتجتو على ركبتها وتبدأ في حفر الأرض بمجرفة صغيرة، وهي غاضبة من تجاوزها الحدّ، ليس فقط في لقاء غودرون، بل أيضاً من فقدانها السيطرة على مشاعرها مرّة أخرى، لقد أصبحت حقاً حطاماً بسبب الأمومة.

ثم يسقط ظلّ على شاهدة قبر نيلفي، فقد وقف شخص في الشمس وينتظر أن ترفع إنغريد نظرها إلى أعلى. ترى إنغريد إليزابيث ستورم. تخلع إليزابيث قفازاً أسود كمبادرة لمصافحة إنغريد. تقف إنغريد وتصافحها، وتقدّم لها تعازيها وتنتظر في صمتٍ يطول لدرجة أنّ إليزابيث تتصرّج خجلاً، وتذرف دمعاً وتدور حول نفسها كأنها تتألّم. لا تسعفها أيّ كلمة من الكلمات التي فكّرت فيها خلال القدّاس. فالشجاعة، والطبيعي، والممكن، والكرامة جميعها اختفت.

تقول: «لا شيء، انسي الأمر!»، تبسّم ابتسامةً غامضةً، تحني رقبتها ثم تنطلق صعوداً مرّة أخرى نحو الحشد الذي يسير الآن خلف آخر حركةٍ بطيئةٍ للنعش نحو قبر عائلة ستورم.

تتبعها إنغريد بعينيها، ثم تلقي نظرةً أخيرةً على قبر نيلفي وتخيّل أزهار الحقل التي ستنمو هنا أيضاً هذا العام، وتسير ببطء، وتلتحق بالحشد الذي يقف في نصف دائرة حول القبر ويستمع إلى كلمات صموئيل الأخيرة.

الآن، يتكلّم الكاهن بحذرٍ. لقد سلّم بالفعل أنا كارينا الرسالة المهمّة،

وهو يشعر بالتشجيع من ردّة الفعل التي يعتقد أنه لاحظها، في نظرتها الغائمة والابتسامة الحذرة.

بمجرد أن يُنهي القسّ خطبته، يقف دانييل مالفيك على الجانب الآخر من الحفرة مع كاميرا صموئيل والحامل ثلاثي القوائم، ويخلّد على بكرة فيلم كاملة التابوت مع الزهور والأكاليل، ومن خلفه العائلة الحزينة، صموئيل في وسطهم، وخلفهم جميعاً سكّان قريةٍ بأكملها وسكّان جزر لا حصر لها.

ستخضع هذه الصور، لاحقاً، لرقابة آنا كارينا نفسها، عندما تكون في وضعٍ يسمح لها بذلك، وسيجري حرقُها في فرن بيت القسّ، لأنّها تعتقد أنّها تبتسم في هذه الصور. إنّ ما يسمّى بالابتسامة الغامضة وغير الواضحة ربما تُعزى إلى الرسالة التي تلقّتها للتوّ والتي تحتفظ بها في الحقيبة التي تضمّها الآن إلى صدرها. لكنّ آنا كارينا ووالدتها أماليا تتفقان على أنّ الابتسامة واضحة بما فيه الكفاية في عيني آنا كارينا.

أمام الكنيسة في الخارج رُكنت سيّارةٌ واحدة فقط، إنها السيّارة المستعملة التي اشترتها عائلة ستورم مؤخراً. لكنّ السيّارة تبقى سيّارة، شيء بعيد المنال على الكثيرين، ويركض وراءها الأطفال عبثاً وهم مستعدّون للتلوّث بالغبار الذي تتركه وراءها، حتى لو كانت سيّارة فورد قديمة عمرها عشرون عاماً.

بعد وداع صامت للقسّ ونظرة محايدة قدر الإمكان إلى الحشد، يفتح ألفريد ستورم باب السيّارة ويجلس فيها. تجلس زوجته وابنتاه في المقعد الخلفي. تجلس آنا كارينا خلف المقود وتشغل السيّارة، ثم يغادرون عرضاً

يعتبره ستورم الأب الأكثر إذلاً في تاريخ العائلة بأكمله، دون أن يدرك أنه لم يحظَ في كل حياته بهذا القدر من التعاطف والتفهّم.

تجلس إليزابيث في المقعد الخلفي وهي تفكّر في اللقاء الفاشل مع إنغريد بارأوي، عند قبر لا تعرف عنه شيئاً، فوقه صليبٌ بسيط محاط بأصدافٍ وحصىٍ صغيرة من الشاطئ. تمسك بيد أمها اليمنى، وتمسك أماً ليا بيد غيدا اليمنى، وتتساءل إليزابيث ماذا حلَّ بكلّ ما شعرت به وفكّرت فيه في الكنيسة. ظهرت إنغريد سابقاً شخصاً لطيفاً، بسيطاً، سهل المعشر، غير معقّد. لكنّ هناك في المقبرة، ارتفع جدارٌ من الوجود بينهما، جدار أدركت إليزابيث في الوقت المناسب أنها لا تستطيع اختراقه ولا تسلّقه، بغضّ النظر عما قد تقوله أو تفعله، أو من تكون.

إليزابيث في السابعة والعشرين من عمرها، تحدّق من خلال نافذة السيّارة المغبرة، إلى الأراضي والأشجار والمزارع والجبال، لمحة من البحر في الغرب، بعض الأغنام التي جُزّ صوفها حديثاً في الربيع. تستدير نحو والدتها وتضغط على يدها حتى تفتح أماً ليا عينيها، فتقول إنها ستقدّم بطلب للالتحاق بدورة سكرتارية، وهذا عمل يعتقد والداها أنه ينتقص من كرامتها: ما رأيك، يا أمي؟

افعلي ما تريدين، تقول أماً ليا.

استيقظت إنغريد باكراً ولم تنهض من فراشها. كانت الشمس على وشك أن تغادر النافذة الشمالية، تاركة وراءها شعاعاً صغيراً من الضوء. في هذا الوقت من العام، يعني هذا الشعاع الصغير أن الساعة في الطابق السفلي ستصدر قريباً سبع دقائق خافتة. لكن إنغريد لم تنهض.

هناك سببان يدفعان إنغريد للنهوض من الفراش: أولاً، لتهدئة أفكار الليل بالعمل، وثانياً، لأن هناك عملاً يجب إنجازه. بقيت مستلقية تفكر فيما لو عادت أولافيا إلى الوطن، منذ زمن بعيد، في ما كان يمكن أن يحدث، وفي ما لم يحدث.

فكرت في أمها التي قالت إن صراخ الأطفال هو أغنية الله. فكرت في رقص الحيتان في الأعماق، وسمعت أمها تتحدث عن فن البكاء؛ في العزلة فقط تُعبر الدموع عن مشاعرنا بحرية. لم يكن هناك نسمة في شجرة الغبيراء خارج المنزل، لكن هناك قلق في أعماق إنغريد، قلق دائم.

نهضت إنغريد، صفّت ذهنها، ونزلت إلى الطابق السفلي وقالت لباربرو على مائدة الإفطار إنها ربما يجب أن تبحر إلى هافستاین وتعيد

الأطفال بنفسها، كما كانت تفعل في الماضي. نظرت إليها باربرو وسألتها ما إن كان هناك خطبٌ ما.

لا شيء، قالت إنغريد. لكنّ باربرو فهمت، إنهما الطفلان اللذان تغيّرا في أسبوع واحد في هافستين أكثر ممّا تغيّرا خلال الصيف كلّ في بارأوي. أعدت إنغريد زوادة الطريق، جهّزت حقيبة ونزلت إلى قارب التجديف وجلست إلى المجاديف وتخيّلت عندما جدّفت بها أمّها أوّل مرّة، أمّها التي كانت تجلبها من المدرسة أيضاً، وهذا ما كان يخفّف عن إنغريد المشاعر الثقيلة بعد معركة غير متكافئة استمرّت أسبوعاً مع معلّم كان مهووساً بتجربتها من «عاداتها السيئة»، ومن جزيرة بارأوي، وتحويلها إلى إنسانة حضارية.

كان الأمر أسهل مع فيليكس. في رحلته الأولى إلى المدرسة، جلس لارس بجانبه على مقعد القارب الخلفيّ، يضحك بصوت عالٍ وودّيّ، ولم تسمع إنغريد البتّة أنّ فيليكس لديه «عادات سيئة». حتى كايا، وماتياس، وأوسكار، لم يكونوا معرّدين مجموعة من ثلاثة أطفال، بل وصلوا كمجموعة أطفال على قدر كبير من الثقة بالنفس لدرجة أنه كان من الممكن أن يكون لديهم بعض العادات السيئة أيضاً.

كانت سوزانا كثيرة العادات السيئة. لم تحبّ المدرسة وأرادت أن تبقى في بارأوي، فاضطّروا إلى أخذها إلى المدرسة بالقوّة العاشمة. بقيت أشهراً تصرخ وتثير المشكلات مع الأطفال هناك، فيضطرّ أخوها فيليكس للتدخّل. لم تكن هناك أيّ معاناة مع فيليكس، بل معاناة دائمة مع سوزانا.

تقول في رسالتها الأخيرة إنّها تعيش في شقّة من ثلاث غرفٍ ومطبخ مع بيورنار وابنتهما الصغيرة هيغا، في الطابق الرابع من المبنى السكني الذي

شُيِّدَ بالجهد التطوّعي، والذي يحتوي على تدفئة مركزية. وأنّ السكّان يحرقون قمامتهم في أفران كبيرة، ولديهم مياه ساخنة، تجري في مشعّات التدفئة، وكلّ شقّة فيها مرحاض خاصّ، ولديهم أحواض استحمام ونوافذ بزجاج مزدوج وشرفات، وهناك حاوية لرمي القمامة، وغرفة محصّنة ضد القنابل، وغرفة مخزن وغرفة غسيل الملابس في الطابق السفلي. كانت رسالة سوزانا حماسية جداً.

سوزانا تستطيع أن تكتب على الأتل.

وكان لديهم أيضاً أقنعة غاز، «أقنعة الغاز الشعبية»، المحفوظة في ما أسمته سوزانا بالمركز، دون تقديم المزيد من التوضيحات. وفهمت إنغريد أنّ بوسع المرء هناك أن يشتري الطعام والأحذية والطلاء، من المتجر ذاته، وكان هناك صيدليّة ومتجرٌ لبيع الملابس وحضانة للفقراء، وبينما تكون الأمّهات في المنزل، يلعب الأطفال في الخارج في ما أسمته سوزانا «شارعاً»، رغم أنه عبارة عن صندوق رملٍ مفتوح موضوع على «العشب» بجوار منشئ الملابس الذي يسمّى منشئ التجفيف. وكان منشئ الملابس، وغرفة الغسيل، وغرفة المخزن، وغرفة القنابل جميعها مشتركة، إضافةً إلى صندوق الرمل وحاوية القمامة.

كان مع الرسالة، صورة التقطها بيورنار عندما كان يعمل متطوّعاً، رأت فيها إنغريد عدداً مخيفاً من المنازل أكثر ممّا كان يمكن أن تتخيّله بمفردها، صناديق خرسانية مكوّنة من أربعة طوابق فوق منحدر طيني، وحولها بقايا موادّ بناء. وثلاث رافعات، وعددٌ لا يحصى من الشاحنات، ورجال يرتدون ملابس سوداء وقبّعات، وخلّاطات الأسمنت، وعربات يدوية لنقل الخرسانة.

وضعت سوزانا علامة خضراء على أعلى نافذتين على الجهة اليمنى من كتلة البناء الثانية على المنحدر. وعلى بعد قرابة مئة متر يُرى شارعٌ عريض تقف فيه لحظة التقاط الصورة إحدى وثلاثين سيارة. لقد عدّتها إنغريد مرّتين وتساءلت بمنتهى الجدّة عمّا إذا كان من المستحسن إشراك باربرو في العمل معهم.

كيف هي الحال هناك؟

لم يكن من السهل على إنغريد استيعاب فكرة أنّ سوزانا تقضي طيلة النهار في الداخل وراء تينك النافذتين، بينما هيغا تلعب في «الشارع» ويورنار في العمل الإضافي، خصوصاً في ضوء الإثارة التي وصفت بها سوزانا الحالة برمتها. طبعاً كان بوسع سوزانا أن تخرج، تقفل الباب وراءها، تنزل أربعة شواخط من الأدراج إلى الأسفل، ثم تصعد الطريق الموصل إلى المركز التجاري لشراء أحذية.

أول شيءٍ تساءلت عنه إنغريد في خطاب الردّ هو ما إذا كان من الصواب أن تجلس النساء في البيوت ولا يفعلن شيئاً، كما قرأت عن ذلك في الصحيفة، لكنّها لم تجده أمراً حكيماً، رغم أنه من الطبيعي أن تعدّ الطعام لهيغا، وهل من الصواب أن يغسلوا ثيابهم في المدينة جماعياً. بشكلٍ عام، هناك الكثير من الأشياء «المشتركة» لدرجة أنه ربما لم يكن من المهمّ كثيراً إذا كان المرء يجلس في منزله.

وكان السؤال الثاني: ألا يتسبّب طريق السيارات بالكثير من الضجيج؟

والثالث: ماذا يفعلون في الشرفة التي يمكن أن تراها تحت النافذة المعلّمة باللون الأخضر؟ هل كانوا واقفين أم جالسين؟ متى يجلسون فيها وكم من الوقت في كلّ مرّة؟

كانت إنغريد حذرةً في طرح أسئلتها، وحاولت أن تبدو مهمّة لا متشكّكة.

والسؤال الأخير: هل تستطيع سوزانا أن ترسل صورة لهيغا؟ ستضعها إنغريد في إطار. فهي لديها الآن إطار تعلّقه على الجدار فوق الكمودينة وفيه صورة كايا وماتياس وهما يقفان على الطاولة في المطبخ، الصورة التي التقطها القسّ صموئيل، عندما كانا في سن الخامسة، والآن هما في الحادية عشرة.

تصل إنغريد إلى هافستين يتملّكها شعورٌ واحد فقط: القلق، ووصلت مبكّرةً جداً، لكنّها ربطت قاربها وصعدت الطريق إلى المدرسة. طرقت باب غرفة الصف المعروف للجميع، وهي غرفة المعيشة في مزرعة هافستين، حيث جلست هي وجميع أطفال جزيرة بارأوي الآخرين. دخلت إنغريد دون انتظار كلمة «ادخل»، وقوبلت بالنظرات المندهشة من المعلّم والتلاميذ. كان أطفال بارأوي الثلاثة يجلسون هناك أيضاً مع ثمانية آخرين.

استرخت إنغريد.

سألها المعلّم ما الذي تريده، لأنه من غير المسموح لها بالدخول. لم تعرف إنغريد المعلّم، لكنّ كايا وماتياس نظرا إليها كلّ بابتسامته المألوفة، فسارت دون اكتراث بالمعلّم إلى مقعد فارغ بالقرب من النافذة وجلست عليه، وقالت إنها تريد أن تجلس قليلاً.

قوبل تصرّفها بضحكات خافتة من الأطفال. استدارت كايا ونظرت إليها عابسة. لوّحت لها إنغريد بمرح. نظرت كايا باستفسار إلى ماتياس،

الذي ابتسم ابتسامة خبيثة، بينما ضحك أوسكار بصوت عالٍ وهو جالسٌ في المقدّمة، بخصلات شعره الطويلة فاتحة اللون.

هذا هو المعلّم الذي اعتقد أنّ رسومات أنا بارأوي غير دقيقة. ومن الواضح أنه تساءل الآن ما إذا كان سيثير الجدل مع إنغريد ويضع نفسه في موقف حرج، أو يتجاهل الأمر. ولأنّ إنغريد بدت له صعبة المراس، قرّر أن يتجاهل وجودها.

لكن من الواضح أنها سبّبت له إحراجاً لم يستطع السيطرة عليه فوراً، فنهض وحاول ثانية. قال لها إنّها ينبغي أن تخرج من الصف، لكنّه تجرّع الهزيمة مرّة أخرى، لأنّ إنغريد لم تستجب لطلبه، وهذه هزيمة سجّلها التلاميذ عليه. ولأنّه لم يستطع أن يتحمّل الأمر، سألها على الأقل من تكون؟

تظاهر بأنه لا يعرفها.

قالت إنغريد إنّها أمّ كايا وماتياس وعمّة أوسكار، وتريد أن تجلس قليلاً، وهي لن تسبّب أيّ إزعاج.

كانت الضحكات التالية طفيفةً للغاية لدرجة أنه استعاد تركيزه ثانية، واستأنف الدرس: في الدستور النرويجي، كما هو واضح، أنّ النرويج الحرة والمستقلة أصبحت أكثر حرّيةً عندما انسحبت من الاتحاد مع الدنمارك أولاً، والسويد ثانياً، ثم اضطرت مرّة أخرى إلى استعادة حرّيتها خلال الحرب الأخيرة، أي للمرّة الثالثة في أقلّ من مئة وخمسين عاماً. أنتم أطفال وربما من الصعب عليكم أن تدركوا أنّ مئة وخمسين عاماً هي فترة قصيرة بالنسبة لبلد. وأنا أحبّ أن أسمّي هذه المرحلة: «عصر الجهل». هل تفهمون؟

ضحكت إنغريد عالياً، ثم رفعت يدها وقالت إنّ مثتي عام قد لا تكون فترة طويلة أيضاً؟

حدّق المعلم بذهول، واستغلّ الفرصة ليضحك، لكنّه لاحظ أنّ كايا قد تضرّجت بسبب أمّها، بينما رسم ماتياس ابتسامة انتصار، كما لو أنّهما ليسا شقيقتين. لقد عرف المعلم أنّهما ليسا شقيقتين، وأنّ ماتياس ابنٌ بالتبني، وكان لديه أوامرٌ بالحفاظ على سرّيّة هذا الأمر، وترتّب على ذلك وجود العديد من القصص حول من أين جاء ماتياس، ومعظمها كان مقبولاً، وعلى حدّ علمه كان هناك الكثير من النميّة هنا، وأنّ كايا وماتياس في نهاية المطاف من أفضل طلاب بارأوي الذين مرّوا على هذه المدرسة، ربما باستثناء إحدى التوءمين اللتين تخرجتا من هافستين قبل بضع سنوات وهزمته مراراً وتكراراً في مسائل الكسور. ماذا كان اسمها؟ آنسة الرياضيات؟

صوفيا، قالت إنغريد.

أجل، طبعاً، نعم لم يكن من السهل التمييز بينهما، وماذا كان اسم الأخرى؟
آنا.

فكّر قليلاً، ثم سأل: وماذا تفعل، صوفيا، الآن؟

الآن هي مع جدّتها في لوفوتن.

آه، فهمت. لكن ماذا تفعل؟

تذهب إلى المدرسة.

نعم، أيّ مدرسة؟

وهكذا، جرى تناسي آنا ورسوماتها، وبقيت صوفيا موجودة.

تذكّرت إنغريد كم كان الأمر صعباً عندما غادرت التوءمان بارأوي، ابنتيهما، اللتين أطاعتهما في كلّ ما طلبته منهما في طفولتهما، لكنّهما بدأتا فجأةً بتخريب كلّ شيء بدءاً من الحظيرة إلى جَمْع البيض، وتنظيف ريش العيدر. ولم تعودا راغبتين في لمس السمك. حتى أمّهما هاتّا لم تستطع ترويضهما، ثم حاولت إنغريد أن تعالج الأمر بشكلٍ شامل، ربما لأنّها أدركت أنّها هي نفسها فشلت في هذا الأمر؛ وعندما لاحظت التوءمان ذلك أيضاً، حاولتا استغلاله.

بعد أن اقتنع فيليكس وهاتّا بأنهما موهوبتان وينبغي أن تتابعا دراستهما، غادرتا الجزيرة في احتفالٍ مهيب، في الرابع من شهر كانون الثاني، على متن سالتهمر، إلى مدرسةٍ جديدة في لوفوتن، حيث تعهّدت جدّتهما، أمّ هاتّا، بعد مراسلات مطوّلة بأن تكون «وصيّةً يقظة». وابتسمت هاتّا بمرارة عندما غادرتا دون أن تعانقهما.

أمّنا قاسيةٌ جداً.

كان رحيلاً مُبهجاً، لكنّه تراجيديّ برأي إنغريد، رغم أنّها فازت بكلّ العناق الذي حُرمت منه هاتّا. كانت إنغريد واثقة أنّ تلك هي المرّة الأخيرة التي تراهما فيها، اللهمّ إلا إذا عادتا بعد عشر سنوات، أو خمس عشرة سنة، في زيارة، مثل الزيارة التي قامت بها سوزانا وبيورنار ذات مرّة، كسائحتين رومانسيّتين، كمعلّمتين أو كمراجعتيّ حساباتٍ عقلائيّتين مع زوجيهما وأطفالهما، للتجول في جزيرة طفولتهما والإشارة إلى كم كانت الأشياء التي تلاشت صغيرةً وبائسة: تخيليّ أنا ترعرعنا هنا.

تركت إنغريد عيناها تطوفان فوق ورق الجدران والصور والستائر التي

صمدت في وجه الزمن، الثريّا، والمدفأة الدائريّة، والمنصّة والنوافذ. حتى الأغطية الجديدة للطاولات، المتدلّية من مفضّلات على الجوانب بحيث يمكن فتحها مثل التوابيت.

عليكم رفع الأغطية معاً في الوقت الذي أعطيكُم فيه الإيعاز، بعد وضع المحابر والأقلام، والورق، وكتاب القراءة والمسطرة داخل الطاولة، ثم إنزالها بهدوء ودون خبطها كلٌّ على مزاجه!

لقد تعلّم المعلّم لهجتهم وصار يتحدّث إليهم بها، لكنّه يلجأ إلى الفصحى عندما يخشى سوء الفهم. فبعض الكلمات المحليّة تحمل معنىً مختلفاً قليلاً عمّا تفيد به الكلمات الفصحى.

حتى غابرييل صمد أمام تحدّيات الزمن.

يدخل إلى الصف الآن، وهو يجرجر قدميه، شخصيّة صامته ومرحّب بها من أعماق التاريخ، لم يأت ليُشعل القنديل في هذا الوقت من السنة، بل من أجل أن يجعل الساعة تدقّ وتشير للموجودين، من انتبه منهم ومن لم ينتبه، إلى أن اليوم قد انتهى.

وما حاجة المرء إلى الساعة إذا كان لديه غابرييل؟!

نهضت إنغريد، انحنت وشكرت المعلّم، وصافحته. سألتها المعلّم ما إن لم يكن في جلوسها هنا شيءٌ من الغرابة؟ بالتأكيد.

قالت إنغريد إنّ هذه الغرابة تحديداً كانت سبب مجيئها. فتمتم المعلّم إنّها أحسنت فعلاً، لأنّه خلال بضع سنوات، سيكون قد فات أوان مثل هذه الزيارة، لأنّه سيجري إغلاق كلّ المدارس الصغيرة على الجزر والاستعاضة عنها بمدرسة كبيرة على الجزيرة الرئيسيّة.

كانت هذه أول مرة تسمع فيها إنغريد عن هذه الخطة المدرسية.

في طريق العودة إلى البيت، جلس أوسكار وماتياس يجذفان، يضحكان ويتقاذبان كلمة «وغد» في ما بينهما، بينما جلست إنغريد وكايا على جلد الخروف في مؤخرة القارب وطرحت عليها كل الأسئلة الصغيرة التي عند جمع إجاباتها معاً ترسم صورة كاملة لكل التغييرات على كل الصُّعد، وبضمن ذلك: الأصدقاء والأحداث اليومية في المدرسة. وكانت تشم شعرها وتزيل بعض السخام الصغير العالق على رقبتها، بينما كايا تتكلم دون أن تتأثر بذلك، وكأن ليس لديها أي سر تخفيه الآن، لكنها اضطرت إلى شرح بعض الكلمات الجديدة، مع حركات غريبة وجديدة بيدها اليسرى، ونظرتها الروسية التي تزداد مع الأيام شبهاً بنظرة والدها، وحتى ذلك الصراخ البهيج، الذي تزايد مع التراشق بالماء بين أوسكار وماتياس، كان عليها شرحه لإنغريد، أمها التي كانت بطيئة الفهم.

بدا ماتياس أكثر أهمية من كايا في مواجهة هذه التغيرات، لكن مع العهد الذي بينهما، كان يقال كل شيء دون الحاجة إلى طرح أي سؤال، بل يكفي أن تنظر إنغريد في عينيه، كالمعتاد، وينظر هو في عينيها. وقالت اليوم إنها ستقص له شعره عندما يصلون إلى المنزل، وفي هيئته الآن، بدا يشبه أوسكار كثيراً.

هبت ريحٌ صغيرة، فرفعوا الشراع، واستقرت الريح في سرعتها حتى انزلق القارب بين الصخور حول بارأوي واستقر بجانب الرصيف، فقفز الأولاد منه وركضوا صعوداً، بينما كانت إنغريد تربط القارب إلى المرسى، ثم تحمل الحقائب الثلاث وتصعد الطريق ببطء وخطواتٍ محسوبة.

كان هناك شيء يتغير من أسبوعٍ إلى آخر، وتترسخ قوّته أيضاً من أسبوعٍ إلى آخر. والشيء الآخر المختلف كلياً هو الصحف القديمة التي ترسلها سفيتلانا مع دانييل في رزمٍ صغيرة، وغالباً مع إشارة صغيرة على هامش المقالات التي تعتقدها مهمة بالنسبة لإنغريد. وهناك في وسط البلاد كانت الحرب ما تزال مستمرة على قدمٍ وساق، وقد قرأت إنغريد في الأعمدة التي علّمتها لها سفيتلانا قصصاً عن الأطفال التعساء الذين يُطلق عليهم الأطفال الألمان، والذين يقعون الآن في البيوت ودور الأيتام. معاناةٌ بدا أنها جزءٌ لا يتجزأ من عملية السلام.

تأثرت إنغريد بعمق.

رسمت سفيتلانا قلباً كبيراً، بالحبر الأزرق، على هامش مقالة. قرأتها إنغريد بعينين جاحظتين، قصّة جنديٍّ ألمانيٍّ سابق عاد إلى النرويج التي تحرّرت، من أجل أن يأخذ ابنته، لينقذ ذريّة حربٍ تعيسة من عائلة نرويجية لا ترغب في معرفة أيّ شيء عنها بعد أن تذهب إلى موطنها ألمانيا.

اختبأ الصحفي وراء أسطر القصّة، لكنّ تعاطفه مع الجندي والبنّت

الصغيرة بدا واضحاً، ومنذ ذلك الحين وإنغريد تتساءل عما تعنيه سفيتلانا من رسم ذلك القلب الأزرق بجانب القصة، وهي الروسية التي تجرّعت الكثير من الآلام، هل تعني به تشجيعاً أو تحذيراً؟

يكون للتحذير تأثيرٌ كبير جداً في عتمة شهر كانون الثاني، هذا الشهر مع أفكاره الشتوية العسيرة على التنبؤ، ظاهرة تعرف إنغريد كيف تنتبه إليها، لكن على الرغم من ذلك تجد نفسها في كلّ شتاء عزلاء في مواجهتها أيضاً، وعلى الأخصّ عندما يكون الأولاد في المدرسة.

تستيقظ من أحلام عن الحيتان الهائلة في الأعماق النقية كالزجاج، وما يترتب عليها من هلاك، كلّ شيء سيخفي، ينسرب من بين أصابعها، وتبقى مستلقية في سريرها وتحّدق في الظلّ دون أن تتعلّم الدرس من ماتياس، فتضيء شمعة وترى العالم كما هو، جدران، سقف، وذلك الظلّ الرمادي للنافذة، والصندوق، وبدلاً من ذلك تستمع إلى محادثة تجري هناك في ألمانيا السلام، حيث الأضواء مُنارة على مدار الساعة، في إحدى الأمسيات عندما يكون الزوجان أولافيا وأوتمار منسجمين جداً، وتشعر أولافيا أنّ الوقت مناسب، فتنهّد وتقول له، تصوّر أنّ لدينا ابناً هناك في النرويج أيضاً، ويدعى ماتياس.

يمكن لإنغريد أيضاً أن تتخيّل أمسية كهذه بوضوح.

ويمكنها أيضاً أن تتخيّل أولافيا في لحظة استياءٍ وغضب تحتاج فيها إلى إلقاء اللوم على أوتمار لسببٍ أو لآخر، فتنفجر في وجهه قائلة: تذكر أنني تخلّيت عن ابني من لحمي ودمي من أجلك أنت!

ابن؟ لم تتحدّثي عنه من قبل، بتاتاً.

من المحتمل أن تندم أولافيا بعدئذٍ على سورة غضبها تلك، وتحاول

التقليل من شأن هذا الابن، وتبذل جهدها لإقناع أوتمار أن ماتياس يريد البقاء مع والده، وهو بخير هناك.

والده؟

أجل، إنه يحبّ يوهانس، حتى إنه لا يعرف أفضل منه.

هكذا إذا! يجب أوتمار، الذي ربما سمع بالتأكيد عن حالة الأطفال الألمان البائسة في النرويج. ومنذ تلك اللحظة فصاعداً سيبقى ابنه في ذهنه، ويحاول أن يتخيل كيف حاله هناك، ومن يشبهه، وقد يتساءل أيضاً عما إذا كان الوالد البيولوجي للطفل لا يتحمل مسؤولية الاهتمام به في هذه الحالة، كما هي الحال مع الجندي في مقالة صحيفة سفيتلانا.

يتجاهل الكثير من الرجال الأطفال الذين تركوهم وراءهم هنا وهناك. لكنّ هذا النوع من العقل المتبدّل لا يتناسب مع الصورة التي كوّنّها إنغريد عن أوتمار إرليخ. رجلٌ نبيل، كما وصفه القسّ صموئيل، ضابط صفّ يحظى بحبّ عائلة أولافيا، رجلٌ خلوق ودمث الخطاب مع عائلة ستورم، على ذمّة القسّ صموئيل.

أوتمار إرليخ رجلٌ مفيد بكلّ المقاييس.

على الأقلّ بالطريقة التي يتصرّف بها في معركة إنغريد ضدّ عتمة الشتاء. إنها تتخيل بوضوح أولافيا وهي تتحدّث عن ماتياس فور لقائها مع أوتمار، ربما بمساعدة القليل من دموع الأمومة، بينما يهزّ أوتمار رأسه بحماس، هل هو سعيد؟ قلق؟ ويتفق الزوجان على أن هذا الابن ينتمي حقاً إليهما وإلى شقيقه، لاحقاً. ويبدأن منذ تلك اللحظة بالتخطيط لجمع شمل العائلة، بمجرد أن تنحسر آثار الحرب.

لكنّ أولافيا تموت قبل أن تبلغ هذه الحرب الأبدية نهايتها المباركة.

هل ستُضعِف مثل هذه المأساة، أو تُقَوِّي حاجة الرجل المفيد المحتملة
لإحضار ابن مجهول إلى المنزل؟
والوطن، أيضاً؟

لم يرَ أوتمار الصبيّ قطّ، حتى إنّه لم يكن يعلم أنّ أولافيا كانت حاملاً
عندما غادر الثكنة على الجزيرة الرئيسية بعد غرق سفينة ريغل في آخر شتاءٍ
من الحرب. حصلت إنغريد على هذه المعلومات من القسّ صموئيل،
لكنّها حمّلتها الكثير من النيات الطيّبة، ولهذا السبب، تصل تأملاتها إلى
طريق مسدود في كلّ مرّة.

لكنّها في عتمة الشتاء هذه، على وجه التحديد، تتساءل لماذا، وينبغي
أن تعترف أنها ببساطة لا تجرؤ على ترك أفكارها تذهب أبعد من ذلك،
لأنّها حتى في خيالها الجامح، لا تستطيع أن تتصوّر وجود طفلها في بلد
آخر، وتجاهله لها تماماً. ومن المُحال أيضاً أن تتخيّل أنّ شخصاً آخر
سيكون قادراً على رعايته، على الأقلّ ليس أوتمار إرليخ.

في واحدة من رحلاتها القليلة مع دانييل إلى القرية، تطلب إنغريد من
سفيتلانا أن تحصل لها على عنوان أوتمار إرليخ في ألمانيا. ليس لأنّها قد
خطّطت لتكتب له رسالةً، بل فقط من أجل إذا فكّرت بفعل ذلك، وإذا
استطاعت أن تكتب في تلك الرسالة ما يجعلها جديرةً بالإرسال.

لكنّها بعد بضعة أيّامٍ فقط تضبط نفسها متلبّسةً وهي جالسةٌ إلى
الصندوق وتكتب رسالةً إلى أوتمار إرليخ في فوكس إردر، فهي تعلم أنه
يجيد اللغة النرويجية.

تبدأ بوصف كامل لماتياس، الفتى الرائع ذي الشعر النحاسيّ الأصفر،

والعينين الخضراوين، والذي فور وصوله إلى جزيرة بارأوي، كَوّن صداقةً وثيقة مع ابنتها كايا. كبرت هذه الصداقة بمرور السنين لتصبح قويةً لدرجة أنه حتى الربّ غير قادر على أن يفرّق بينهما. أصبح كلُّ منهما أقرب إلى الآخر من معظم الإخوة.

ماتياس مستمعٌ جيّد، ومتحدّث طلق اللسان. لديه الكثير من النزوات المضحكة، ويتمتع بروح دعابةٍ لطيفة، يأكل ما يُقدّم له، ويُظهر القليل من العناد، بخلاف ما يتوقّعه المرء من صبيٍّ في عمره، حتى إنّهُ في الواقع أكثر طاعةً من كايا.

يتمتّع ماتياس بتأثير مهذّبٍ على أخته، يشبه تأثير المرساة، قوّة تعيد كايا إلى الأرض عندما تعجز إنغريد وتعلن استسلامها، من أين له هذه القوّة؟

ينام الصغيران في غرفتين منفصلتين، هذا ما تحرص عليه إنغريد، وتقلّل من شأن خرقهما لهذه القاعدة أحياناً عندما ينامان حيث يشاءان، كأن يناما معاً في السرير المزدوج الشاغر دوماً في الصالة الجنوبية، وهذا أمرٌ لا علاقة لأوتمار إرليخ به، لكنّه أمرٌ مؤقّت على أيّ حال، أو يحدث فقط عندما لا تكون إنغريد قادرة على احتمال الجدال معهما، وكلّما تقدّما في العمر، يصبحان أقوى وأصعب مراساً، ويصبح وضع السرير أكثر خطورة، وتعرف إنغريد ذلك جيّداً، لكن ليس من شأن أوتمار إرليخ أن يعرف جميع هذه التفاصيل.

ويقرأ بدلاً من ذلك أنّ ماتياس يجلس بهدوء مع كايا عندما تواجه صعوبةً في واجباتها المدرسية، فيسخر منها، ويشرح لها، وتلك هي الطريقة الوحيدة المجدية معها، وهذا ما تعرفه إنغريد جيّداً من خبرتها المريرة مع ابنتها ونظرتها الروسية، لا بدّ من التحايل عليها لتعليمها،

وتعليمها من خلال اللعب، وهي على وشك أن تنفصل عن أمها. لكن لا شأن لأوتمار إرليخ بهذا أيضاً.

تكتب إنغريد، لنفسها، أيضاً ما تعرفه حتى في عتمة الشتاء. تنبيه ذاتي. تكتب لتعرف ما يمكن وما ينبغي السيطرة عليه مما يجري تحت سقف بيتها من قبل ولدين سرعان ما ينتقلان إلى مرحلة المراهقة، وهي لا تريد أن ترى أو تعرف كل ما بدأ يفعلانه خفية عنها، عندما لا تمتلك القدرة على احتماله ولا منعه، ولا عزاء لها في ذلك. لكنّها تؤكد من جديد أنهما لا ينفصلان، وتأمل أن يكون أوتمار قد حفظ ذلك في ذاكرته الآن.

أخيراً وليس آخراً، لا مستقبل لبارأوي دون ماتياس وكايا. وهنا يُفشى سرٌّ آخر.

ولا ترسل إنغريد الرسالة أيضاً.

لقد كتبت على ورقة جانبية ملاحظة مهمّة، وهي تعرف حتى في ظلام الشتاء الحالّ أنّه من السخف تدبّج الكثير من المديح والثناء على ماتياس، وإن يكن كلّ ما كتبه صحيحاً، «يتعلّم الصبيّ بالسرعة نفسها في المدرسة كما في البحر». لكن إذا كان الهدف هو وضع حدٍّ لأيّ مشاعر أو أحلام قد تخامر الأب، فينبغي أن تكتب بدلاً من ذلك أنّ الصبيّ لا يطاق، مجرد آفة ومصدر إزعاج، ضعيف القدرات العقلية والبدنية عموماً، وهو مريضٌ معظم الوقت. أو على الأقل، أن تجمع هذه الصفات في جرعة محبطة تقتل أيّ رومانسية، حتى في روح أوتمار إرليخ الإنسان.

لكنّ إنغريد لا تقوى على ذلك. فقد كتبت جملةً واحدة مفادها أنّ ماتياس صعب المراس وعنيدٌ أحياناً، وأنها تجد صعوبةً في فهمه، لكنّها لن تكرر ذلك أبداً، وسوف تحرق تلك الملاحظة.

تُحفظُ الرسالة ذاتها في الصندوق، وقد دخل شهر شباط الآن.

لكن، في ظلام الشتاء التالي، يتجدّد كلّ شيء مرّة أخرى. في كآبة جديدة ومزعجة بالقدر نفسه، تفكّر إنغريد في رسالة كانون الثاني من العام الماضي. تخرجها من الصندوق، وتقرأها بعينين واسعتين، متعجّبة ممّا كتبته على الورقة قبل عامٍ واحد فقط. ثم تشعر، وبشكلٍ غريب جداً، أنها تعذب الآن نفسها من جديد؛ مع فارقٍ واحد ومهمّ: لقد مرّ عامٌ آخر، وأصبح الصبيّ أكبر سنّاً. ويقول الآن إنه هو صاحب قراره وليس إنغريد. وتقول كايا الشيء نفسه أيضاً. يمكن لإنغريد أن تضحك من ذلك، أو على الأقل تبذل محاولةً شجاعة في مواجهته. وتشعر براحة غريبة، كما لو أنها بدأت تعتقد أنهم سيتمكّنون من النجاة، وأنّ الأمور ستكون على ما يرام. لكنّها تدرك أيضاً أنها مخاطرةٌ كبيرة بالنسبة لشخصٍ يعرف أن لا شيء يُضعف الناس أكثر من الأمل.

في فصل الربيع، تتجه أنظار كل سَكَّان بارأوي شمالاً. وكل من يتحرَّك عبر الفناء أو على طول الشاطئ أو عبر حقل البطاطس سيُلقي نظرة ترقَّب ولهفة، صوب الشمال، على أمل أن يظهر شيءٌ ما في الأفق، وعلى أمل أن يكبر تدريجياً، ويتكشف عن علمٍ نرويجي في أعلاه ويكون سفينةً سالتهامر العائدة إلى المنزل من جديد بعد شتاءٍ آخر لا يوصف، بطاقمها الكامل سالمًا غانمًا، ومعهم أربعة أزواج من الأحذية الجديدة، فساتين، ألعابٌ لوحية، كعك، شوكلاتة، وسطلان من السجق. في العام الماضي جلب لارس مظلةً لإنغريد.

مظلة زرقاء وعليها زهورٌ وأهلة، وهي معلقة مفتوحة فوق الصندوق الذي تكتب عليه الرسائل.

على مدى السنوات القليلة الماضية، بدأت إنغريد تشتاق إلى الرسائل أيضاً. والغريب في الأمر أنَّ هذا الشوق للرسائل يتحوَّل إلى نغمة تدمر يومية. تفكَّر إنغريد أنه ربما بسبب العمر أو نقطة ضعفٍ أخرى. وهذا يعني أنها قد اكتشفت تدريجياً عالم الرسائل، حرِّية التحدُّث إلى من تريد على الورق، دون أن تضطرَّ إلى النظر في وجهه، والتأثر بالتجهم والابتسامات

والشكّ، فالصدق الموجود في كتابة الرسائل لا يمكن العثور عليه في الحياة اليومية، حتى تصل إلى نوع الكذب الصغير في رسائل لوفوتن، حول الطقس الجيّد والصيد الوفير، واجب مواساة أولئك الجالسين في البيت ولا يعرفون سوى ما يقال لهم، وربما لا يريدون أن يعرفوا، عندما تُقال الحقيقة.

ماذا عن رسائلها لماريان فولهايم، إذاً؟

بالتأكيد، هي هكذا بشكلٍ من الأشكال. تتذكّر إنغريد جيّداً شخصية ماريان القويّة والواضحة، والتي لم يكن من السهل عليها أن تتعامل معها وجهاً لوجه. وكانت إنغريد تجد نفسها مضطّرةً إلى إعادة تشكيل أفكارها وتدويرها، وحتى التردّد في التعبير عنها، عندما جلستا وجهاً لوجه في المزرعة في فولهايم، وفي القارب في بحيرة تونشون، في منزل ريفيّ في السويد، لم يكن من السهل التعامل مع أسرار ماريان وألغازها ودموعها.

وماذا عن رسائل ماريان لها، بمعلوماتها سهلة الهضم عن الحياة اليومية وتطوّرات إنغريد الصغيرة في تروندهايم. إنغريد الصغيرة تتمتع بصحة جيّدة، أو مصابةٌ بنزلة برد. تعلّمت أربع كلماتٍ معقّدة، تجريدات، كما تسمّيها ماريان. أو ترسل تقريراً مفصّلاً عن أمرٍ يزعجها في المدرسة أو في المدينة، وتبلغها تحيّات من والدها، هيرمان، الذي تعتقد أنه قد أصبح متردّداً جداً، لكنّه ما يزال يتذكّر زيارة إنغريد لمزرعته، كما لو كانت بالأمس، كما يزعم، على حدّ قول ماريان.

تحبّ إنغريد قراءة هذه الرسائل، صحيحة كانت أم غير صحيحة، فقد اعتادت على شيء فيها، شيء من الخارج، أجنبيٍّ ومغرٍّ على حدّ سواء. ويجب أن تعترف أنها تتطلّع إلى قراءتها ثانية.

ينطبق هذا أيضاً على كاتبة الرسائل الأكثر مواظبةً، سوزانا، التي تكتب مرةً واحدة على الأقل شهرياً، بخط يد جميل بشكلٍ مدهش، وتحدث عن النوافذ ذات الزجاج المزدوج، وحوض الاستحمام في الربيع، وكيف أقنعت بيورنار بأن يشتري لها جهاز تشميسٍ منزلياً، جهازاً استغرقت إنغريد وقتاً لفهم وظيفته، وأضحكتها كثيراً. وغيّرت سوزانا ورق جدران الشقة، وذهبت في رحلة على متن قاربٍ للنزهة مع صديق بيورنار وزوجته، وهما زوجان ليس لديهما أطفال وانزعجا كثيراً عندما أصيبت هيغا بدوار البحر وتقيأت في القارب.

في رسالتها الأخيرة تعرب سوزانا عن قلقٍ عميق بشأن ابنها فريدريك، الذي لم يرسل لها ولا حتى كلمة من لوفوتن خلال فصل الشتاء، بعد أن أخافها في المواسم السابقة، سواء بصفته صياد سمك أو صياد فقمة، لأنّ سوزانا استنتجت أنها تفضّل علامات الحياة، مهما كانت درامية، على الصمت. وطلبت من إنغريد أن تسدي لها معروفاً وتوبّخ الصبي بشكلٍ مناسب عندما يعود إلى المنزل، لأنه بالتأكيد لم يحدث لهم شيء. أليس كذلك؟

تلقت إنغريد نفسها رسالتين مطمئنتين من لوفوتن، وعلى وجه التحديد فريدريك، أكثر الرجال قدرةً على الكتابة وأقلّهم كلاماً، ويمكنها أن تؤكّد لسوزانا أنّ كلّ شيء على ما يرام مع ابنها وبقية أفراد الطاقم، وأنهم سيبحرون من فريدفانغ، وسوف توبّخه عندما يصل.

لاحظت إنغريد أيضاً تطوّراً تدريجياً في رسائل سوزانا. يزداد اهتمامها بشكلٍ مطّرد بالجزيرة، إذا لم تكن مخطئة تماماً؛ لأنّ سوزانا تطرح أسئلة حول ما إذا كانت طيور العيدر قد بدأت تعشش على الشاطئ، وكيف حال

موسم البطاطس، وماذا عن الحملان، وكم عجباً لديهم؟ ثلاثة أو أربعة؟ حتى إنها تسأل عن حالة كل فرد من سكّان الجزيرة بالأسماء، وتطلب من إنغريد تبليغ تحيّاتها للجميع كي لا ينسوها، وهذا ما لا تحتمله.

في رسالتها الجوابية، تخصّص إنغريد في الغالب جملةً واحدة لكل فردٍ من سكّان بارأوي: لقد مرضت هانّا هذا الشتاء، وأصيبت بالتهاب رئوي إثر سقوطها في البحر. وقد جاء الطبيب إلى الجزيرة مرّةً واحدة، لكنّها استعادت عافيتها الآن. ماتيّاس وكايا يكبران والشكر لمجّلات دونالد. وإذا رأيت أوسكار لن تميّزه، لقد أصبح وديعاً كالحمل، سيكون عاملاً مجتهداً وربما صياداً، لم يكن من السهل ضبطه خلال العام الدراسي الماضي. لقد تدهور بصّرُ باربرو كثيراً، لكنّها الآن تتطلّع إلى الصيف والضوء.

عن سلمى، كتبت إنغريد إنها كانت معها في البحر عدّة مرّاتٍ من أجل سحب الشباك، لكن والحق يقال، كانت سوزانا تتمتع بقدرٍ أكبر من السيطرة: وأنّ إنغريد لا تعرف كيف تتعامل مع سلمى. وخمسة عجول.

هل تعيش سوزانا في العاصمة، وتحنُّ إلى بارأوي؟

بعد القليل من التفكير تختار إنغريد أن ترى الأمر بواقعية أكبر: سوزانا تشعر بالملل، وهذه هي حالها دوماً، بصرف النظر عن المكان الذي تعيش فيه.

في الختام تشكرها على صورة هيغا. هيغا الجميلة جداً والتي تشبه أمّها إلى حدٍّ كبير عندما كانت طفلة، والصورة معلقة الآن على الحائط فوق الصندوق، لكنّها ستضعها في إطار جديد حالما يعود الرجال إلى المنزل، بالمال.

ولكن السفينة التي ترسو عند رصيف بارأوي لم تكن سالتهامر، بل سفينة شرعية حديثة، بأشرعة ضخمة طباشيرية اللون ومخروطية الشكل، وهي مطلية بطبقة من لون الماهو غني من الخلف وفي قمرة القيادة وجميع مقابضها من النحاس، وهي سفينة لم تر مثيلاً لها من قبل في هذه الأنحاء. كان على متن السفينة القسّ صموئيل وزوجته آنا كارينا واثنان من أفراد الطاقم يرتديان زيّاً أبيض وقبعة الرّبّان، وأبديا انزعاجهما من مدى ضحالة الماء هنا لدرجة أنّ العارضة السفلية لامست قاع البحر، وقد اضطرّا إلى إنزال الضيوف إلى الشاطئ من مؤخرة القارب. ووضع الحبل حول المربط وتركها تتأرجح في الماء وهما ينتظران.

كما هو معلوم لا يأتي القسّ صموئيل خالي الوفاض أبداً، دون مأمورية، فهو إمّا في قدّاس وإمّا في عملٍ مهمّ جداً، وغالباً ما يجمع بين الاثنين، واليوم ليس استثناءً.

لا تعرف إنغريد آنا كارينا، لكنّها تصافحها وترحب بها. تبتسم آنا كارينا بخجل، لكن عندما ترى باربرو واقفة في الأعلى أمام المنزل وتدقّ النظر في محاولة لمعرفة من القادم، تصعد إليها ثم تركض الخطوات القليلة الأخيرة وتحتضنها.

تساءل إنغريد في نفسها عن سبب الزيارة، وتبقى واقفة مكانها صامتة، فيضطرّ القسّ صموئيل للوقوف أيضاً، بجانبها، لبدأ مهمّة اليوم.

لكن اليوم على وجه الخصوص لا يقول القسّ صموئيل شيئاً. يبقى واقفاً يتلفّث حوله، بثقة في حضور إنغريد، كمالكٍ روحيّ للجزيرة، في زيارة لمملكته الخاصة، ويبتسم راضياً عن الإدارة.

تضحك إنغريد وتنطلق صاعدة الطريق، لكنّها تسمع نحنحةً.

يريد صموئيل أن يتحدث إليها على انفراد.

ربما سمعتِ أنّ هنريكسن ضابط الشرطة العجوز قد مات؟

نعم، لقد قرأت إنغريد الخبر في الصحيفة، التي عادت مع سفينة الحليب، التي غيروا تسميتها إلى سفينة النقل المُجدولة، رغم أنها لا تأتي في المواعيد المحددة.

يقول صموئيل إنّ هنريكسن سيُدفن في مقبرة القرية.

حسناً؟

المكان الوحيد الشاغر في المقبرة هو بالقرب من مرقد سّكان بارأوي. وبالقرب من قبر نيلفي. وقد فكّر صموئيل أنّ إنغريد قد لا تريده في كلا المكانين.

تبسم إنغريد.

يبدو صموئيل مرتبكاً ويغمغم، نعم، لم يفتّه معرفة الكثير ممّا حدث هنا خلال الحرب، فهذا عمله، ومسار التاريخ، وذاكرته.

تستمرّ إنغريد في النظر إليه.

لقد فكّرت في ذلك، يقول صموئيل ويخبرها أنه قد اتخذ التدابير من تلقاء نفسه ليضمن دفن الرجل في الزاوية الأخرى من المقبرة.

تساءل إنغريد ما الذي يريد قوله!

يبدو صموئيل راضياً جداً، على ما يبدو، ويقترح أن يدخل إلى المنزل، ويسألها كيف حال الأولاد؟

الأولاد في المدرسة.

يدخلان المنزل. تنال باربرو قبلاتها على الخدين، وتتنبه إنغريد إلى

أنا كارينا تنهض واقفة من أجلها، وتبقى واقفة بجانب الكرسي ويدها مُسبلتان عن جانبي تنورة ذات ثنيات من قماش الترتان تصل إلى منتصف ربلي الساقين، ومن تحتها جوارب طويلة صفراء، وحذاء بني بأربطة، وبشرتها وشعرها أكثر نضارة، وعيناها أكثر تألقاً بعد الزواج ممّا كانتا عليه وهي عازبة.

تتظاهر إنغريد أنها لا تعرف أنّ من واجبها أن تدعو من وقف احتراماً لوجودها إلى الجلوس من جديد. لماذا تصرّفت بهذه الطريقة؟ هل لديها أي شيء ضدّ أنا كارينا، صديقة باربرو في جوقة الكنيسة، وزوجة القس؟ لكن عندما تلاحظ أنّ أنا كارينا حامل، تبتسم وتدعوها للجلوس ثانية، هناك بجوار النافذة، التي من يجلس بجانبها يتمتع بإطلالتها على الرصيف الجديد وسقيفة القارب السويدية والبحر من جهتي الغرب والشمال. وإذا ألصق الإنسان جبينه بالزجاج، يمكن أن يرى أوترهولمن وساندهولمن، والطريق الصاعد إلى المتجر.

كانت إنغريد وباربرو تخبران استعداداً لوصول شعب لوفوتن، تعدّ إنغريد القهوة، وتقطع المعجنات، بينما تهتم أنا كارينا والقس صموئيل بنظر باربرو، ويعتقدان أنها ينبغي أن تراجع الطبيب للحصول على نظّارات. ويقترح عليها صموئيل أن تتوقّف عن العمل في الظلام أثناء الشتاء. لكن لدينا مصابيح، تقول باربرو ضاحكة.

يوضح صموئيل أنّ مصابيح زيت كبد سمك القد تساهم في إصابة الناس بالعمى، والضوء الضعيف أيضاً.

تضحك باربرو من كلامه، وتنظر صوب أنا كارينا، التي تومئ برأسها معلنة موافقتها الصريحة على ما قاله زوجها، لذلك تحوّل باربرو نظرتها

الحيرى إلى إنغريد، التي تصبّ القهوة وتقول إنّ باربرو ستحصل على نظّارات، بمجرد عودة الرجال إلى المنزل.

عبارة تدور حول المال بطريقةٍ ما، لذلك يتذكّر صموئيل المهمة التالية، مزرعة يوهانس هارتفيسن، فهي لا تساوي الكثير من المال بعد أن تحوّلت إلى أرض بور بعد عشر سنوات، لكن اختلف الأمر الآن، نظراً لموقعها الحالي، فقد قرّر المجلس البلدي بناء مدرسة جديدة كبيرة على تلك العقارات تحديداً، التي تعود ملكيتها إلى هارتفيسن، وغوت، وغودرون، وقد أعلن الأخيران بالفعل عن استعدادهما للبيع. فهل ما تزال إنغريد تحتفظ بصكّ ملكية العقار الذي حصلت عليه مع أوراق التبنّي؟

تهزّ إنغريد رأسها، وتذكّر شعورها لحظة استلام تلك الأوراق.

تقول: انتظر، ينبغي أن يكتبوا رسالةً، أليس كذلك؟

رسالة؟

المجلس البلدي؟

حسنٌ، بالطبع، ماذا تقصد إنغريد؟

تدرك إنغريد أنها بحاجة إلى نصيحة شخص آخر غير صموئيل بشأن هذه القضية، لكنّها لا تقول ذلك. ويتأملها القسّ لوقتٍ طويل، ويبدو محبطاً أيضاً، لكنّ إنغريد لا تنزعج من ذلك، ويتظاهر صموئيل أيضاً أنه يتفهمها. لذلك يغيّر الموضوع، ويترك موضوعاً آخر يُفرح آنا كارينا، فيبدأ بالثناء على ريش العيدر الذي يجمعونه في بارأوي.

تقول إنغريد إنّ الموسم كان قليلاً هذا السنة، لأنّ طيور العيدر بقيت بجوار الشاطئ، حتى الآن.

لكنّ، لديها كيسٌ فيه كيلوغرام من ريش العيدر، من العام الماضي،

نظفته كايا، وهي من سيقبض ثمنه، وستودعه في حسابها البنكي الخاص أيضاً. وفي اللحظة التالية تذهب إنغريد في مهمة خاصة بها.

تأخذ صموئيل معها وتصعد إلى المخزن، تحضر الكيس، وتفكّ ربطته ليتمكن القسّ من دسّ يده داخل الريش العجيب ويغمض عينيه. وهو يريد استخدام الريش في صنع لحاف لآنا التي ستضع مولودها في الخريف.

تهزّ إنغريد رأسها وتسال ما إذا كانت عائلة ستورم قد تلقت رسالة من ألمانيا، وهذا سؤال ودّت أن تطرحه عليه في الشتاء الماضي، بل من قبل ثلاث سنوات.

ينظر إليها القسّ مطوّلاً. فتعيد ربط الكيس وهي تسمعه يتمتم بأنه كان سؤالاً غريباً، هل تقصد من والد الصبيّ؟

نعم.

نعم، تتلقّى آنا كارينا رسائل، لكن ليست منتظمة. يخبرها إرليخ عن أحوال الصغيرتين، مدرستهما، حياتهما، تعلمين أنّ آنا كارينا خالة الطفلتين. ما الذي تفكّر فيه إنغريد؟

تتجمّد إنغريد. فأنا كارينا خالة ماتياس أيضاً.

يتنهد القسّ محبطاً، ويقول لها إنّها أمّ بالتبني الشرعيّ، ولا يمكن لأحد أن ينازعها في ذلك.

لكنّ إنغريد غير مهتمة بالقانونيّ بقدر ما هي مهتمة بالإنساني، فتسأله ما إذا كان قد قرأ هذه الرسائل؟

كلّا.

هل أخبرت آنا كارينا الأبّ عن ماتياس؟

لم أفكر في هذا بتاتاً.

ماذا؟

يدرك صموئيل أنه هو من حُشر في الزاوية الآن، يفكر في ذلك ويرمي كيس العيدر مرّتين في الهواء. وهما يسيران نازلين جسر المخزن، ويتوقفان.

هل تريدان أن أسألها؟ قد يكون السؤال طبيعياً.

تفكر إنغريد أن ليس هناك مخرج الآن، فتقول: هذا ليس مهماً. لكن هل يعرف صموئيل شيئاً عن حال الطفلين في ألمانيا؟
أعتقد أنهما على ما يرام. وأوتمار يجيد التدبير ولديه دخلٌ جيّد.
تتساءل إنغريد ما إن كان قد تزوّج مرّة أخرى.
ليس على حدّ علمي.

يتساءل القسّ ما إذا كان قد حُشر في الزاوية من جديد، لكنّ إنغريد تخفض بصرها كأنها تعلن نهاية الموضوع. ويدخلان إلى البيت، حيث تدسّ أنا كارينا يديها في كيس ريش العيدر وتغمض عينيها. تنهض، تبسم ممتنة، وتقول إنها كانت تأمل برؤية الصغار.

تتفاجأ إنغريد بنفسها وهي تقترح على القسّ وزوجته أن بوسعهما الإبحار إلى هافستاین بالسفينة الكبيرة وأن يجلبا الأولاد إلى البيت، لأنّ اليوم هو يوم السبت.

إنها فكرة جيّدة، تقول أنا كارينا دون تفكير.

بالتأكيد، لمَ لا؟ يقول صموئيل.

تعيش إنغريد أطول خمس ساعات في هذا الربيع. لكن في النهاية تأتي السفينة الشراعية، وعلى متنها الصغار الثلاثة. ينزل أوسكار أولاً، ثم تلحق به كايا، لم يتغيّر أكثر ممّا يمكن توقّعه. لكنّ ماتياس يبقى واقفاً على متن السفينة ويتحدّث مع آنا كارينا حول أمرٍ كانت إنغريد تودّ سماعه.

تطول المحادثة. إذ يجد كلّ من آنا كارينا وماتياس شيئاً جديداً يقولانه كلّما توقّف أحدهما عن الكلام، ويبقيان واقفين هناك.

تقف إنغريد على الرصيف، تمسك بيد ابنتها كايا، التي تسأل ماذا يجري. لكنّ إنغريد ليس لديها جواب.

عندما ينزل ماتياس أخيراً من السفينة، ويرفع البحّارة ذوو الملابس البيضاء الشراع، لا تتمكّن من سؤاله عمّا كان الحديث بينهما، وتستمع بدلاً من ذلك بصبر إلى محاضرة ماتياس عن طبيعة السفينة المثيرة للإعجاب، وكم هي عميقة، وعدد عقد الأشرعة الكاملة، والمحرك، ومساحة الشراع الكبيرة، وأنّ هذه الأعجوبة هي ملكٌ لأخي القسّ، الذي أبحر بها من بيرغن ليُمضي عطلته عند أخيه.

حسنٌ، تقول إنغريد.

عادت سالتها مر إلى البيت مرةً أخرة بمزيج من المال والضروريات، وكذلك بشيءٍ أو اثنين سخينين، مثل المظلة التي تتدلى من سقف غرفة إنغريد. وهذا تقليدٌ لمفاجأة المقيمين في المنزل بشيءٍ سخيف من العالم الخارجي.

هذه السنة، جلبوا دراجةً هوائية.

دراجة زرقاء، تناوب عليها الصغار بالدور في محاولة لركوبها على المسارات في الجزيرة. دراجة هوائية على جزيرة. كان يمكن أن يجلبوا قبةً قابلة للطي أو حوض سمك أيضاً. كان ماتياس أول من أتقن ركوب الدراجة، ومن بعده كايا، وأخيراً أوسكار، الذي لم يستطع أن يسيطر على توازن الدراجة، لكنه عوض ذلك بتحقيق أعلى سرعة وسقوطٍ مثير. وعندما حلَّ المساء أسندوا الدراجة على جدار المنزل. في صباح اليوم التالي جفّفوا عنها الندى، ومسحوا أيضاً الجرس ورفرف الطين وراء العجلة الأمامية. أزالوا الحجارة والعشب على طول مسار مستقيم قدر الإمكان عبر الحدائق والبوابات، استطاع مارتين ركوب الدراجة وتسجيل أفضل رقم لقطع المسافة بين مخزن البطاطس وجذع الشجرة الضخم في

جنوب الجزيرة، حيث رُسم خطٌ كبير في الرمال الصدفية. ثم كسرت كايا الرقم القياسي لمارتين، وبعدها ماتياس أيضاً، وجرى قياس الوقت على عقرب الثواني في ساعة الجيب القديمة لوالد إنغريد. بعد ذلك تنافسوا في طريق العودة إلى المنزل، وكانت هذه المنافسة أصعب لأن الطريق صعوداً، وفاز هانس بفارقٍ كبير. ثم تنافسوا ذهاباً وإياباً، وربح هانس المنافسة أيضاً. بعدئذٍ أسندوا الدراجة على الجدار، وحن وقت زراعة البطاطس. كان لارس راضياً عن تقديره لأهمية الدراجة.

سألته إنغريد لماذا لم يهتم بجعل فريدريك يكتب رسالةً لأمه في الشتاء.

مكتبة

t.me/soramnqraa

لقد كتب لها.

كلّا، لم يكتب لها.

هل أنتِ واثقة؟

بالتأكيد، لأنّ سوزانا لم تتلقَ منه ولا حتى كلمة.

مرّ فريدريك وهو يدفع أمامه عربةً مليئةً بدرنات البطاطس، فجرى إيقافه واستجوابه.

قال «لا»، وأراد أن يتابع طريقه. لكنّ لارس أوقفه، وقال إنه قد أعطاه إجابةً مختلفةً، هناك في لوفوتن.

«لا»، قال فريدريك ثانيةً لكن بطريقة غير مُرضية. فذكره لارس بأنه قد طلب منه عدّة مرّات أن يكتب لوالدته، وكان يدّعي في كلّ مرّة أنه قد فعل. لم يجد فريدريك مخرجاً أفضل من أن يقول إنه لم يجد الوقت ليكتب لها. عندئذٍ سأله لارس ما إن كان سيستمرّ في عدم الكتابة لوالدته، كما طلب منه.

تضرّج فريدريك خجلاً، وقال: «لا».

«حسنٌ»، قال لارس.

تابع فريدريك طريقه دافعاً العربة أمامه إلى حقل البطاطس. شعرت إنغريد أنها قد أنجزت مهمّةً، وأنه قد حان الوقت لتخبر لارس عن وضع أمّه، عن بصرها الذي تدهور كثيراً، وضرورة اصطحابها إلى الطبيب.

قال لارس: جميعنا يضعف بصرنا مع التقدّم في العمر. أليس كذلك؟ لكنّ حالة أمك مختلفة.

ما هي؟

لم تعرف إنغريد اسم المرض.

فقال لارس إنه سيفكّر في الأمر، والأمر يتوقّف على الطقس، وهو بحاجة إلى شراء بعض معدّات الصيد البحري، أيضاً.

وقفت إنغريد وباربرو مع لارس في غرفة القيادة أثناء الرحلة نحو المتجر. كان اتجاه الريح والمطر جنوبياً غربياً. استفسر لارس من والدته عمّا يمكن أن تراه من العلامات والأقواس والشعاب المرجانية في البحر. أجابته باربرو وأشارت إلى بعضها، بينما تساءلت إنغريد متى قد يكون من المناسب أن تخبره عن قرار المدرسة، الذي تذكّرت به بشكل عفوي أثناء مرورهما برصيف يوهانس هارتفيسن القديم. وكانت الرياح العاتية قد مزّقت أجزاءً من سقف المنزل الموجود أعلى التلّ، وبدأ أنه قد بدأ بالركوع نحو الشمال.

اقتрحت إنغريد أن يتوقّفا هناك قليلاً.

فسألها لارس عن الغاية من ذلك.

فقالت إنها تريد أن تُريه شيئاً، وتريد نصيحته.

بقيت باربرو على متن السفينة، بينما صعدت إنغريد ولارس التلّ، حيث سحب لارس ذات يوم سنداناً، وبدأ الآن كما لو أنه يشعر بالضيق في مسرح الجريمة. كان الباب الخارجي مفتوحاً جزئياً. وعندما دفعته إنغريد لفتحه، أطلق صريراً مزعجاً، وخرجت نعجةٌ وخروفان من الحظيرة التي تغطّي أرضيّتها العفنة طبقةً سميقة من الروث. وعلى الرغم من أنّ الأغنام لم تستطع فتح باب المطبخ، فقد تسرّبت المياه إلى الداخل وتركت على الأبواب والجدران الداخلية أثراً يشبه مزاريب سوداء، وتجمّعت على الأرضية على شكل بركة مياه بنية محمّرة مع وميض قوس قزح بين أرجل الكراسي داكنة اللون. وفي غرفة الجلوس رأت على الأرضية بساطين متعقّنين متقاطعين. شعرت إنغريد أنها قد وصلت متأخرة، كان ينبغي أن تأتي قبل وقتٍ طويل. وسألت لارس ما إذا كان قد صعد إلى الطابق العلوي. قال «لا»، وسألها ثانية ماذا يفعلان هنا. أوضحت إنغريد أنّ البلدية أرادت شراء المزرعة منها، وقد اشترت بالفعل العقارين المجاورين من غوت، ومن غودرون، وتريد نقل منزليهما إلى موقعين جديدين في ستورميرا.

سألها لارس ما الذي تريده بالضبط.

قالت إنها ليست واثقة ما إذا كانت ستبيع حصّتها.

ماذا؟

طبعاً لا حقّ لها في ذلك، لأنّ كلّ شيء هنا هو ملك لماتياس. فحدجها لارس بنظرة شكّ.

صعدت إنغريد الدرج إلى ممر الطابق العلوي بأبوابه الثلاثة، اثنان منها قد أتلفتهما الرطوبة. وكانت النافذة في غرفة الأطفال مكسورة، والسرير يئن تحت ثقل الماء والأوراق، وقد اسودّت المرتبة من العفن، وعلى الأرضية بعض الألعاب فوق كومة رمادية تبين أنها ملابس أطفال، وعلى الحائط فوق السرير صورة شخصية غير واضحة المعالم.

أمسكت إنغريد باللعبة الأكثر جفافاً، حصان خشبي أصفر، ثم خرجت مسرعة، وشعرت من جديد أنها وصلت متأخرة. أدارت قبضة الباب السليم ودخلت غرفة فيها سرير مزدوج يشبه البوابة الملوثة بالطين، والسقف في الزاوية متصدع ومتدلّ إلى الأسفل، وخزانة ملابس بأربعة أبواب. فتحتها إنغريد، فوجدت فيها ملابس متعفّنة، وملابس متسخة، وأحذية، وعلى الرفّ العلويّ من الدرفة الوسطى صندوق فيه إيصالات قديمة، وفواتير منتجات ألبان، وفواتير من أيام كان يوهانس هارتفيسن صياداً، بجوار صندوق أحذية منتفخ الغطاء، تبين أنه يحتوي رسائل تالفة بسبب الرطوبة. تنهّدت إنغريد، ونزلت إلى الطابق السفلي، مصطحبة صندوق الأحذية والحصان الخشبي.

فضّل لارس أن يقف في الخارج تحت المطر محدّقاً إلى بيت غوت، الذي كان قيد الهدم، وأعمال الطرق الرئيسية بين العقارين، لكنّه لم يستطع رؤية بيت وعقار غودرون بيدرسن الذي تحجبه الغابة. عندما عادت إنغريد، سألهما ما إن وجدت شيئاً مهماً. أرته إنغريد للعبة، ونزلا إلى سالتهامر.

رست سالتهامر عند رصيف المتجر. رافق لارس والدته إلى طبيب العيون. قالت إنغريد إنّ لديها مهامّ لتنجزها، وذهبت إلى سفيتلانا في

مكتب البريد. لكنّ سفيتلانا كانت مشغولة ببعض البرقيات، فذهبت إلى العمدة السابق، مدير البنك والمكتبة بيرغر سوند، الذي كان على وشك أن يسكب بعض البراندي من زجاجة لم يتمكّن من إخفائها في الخزانة تحت الدرج الأيسر، وفكرت إنغريد أنها يمكن أن تستفيد من هذا الموقف.

جلست إنغريد وقالت إنها تريد توضيحاً حول مسألة المدرسة، هذه الحالة الغريبة التي قرّرت الحكومة فيها بناء مدرسة جديدة على العقار الذي يمتلكه ماتياس دون أن تُعلمهم بالأمر بشكلٍ رسمي. العمدة السابق سوند ما يزال عضواً في المجلس البلدي ويمكنه تقديم تفسير بالتأكيد. فقال: سوف يأتي.

استغربت إنغريد من جديد أنها لم تستلم تبليغاً رسمياً بعد، وأضافت إنها قد قرأت في سند الملكية أنّ عقار يوهانس هارتفيسن يحمل الرقم 11، ورقم الانتفاع 1، وأنّ والد يوهانس قد ورّع العقار بين غوت وزوج غودرون المتوفّي منذ خمسين عاماً تقريباً، اللذين يحملان الآن رقمي الانتفاع 2 و3، وكانا مجرد ملكيتين صغيرتين في عقار هارتفيسن، وعقار هارتفيسن شاسع جداً.

تفحص بيرغر سوند كأس البراندي، واضطرّ إلى التفكير ربما ليس للعثور على الحقيقة، كما شعرت إنغريد، ولكن بحثاً عن بعض الكلمات المناسبة؛ وما قاله أخيراً جعلها تسأل عمّا إذا كانوا قد نسوا أنّ يوهانس هارتفيسن لديه ابن.

لا، لا، بالتأكيد لم ينسوا.

لم يتوقّف لسانه عن الكلام. فقالت إنغريد إنها فهمت كلّ شيء، لكنها بحاجة إلى وقت للتفكير، وسألت عن المبلغ الذي دفعته البلدية مقابل

عقارات «غوت» و«غودرون». اضطرّ بيرغر سوند إلى التفكير مرّة أخرى، وذهب إلى خزانة الملفات وفتّش في مجلّدين مختلفين، ثم عاد وتنحّج، وقال: «هل تسمحين لي؟»، وكرّج جرعةً من البراندي دون انتظار الردّ.

وأرادت إنغريد أن تعرف أيضاً كم كلف هدم المنزلين، وكم كلف أيضاً بناء منزلين جديدين على عقار آخر في ستورميرا.

حصلت على هذه المعلومات أيضاً، ودون أن يضطرّ سوند إلى النهوض من مكانه. وختم كلامه بعبارة: الكلفة التقريبية.

فسألت إنغريد ما الذي يقصده بذلك.

لا، لا، هذا الرقم النهائي، بالضبط.

نظرت إليه إنغريد، فبدأ يتحدّث مرّة أخرى عن حاجة البلدة الملحة إلى مدرسة كبيرة، بحيث ينتقل الناس من الجزر الصغيرة ويتجمّعون هنا في الجزيرة الرئيسية، وتحدّث عن نموّ معدّلات المواليد، وعن الكهرباء. «نعم»، قالت إنغريد بعد تفكير عميق، وأنها ستصبر حتى تصبح الأمور أكثر تنظيماً، ويكتبوا لها في نهاية المطاف، ثم نهضت وغادرت يتملّكها شعورٌ أقوى من أيّ وقتٍ مضى بأنها غير مرئية، وغير متأكّدة تماماً ما إذا كانت قد حقّقت أيّ شيءٍ على الإطلاق.

لقد انتهت سفيتلانا من البرقيات، وبوسعها أن تستلم رسائل إنغريد. رسالة واحدة إلى سوزانا، من ابنها فريدريك، رسالة مكتوبة بقلم ثابت إلى حدّ ما. خلال استراحة العمل في حقل البطاطس، تحدّثت إنغريد إلى فريدريك على انفراد وطلبت منه تفسيراً لعدم كتابته لأمه هذا الشتاء. أرادت منه التفسير الحقيقي.

وكان الجواب الذي حصلت عليه بعد الكثير من الجهد هو أن فريدريك يقضي كل وقت فراغه الشحيح في مغازلة فتاة في فريدفانغ، اسمها رانهيلد.

قالت إنغريد إن هذا بالضبط ما يجب أن يقوله لوالدته. وإن سوزانا ستفهم ذلك وتفرح به. وهكذا كتب فريدريك لوالدته إنه يتأسف على كل الرسائل التي لم يكتبها لها، لكن ذلك بسبب العمل الكثير، وبسبب رانهيلد، أيضاً.

رانهيلد في الثامنة عشرة من عمرها، وهي ابنة أحد مشتري الأسماك في فريدفانغ. فتاة جميلة جداً ذات عيون بيّنة وشعر طويل داكن. كان فريدريك قد كتب في الأصل كلمة «جليلة» بدلاً من «جميلة»، لكن إنغريد صحّحت له الخطأ. كان ذلك هو الشتاء الثالث الذي يقضيه معاً. في البداية كانت رانهيلد تقطع السنة الأسماك، لكنها أصبحت الآن مسؤولة عن وزن الأسماك وإصدار فواتير التخمين إلى جانب إجراء جزء من الحسابات لوالدها. رانهيلد وحيدة والديها، وسترث مصنع السمك، وهي قادرة على إدارته. وقالت له إنغريد إن سوزانا ستفرح كثيراً لسماع كل هذا.

ختمت سفيتلانا الرسالة ووضعتها في الكيس بالقرب من الكرسي الذي تجلس عليه، ودفعت عبر الطاولة إلى إنغريد برزمة صغيرة.

طرد بريدي من ماريان فولهايم.

سألته إنغريد ما إذا وصلت رسائل من ألمانيا، مؤخراً. كلا.

والسؤال الأهم أيضاً: هل أرسلت أي رسائل إلى ألمانيا مؤخراً، أيضاً.

نعم، زوجة القسّ أنا كارينا أرسلت رسالةً في الربيع.

متى؟

في نهاية شهر أيار...

لاحظت إنغريد أنّ الإرسال جرى بعد رحلة الإبحار مع الصغار من هافستين إلى المنزل. لكن على حدّ علم سفيتلانا، لم يكن هناك أيّ اتصالٍ هاتفيّ أو برقيّ.

تساءلت إنغريد كيف ينبغي أن تفهم حقيقة أنّ سفيتلانا ليست مهمّمة بمعرفة الدافع وراء جميع الأسئلة التي تطرحها عليها.

عادت إلى المتجر، تسوّقت ووضعت المشتريات في صندوق من الورق المقوّى، ثم خرجت وجلست على المقعد الذي نحتّه ماركوس أمام المتجر، تحت طنف السقف ليكون الجالس عليه في مأمنٍ من المطر، وفتحت رزمة ماريان.

كان فيها كتابان للصغار، يبدو أنّهما مهمّان، لكنّها لم تهتمّ بهما كثيراً. ورسالة. لم تستطع إنغريد بعد أن تفهم تماماً سبب اهتمام ماريان المستمرّ بها وبيارأوي، كما لو أنّها رغم حياتها المستقرّة على ذلك التلّ المشجّر بأشجار التفاح، وزوج وابنة ومهنة تدريس «مثيرة للاهتمام»، لم تستطع أن تنزع من رأسها سوسة التفكير في ألكسندر، الذي ما تزال إنغريد تكافح معها فيه أيضاً.

مصير مشترك بين امرأتين لو كانتا في ظروفٍ طبيعيّة لما كتبت إحداهما للأخرى حتى كلمة واحدة، لكنّهما تتبادلان منذ سنوات رسائل من صفحتين أو أربع صفحات.

في الحقيقة لم يُذكر اسم ألكسندر بتاتاً في الرسائل، لكن على أيّ حال

كان موجوداً دائماً بين الأسطر. فعندما كتبت ماريان عن إنغريد الصغيرة التي تلعب في الحديقة في مدينة تروندهايم، بدا لإنغريد كسؤالٍ حول ما إذا كانت قد سمعت أيّ أخبار من روسيا.

تساءلت إنغريد ما إذا كانت تتوهم.

لقد حفظت ماريان أسماء كلّ سكّان بارأوي منذ زيارتها الأولى إلى الجزيرة، ومنذئذٍ وهي تسأل عنهم جميعاً بالاسم، وبلطفٍ واهتمام. ولا تجد إنغريد أيّ غضاضة في الإجابة بالطريقة نفسها، وكأنها هي لم تفكّر بتاتاً في ألكسندر عندما كتبت أنّ ماتياس وكايا أصبحا مُتعيّنين أكثر وأكثر، لكنّها فكّرت فيه.

في غَمْرَة موسم الحصاد جاءتهم سفينة النقل بالخطاب الذي طالبت به إنغريد من البلدية. وصل الخطاب في ظرفٍ أسمر اللون ومن دون طابع بريد. كان الخطاب يشرح مسار قضية المدرسة بعبارات معقدة جداً لدرجة أن إنغريد اضطرت أن تستعين بلارس أولاً، ثم بفيليكس لمساعدتها على فهم الخطاب. شعر لارس بالإحباط لأنه لم يستطع أن يفهم ما فهمه فيليكس، لكنه وجد سبباً للغضب أيضاً عندما استطاع فيليكس أن يوضح أخيراً أن السعر الذي حدّده البلدية كأساس لمعاملة العقار رقم 11، والمنفعة رقم 1، كان عبارةً عن جزء جرى حسابه بناءً على المبلغ الذي دفعته البلدية بالفعل ثمن عقاري غوت وغودرون. لكن البلدية جادلت في أن عقار هارتفيسن، بمساحته الشاسعة، كبيرٌ جداً بحيث لا يمكن تطبيق السعر المرتفع نفسه لكل متر مربع.

إضافةً إلى ذلك، حُسمت نفقات نقل المنزلين من سعر الشراء، وقد فهمت إنغريد الرسم المرفق.

نحن لن ننقل أي بيت. وسيُهدم بيت يوهانس. ولا نريد الحصول على قطعة أرض جديدة.

وافقها لارس.

ضحك فيليكس وقال: نعم إنهم يحاولون أن يخدعونا أكثر من مرة.
أنا لن أبيع، قالت إنغريد.

فقال فيليكس: في هذه الحالة سيصادرون المنزل.

شرح ما تعنيه المصادرة، والأساس القانوني لعملية المصادرة. فقالت
إنغريد إنها على أي حال تحتاج إلى بعض الوقت للتفكير في الأمر، وربما
تحتاج إلى مشورة خبير.

القس صموئيل، من جديد؟

كلّا. لا يثق فيليكس بخبرة صموئيل، وسيحاول أن يستفيد من خبرة
صديقه التاجر ماركوس، الذي تعلّم القليل من كلّ شيء في مدرسة
التجارة. رغم أن عضويته في رئاسة البلدية قد انتهت منذ زمن، على خلفية
قضية مشهورة تورّط فيها هو وأمه في خلافٍ حامي الوطيس مع البلدية،
التي رفضت محاولاته لتوسيع تجارته مع الإبقاء على توصيفها كمتجر أو
حرفة. فرئاسة البلدية تتعامل، في الوقت الحالي، بمسؤولية عالية في ما
يخصّ الشؤون العامة.

اتفقا على أن يستشير فيليكس ماركوس في مسألة العقار.

«لكن لا عجلة في الأمر» - قالت إنغريد - «فالبلدية يمكن أن تنتظر بقدر
ما جعلوها تنتظرهم».

انقضى جزءٌ كبير من حياة الصيف الفكرية في فحص إنغريد للرسائل
التي عثرت عليها في صندوق أحذية أولافيا، في منزل يوهانس المتداعي.

فتحت إنغريد الرسالة الأولى بعد أن تركتها عدّة أيام فوق الصندوق، كانت تعيش تردّداً لا واعياً، وربما خجلاً، لأنه ما علاقتها بتلك الرسائل؟ أخرجتها بعناية وحذر من داخل الظروف الرطبة التي تحمل أختاماً وطوابع بريديّة غائمة الملامح، ثم نشرت الأوراق بعناية لتجفّ على حافة النافذة، حيث تبيّس مثل أرغفة الخبز، قبل أن يصبح بالإمكان فكّ رموزها. تسع رسائل، جميعها من عائلة ستورم، والدة أولافيا وأخواتها الثلاث، كُتبت وأرسلت خلال الفترة التي عاشتها أولافيا مع يوهانس في هارتفيكا. في البداية، واجهت إنغريد مشكلات مع فهم الخط، ثم مع المحتوى، على الأقل بسبب غياب ردود أولافيا، فما بين يديها كان نصف محادثة فقط ومعقّدة جداً في بعض الأحيان. والغريب في الأمر هو أنّ عائلة ستورم تبادلوا الرسائل في ما بينهم رغم أنهم كانوا يعيشون على مسافة ساعتين فقط بعربة الحصان، فضلاً عن سرعة الحافلة، التي كانت تنقل الرسائل أيضاً. كان محتوى الرسائل عادياً، ويتعلّق بالأمر اليومية، لكنّه ازداد توتراً في نهاية رسالة من أماليا، حيث من الواضح أنها ردّت على التماسٍ من ابنتها أولافيا: «اصبري وصابري». وشدّدت الأم في هذه الرسالة على أن ليس لدى أولافيا من تلومه على محبتها سوى نفسها، لأنّها هي من أصرت على الاحتفاظ بهذا «الطفل غير الشرعي»، بدلاً من التخلّص «منه»، و«أنّه ليس هناك أيّ عائلة ترضي ذلك لنفسها».

أعادت إنغريد قراءة تلك الأسطر مراراً وتكراراً، على أمل أن تكتشف أنها قد أخطأت الفهم، لكنّ الرسالة أصبحت أكثر وضوحاً. وشعرت من جديد أنه ينبغي ألاّ تقرأ هذه الرسائل، فلا شأن لها بها، وليست بحاجة إلى معرفة فحواها، وينبغي حرقها.

لكن بعد ذلك، فوجئت بالفكرة النقيضة تماماً، وهي أنّ أولافيا ربما تركت هذه الرسائل على أمل أن يجدها شخصٌ ما ذات يوم ويقرأها ويفهم ما جرى.

لكن مَنْ؟ هل قصدت يوهانس؟ أخواتها؟ أم ماتياس؟
ومن أجل ماذا؟

من أجل التعاطف مع أولافيا؟ من أجل أن يغضب ويبدأ رحلة انتقام؟ أم لتكون مصدراً للندم؟

الشيء الوحيد المؤكّد هو أنّ هذه الرسائل لم تكن مخصّصة لتقرأها إنغريد. فهي تحتفظ برسائل في الدرج ليس من أجل أن يقرأها أيُّ شخص غيرها، وينبغي ألاّ يطّلع عليها أحد. ولذلك السبب ما كانت لتترك وراءها صندوق أحذية مليئاً بمثل هذه الرسائل لو هربت.

بدأت إنغريد تتشكّك في ذلك أيضاً.

هل وجود الرسائل في الدرج يعني أنها في أمان.

ولماذا تحتفظ إنغريد بهذه الرسائل؟

يتغيّر السبب من سنة إلى أخرى، من حدث إلى آخر، ومن نظرة إلى أخرى. لم يكن لدى إنغريد نظامٌ مدروس بشكلٍ جيّد في ما يخصّ ما تجمع وتحتفظ به وما تتخلّص منه، كانت تنقاد وراء حدسها. وهل دفعها حدسها إلى الاهتمام بأولافيا أيضاً؟

أختها الصغرى إليزابيث، في رسائلها الاثنتين، لم تبخل عليها بعبارات الدعم والمواساة، مثل أنّ ماتيس كان مهزوماً ولطيفاً جداً عندما زارتهم في هارتفيكا في شهر تشرين الأول، وأنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام، وأنها تصلّي لأجلها كلّ مساء.

وثمة رسالتان من آنا كارينا، ورسالتان من غيدا. إحدى رسالتي غيدا لم تكن مقروءة، وفي الثانية زعمت أن الحياة في بيت عائلة ستورم لم تعد هنية كما كانت قبل أن تغادر أولافيا المنزل، وأن غيدا قدّمت طلباً للالتحاق بمدرسة التمريض رغم معارضة والديها، واضطّرت أن تتحمّل صراخهما وغضبهما، لكن ليس بقدر ما نحملت أولافيا.

ختمت أنا كارينا رسالتيها بالأسف لعدم قدرتها على تحقيق رغبة عبّرت عنها أولافيا في رسائلها. «أنت تعرفين والدك جيداً، كُفّي عن ذلك!». وقالت إن أولافيا ينبغي ألا تستجديه، لأن استجدها له يزيد الموقف سوءاً. وتضمّنت الرسالة معلومة جعلت عينيّ إنغريد تجحظان من محجريهما وهي أن أولافيا كنت قرّة عين أبيها، وما كان لأيّ واحدة من أخواتها الأخريات أن تكسر قلبه بهذه الطريقة.

وجدت إنغريد صعوبة كبيرة في فهم الرسالة الأخيرة، من الأمّ أماليا، واضطّرت أن ترفع الورقة عالياً أمام الضوء لتتمكّن من قراءة خطّ المرأة العجوز. بدأت الرسالة بالأمور اليومية التافهة، ثم انتقلت إلى تقرير شديد لابنتها لأنها لم تعبّر عن امتنانها وشكرها لها على مبلغ المئة واثنتي عشرة كرونة الذي أرسلته لها «تكاليف السفر»، فقد كان ذلك كلّ ما تملكه أماليا. وإذا كانت أولافيا تعتقد أن أحداً سيهتمّ بابنها الألماني، فهي مخطئة وينبغي أن تعيد التفكير في الأمر. «فكّري في والدك، الذي يفعل كلّ ما في وسعه للوقوف على قدميه ثانية بعد الحرب».

أمضت إنغريد ساعاتٍ طويلة مع هذه الانطباعات، سواء في الصالة الشمالية أو على المقعد، تتساءل كيف تخلّت أولافيا عن ابنها، هدية الحرب لها، من أجل رجلٍ لم تكن قادرة على العيش من دونه.

هنا، في هذه الرسالة، جرى تأكيد كل شيء، بخط اليد، وبلا أي لبس. ولم يكن ذلك في شهر كانون الثاني ولا حتى في شهر أيلول. نهضت إنغريد عن المقعد، ونظرت حولها بحثاً عن فكرة أخرى، عن شيء تافه، عن مخرج.

لقد فرغوا من الحصاد الآن، والتبن يتمايل بهدوء فوق سقالات التجفيف عبر الحداثق الجميلة، وفي الأفق عبر المضيق تلوح جزيرة جيس أوي، التي استصلحوا فيها ذات يوم اثني عشر فداناً من المستنقعات، واستخدموها مرعى للماشية. حاولت إنغريد مراراً حرثها واستثمارها، لكنّ لارس كان يرفض رفضاً قاطعاً كلّما ناقشته في الأمر، ويقول إنّ لديهم ما يكفي من الأرض، على الرغم من أنّ أمّه في أيام عزّها قد بذلت جهداً مضنياً في هذه المعركة الأبدية بين الرجل والمرأة، بين البرّ والبحر.

غادرت إنغريد المقعد، وصعدت الطريق مسرعة صوب المزرعة، ورأت لارس في حديقة الثدييات بالقرب من حظيرة الأبقار، ودققت النظر في ظهره. كان أوسكار يدير حجر الشحذ ولارس يشحذ المناجل، كانا يعملان في صمتٍ وتركيز، وكلّ الكلام فائض لا لزوم له، رجلان لا يخطئان أبداً، وكلّ منهما يعرف مكان الآخر في جميع الأوقات، وقد كرّس لارس هذا الصيف كلّه للعمل على البرّ، لكن من المفترض أنه يفكر فقط في صيد سمك السلمون والحيتان، هل كانت هذه هي اللحظة المناسبة لإثارة مسألة الأرض في جيس أوي، دقّ الحديد وهو حام؟ ربّما لا.

تابعت إنغريد طريقها ودخلت المنزل، وألقت نظرةً على الطعام الذي أعدّه باربرو، كما لو أنّها تضع اللمسات الأخيرة عليه. أسرعت باربرو إلى

لبس نظّارتها الجديدة، التي يبدو أنها تلبسها فقط من أجل الحفاظ على السلام العائلي؛ فهي لا تحبّ أن تحمل هذا الجهاز فوق أنفها طيلة الوقت. خرجت إنغريد من جديد، وكانت ما تزال قلقةً، وبقيت واقفةً في الفناء تطوف ببصرها حتى رأت كلّ رعيّتها؛ الفتية الثلاثة على متن سالتهامر وفي أيديهم فرش الطلاء ودلاء الغسيل، يعملون تحت إشراف فيليكس الصامت، وكان ماتياس وكايا في القارب الرباعي، ماتياس يجذّف وكايا مستلقية أعلى مؤخرة القارب وهي تضحك من شيء ما، عندئذٍ استعادت هدوءها وطمأنينتها.

عادت إلى المنزل وصعدت إلى الصالة الشمالية، فتحت الدرج الأيمن صندوق الكنز، ولم تحتجّ سوى إلى أن تلقي نظرة على الأوراق المتبيّسة لرسائل عائلة ستورم لتدرك أنها لن تُري هذه الآلام لأيّ مخلوق. وهذا الحصان الخشبيّ الأصفر الذي وجدته في غرفة الأطفال في هارتفيكا لن يراه أحدٌ أيضاً، رغم أنه كبيرٌ لدرجة أنها اضطرتّ إلى وضعه في الدرج الأسفل، الذي لا قفل له. لكن لا أهميّة لذلك. خصوصاً أنها قرّرت أن ترسل رسالة إلى أوتمار إرليخ في شهر كانون الثاني، وتخبره عن هذا الابن الرائع الموجود هنا في الشمال.

أو ربّما تتريّث قليلاً؟

يا له من قرار رائع! قصارى القول: من المستحيل فهم هذا القرار.

«الطعام جاهز»، صاحت باربرو من المطبخ في الأسفل. ثم خرجت إلى الفناء، بعد أن لبست نظّارتها الطّيبة، وصاحت للموجودين على الجزيرة وفي البحر أن الطعام جاهزٌ على الطاولة.

ونزلت إنغريد من الصالة الشمالية.

استغرقت مسألة ملكية العقار وقتاً طويلاً، وزادت وتيرة المراسلات مع البلدية. رفضت إنغريد بيع عقار هارتفيسن للبلدية، بسبب السعر البخس الذي قدّمته رئاسة البلدية. عرضت البلدية سعراً أفضل كدليل على حسن النية، وذلك لأنهم في عجلة من أمرهم للانتهاء من بناء المدرسة، وقد شرعوا فعلاً بشق الطريق إليها وتعبيده، كما فكّكوا منزلين ونقلوهما، وهدموا منزلاً ثالثاً.

كانت إنغريد تكتب الرسائل بمساعدة فيليكس، الذي اندمج عميقاً في هذا الدور. وقال برضاً عميق إنّ رئاسة البلدية لم تأتِ على ذكر المصادرة، وهذه أمانة جيّدة.

لم تكن تلك حكمته هو، بل هي أفكارٌ تلقّاها من ماركوس، ذلك أنّ قضية المصادرة تستغرق وقتاً طويلاً، إذ يجب في البداية أن تُصدر المحكمة في المدينة قراراً بالمصادرة، وبعدئذٍ يأتي قرار محكمة الاستئناف.

كان فيليكس على دراية كافية بما يعنيه الاستئناف، وكانت البلدية أيضاً ممتنة جداً لأنه ليس لديهم الوقت لذلك.

ردّت إنغريد بأنها لن «تعارض» هذه «الخطوة المقترحة»، وقد كتبت

الردّ تحت إشراف فيليكس، طبعاً، بأفضل صيغةٍ رسميةٍ ممكنة، وقالت إنها تنتظر من البلدية «زيادة سعر مُقنعة» وأنها تنتظر منهم «حُسن التقدير»، واستخدمت هذا التعبير مرّتين، الأمر الذي أسعد فيليكس كثيراً. كما عرّجت عرضاً على ذكر تكلفة نقل منزلي غودرون رغوت، المعلومات التي حصلت عليها من العمدة السابق، سوند. وكنقطة أخيرة، تساءلت: ألم تُعطِ البلدية لنفسها الحقّ في البدء بأعمال البناء وهدم منزل هارتفيسن قبل إبرام الاتفاق مع المالك الشرعي للعقار؟

قال لارس إنّ هذا فنٌّ، وتساءل ما إذا كانوا سيستمعون إلى رأي صاحب الشأن، ماتياس البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً؟ فقالت إنغريد بحسم إنه لا يعرف شيئاً عن هذا الأمر. لماذا؟

لأنّها ستضطرّ عندئذٍ إلى التحدّث عن يوهانس، وهي لا ترغب في ذلك.

نظر إليها لارس وفيليكس مستفسرين.

فقالت إنه سيحصل على هذه النقود عندما يصبح شخصاً راشداً. فحدجاها بنظرة استفسارٍ أكبر؛ فقالت إنّ ماتياس لم يأتِ على ذكر والده منذ أن جاء إلى الجزيرة، ولا بدّ أنّ هذا يعني شيئاً ما. فكّرا في الأمر.

قال لارس بروية: «لكنّه لم يُنادِك: أمي».

كلّا، لم يقلّها ماتياس بتاتاً. وهو مثل كايا، يناديها باسمها، إنغريد. وتساءل لارس ما إذ كان هذا يعني شيئاً ما؟ لم تفهم إنغريد قصده.

فقال لارس: إنّ ماتياس يعرف أكثر ممّا تعرفين.

لقد كان لدى إنغريد الكثير من الشكوك حول هذا الأمر، منذ مجيء الطفل إلى الجزيرة، لكنّها كانت سعيدة جداً لأنه لم يسألها عن كلّ هذه الآلام، ليس لأنه نسيها، بل لأنها اختفت. وهي سعيدة الآن أيضاً لأنّ بيت يوهانس قد اختفى أيضاً، فقد كان مبعث قلقٍ واضطراب بالنسبة لها خلال كلّ تلك السنوات، ففي البيت أشياء كثيرة، والآن لم يعد هناك شيء. تبادل لارس وفيليكس النظرات.

وصل ردّ البلدية في الأسبوع التالي، وأصبح المبلغ المعروض أعلى، لقد ضاعفوا السعر الأول.

لكن كان لدى إنغريد فكرة أخرى، نفّذتها دون مساعدة فيليكس، الذي كان في البحر مع بقية الطاقم. جلست في الصالة الشمالية: كما لو أنها مكتبٌ رسمي، وأثارت قضية المنارة القديمة التي أُقيمت في جنوب بارأوي، وفُجّرت أثناء الحرب، ولم يجرّ تجديدها، ويرجع ذلك جزئياً إلى تدريب سكّان بارأوي أنفسهم. لكن هذا بالضبط ما كان على البلدية أن تكتشفه بنفسها. وكرّرت ثانية عبارة حسن النية، وأضافت إلى أنهم يفتقدون المنارة، وأنها قد شاهدت في الصحيفة صورة منارة على جزيرة في الجنوب، مزوّدة بنظام إشارة يمكن أن يستخدمه سكّان الجزيرة أنفسهم عند الضرورة.

أرسلت المعروض عصر اليوم ذاته مع سفينة النقل المُجدولة. وجاء الردّ سريعاً، وكان رفضاً قاطعاً. مع استعجالٍ شديد بقضية المدرسة، أكثر من ذي قبل. وقد سمعت إنغريد من دانييل أنهم قد بدؤوا

في بناء الأساسات. وقالت البلدية إنَّها لا علاقة لها بالمنارات واللافتات، وعلى إنغريد أن تناقش تلك القضية مع خدمة المنارات.

مع تحيات رئاسة البلدية.

أجابتهم إنغريد على الفور، قائلةً إنَّها تعرف بالطبع أنَّ خدمة المنارات هي المسؤولة عن المنارة، لكن ألا تستطيع البلدية مساعدتها بالضغط على أولئك المسؤولين من أجل تحسين الأمن على الجزيرة؟

مع وصول الإجابة الثانية كان فيليكس قد عاد من البحر، وهو من وقف على الرصيف واستلم الرسالة من سفينة النقل. فتح الظرف وقرأ الرسالة قبل أن تخرج إنغريد من المنزل، وسألها غاضباً ما الذي توصّلت إليه؟ نحن لا نريد هذا الضوء الجهنميّ هنا. لدينا ما يكفي من الأوتاد والأكوام الحجرية، وضوءٌ إضافيّ هنا سيتسبّب بالمزيد من الإرباك للسفن. ثم ألا تعلم إنغريد أنها بفعلتها هذه قد أعطت البلدية كرتاً جديداً. انظري!

لم تكن إنغريد متأكّدة.

قرأت الرسالة، وقد أعربت فيها البلدية عن موافقتها على الاتصال مع خدمة المنارات، وأنَّ إنغريد ستلقَى ردّاً في هذا الخصوص. وفي النقطة الثانية: كرّروا عرضهم السابق.

سألت إنغريد فيليكس كيف يتوقّع أن يكون ردّ خدمة المنارات.

قال فيليكس إنَّهم سيقولون «كلّا» بالتأكيد. لقد أصبح لدينا جهاز راديو على السفينة، وسيكون لدينا أيضاً جهازٌ آخر هنا في الجزيرة قريباً جداً.

ما تزال إنغريد غير متأكّدة، ففي استراتيجيتها هذه انسأقت وراء مشاعرها أكثر من أفكارها. وما تزال تشعر أنّ مشاعرها على صواب. فقالت إنّ دور البلدية في الكتابة يأتي حالما يصل رفض خدمة المنارات، أليس كذلك؟ كان فيليكس على وشك أن ينفض يده من الموضوع ويمشي إلى أشغاله، لكنّه بدلاً من ذلك وقف يتأملها، ثم ابتسم فجأة وقال لها إنها مأكرةٌ لعينة.

جاءت الرسالة التالية بعد أسبوع، وكان ذلك في شهر تشرين الثاني، لقد نشرُوا شباك صيد الرنجة في البحر. وأفرغت سالتهامر، للتوّ، تسعة أطنان من سمك الرنجة على الرصيف الجديد، وكانت باربرو وإنغريد والأولاد منهمكين في التنظيف والتلميح، بينما صعد فيليكس ولارس إلى كارفيكا ليستريحاً قليلاً.

وهكذا وضعت إنغريد يدها أولاً على الرّد. أمسكت إنغريد الرسالة بين يديها المليئتين بحراشف سمك الرنجة، واللّتين ارتجفتا عندما قرأت رفض خدمة المنارات الذي يقول إنهم غير قادرين على إقامة منارة جديدة في بارأوي بدلاً من التي كانت هناك قبل الحرب.

ومع الرسالة ثمة برقيّة مرفقة تعزو سبب الرفض إلى أسباب تقنيّة واقتصاديّة، وكانت شبيهةً بالاعتراضات التي أثارها فيليكس من قبل.

لكن في رسالة البلدية جرى التشديد على ضرورة الإسراع في حسم القضية أكثر من أيّ وقتٍ مضى، وبناءً عليه زادت البلدية ستة آلاف كرون على سعر بند الانتفاع رقم 1.

بدت إنغريد على وشك أن تقفز في البحر. خلعت مئزر العمل وركضت

صاعدةً الطريق، كأنها عادت فتاةً صغيرة، إلى كارفيكا متجاوزةً بيت المزرعة ثم نازلةً رقة أوسكار. ودون قرعٍ أو استئذان فتحت الباب واتجهت مباشرةً إلى المطبخ حيث كان الأزواج حول الطاولة يتناولون الطعام ويضحكون من شيءٍ ما. رفع لارس رأسه وسألها ما إذا قد اندلعت الحرب.

جلست إنغريد ووضعت الرسالة على الطاولة. نظر فيليكس إليها، وضع من يده الشوكة والسكين، أخذ الرسالة عن الطاولة وقرأ بصوتٍ عالٍ أن البلدية قد رفعت السعر الذي عرضته مقابل عقار يوهانس ثلاث مرّات منذ الصيف.

نعم، لابدّ من الاعتراف بذلك، قال لارس وتابع أكله. وصف فيليكس إنغريد بالجنيّة. وابتسمت إنغريد.

أمسك فيليكس بالشوكة والسكين ثانيةً، وقال متشكّكاً: لكن ربما لا حاجة للإسراع في الردّ على البلدية. ماذا تعني؟

لقد سمع فيليكس أن البلدية قد استولت بالفعل على موقع المدرسة، وبدأت عمليّة البناء في مخالفة قانونية واضحة.

لذلك انتظري.

ماذا أنتظري؟

انتظري ونرى.

صادوا المزيد من أسماك الرنجة. وملّحت بارأوي ودخنت قرابة ثلاثين برميلاً خلال شهر، وكان الاستعداد للذهاب إلى لوفوتن على قدمٍ وساق، قبل أن يحدث شيءٌ ما.

ما حدث هو أن دانييل مالفيك أوصل العمدة الحالي والسابق، صباح

يوم خرج فيه كلّ رجال بارأوي إلى البحر. نزل السادة إلى البرّ في منطقة كثيفة فلم يلاحظ وجودهم أحد، واضطّروا إلى شقّ طريقهم صعوداً إلى المنزل عبر الثلوج، ليس لأنّ إنغريد أرادت أن ترهق رجُلَي السلطة، بل لأنّها عاشت أسبوعين مرهقين بدا لها أنهما لن يتّنها، وكادت تطير من الفرح عندما سمعت جلبةً في مدخل البيت الخارجي وفهمت ماذا يجري. لا، لا أصدّق أنكم جتتم في هذا الطقس.

قال دانييل إنّ الطقس لم يكن سيّئاً جدّاً، وخلع سترته المطريّة وجزمته ووضعهما على صندوق التورف، مثل ضيفٍ مقرب.

بقي العمدة الحالي والسابق واقفين بينما ساعدت باربرو كلّاً منهما على خلع سترته المطرية، ودعتهما إنغريد إلى الجلوس، هناك بجانب النافذة، كما قالت للعمدة الحالي، الطويل، النحيل، الذي في منتصف العقد الخامس من العمر، ذا شعر كثيف، أسود وقصير، وحواجب كثّة فوق عينيّن تبدوان خجولتين، لقد أذهلها.

عبّرت وجه إنغريد ابتسامةً عرضيّة وهي تضع ركوة القهوة على الموقد، ثم وضعت غطاء الطاولة ومفرش التزيين بينما أخذ العمدة السابق يشتكي من الطقس، ويقول إنه لم يأتِ إلى هنا من قبل.

قدّم العمدة الحالي نفسه باسم بونساك ساندفار، وقال إنه في الأصل من جزيرة صغيرة مثل بارأوي، لكنّه انتقل مع عائلته إلى الجزيرة الرئيسية واستقرّوا هناك منذ أن كان طفلاً. وقال بعد تفكير إنّه من الرائع أن يعود المرء إلى منبته. وبدا أنه صادق في ما يقول. وقد عرف والداه والذي إنغريد. وتذكّرا معاً بعض الأسماء، والوجوه، والأحداث، كما تبادلا بضع كلماتٍ حول المدرسة البائدة في هافستين، وأنّ الحياة تتضاءل على

الجُزر الآن. وكان بونساك ساندفار يعتقد أنَّ الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذ الساحل من هجرة سكَّانه هو الكهرباء، التي سمَّاها الإضاءة.

ماذا؟ قالت إنغريد.

نعم، يجب أن يحصل الناس على إضاءة.

هكذا إذاً؟

نعم، يعمل فريق الإنارة على هذه المسألة الآن.

هكذا إذاً! قالت إنغريد من جديد.

فقال العمدة إنَّهما جاءا ليتحدَّثا معها بخصوص شيءٍ مختلف تماماً، وشكرها معتذراً، بالنيابة عنه وعن زميله، عن تناول قطع السكر، ونظر إليها بعينين ودودتين وقد غاب منهما الخجل الآن، وعلى شفَّته طيف ابتسامة وهو يقول لإنغريد إنَّها كانت قاسية بالفعل.

تفاجأت بكلامه المباشر والصريح. لكنَّها جلست على الطرف الآخر من الطاولة، وسألته ببساطة عمَّا يقصده.

لا شيء.

استعادت إنغريد طمأنينتها، وشرحت بهدوء وبرود كيف ترى إمكانية حلِّ هذا الاشتباك. بينما بونساك ساندفار الذي تحدَّث كثيراً في البداية وكشف عن هويته، جلس قبالتها دون أيِّ سلاح مفاجئ أو سرِّي.

قالت إنه لو كان الأمر بيدها لما كان هناك قضية للنقاش.

أوماً بونساك ساندفار برأسه متفكِّراً، وقال، سواء صدَّقت إنغريد أم لا، إنه شخصياً لم يكن على دراية كافية بحقيقة الممتلكات في هارتفيكا قبل أن تمطره برسائلها.

أومات إنغريد برأسها.

لكنّه الآن، وبعد أن اطّلع على القضية جيّداً، قرأ الوثائق المتعلّقة بها منذ مئتي عام، وصكوك المساحة، فهو يعرف كيف يقدر حجم المزرعة، وإذا كانت إنغريد تتذكّر الرسالة الأصلية...؟
كلّا.

لقد كتبت رئاسة البلدية في الرسالة الأصلية إنّهم مهتمّون فقط بالمزرعة. لكنّهم تبيّنوا الآن أنه بإمكانهم الاستفادة من كامل مساحة العقار. ولذلك قرّروا أن يضاعفوا العرض الأخير.
حدّقت فيه إنغريد.

إنّها تتذكّر بالتأكيد الرسالة الأولى، تتذكّرها عن ظهر قلب، ولا يوجد فيها ذكر عن رغبتهم في تقسيم العقار. فقد أرادوا المزرعة فقط، هذا ما فهمته هي، أم أنّهم لم يكونوا مهتمّين بذلك، أو اعتقدوا أنّها غير مهمّة؟
لكن الآن؟

فجأة، خطر ببالها أنّ بونساك ساندفار لم يأتِ إلى هنا ليكذب عليها ويخدعها، بل ربما من أجل أن يفصّل هذا الاشتباك ويحفظ ماء وجه البلدية.
لقد استغرقت وقتاً للوصول إلى هذا الاستنتاج، الوقت نفسه الذي احتاجه العمدة ليضع حقيبة جلدية مبلّلة على الطاولة ويخرج منها بعض الأوراق التي بدا أنّها وثائق، عقداً، نسخة من صكّ الملكية ودفتر ملاحظات وقلم حبر، ووضعها جميعاً بين فنجان قهوته وفنجان قهوة العمدة السابق.

سأل إنغريد ما إذا كان لديها من تريد أن تتشاور معه.

«نعم»، قالت إنغريد، وتردّدت قليلاً أيضاً لأنّ سالتهامر كانت في البحر، وكلّ رجال بارأوي على متنها، وبضمنهم ماتياس، وحتى فيليكس نفسه ربما لم يكن المرجعية المناسبة لمثل هذه اللحظة الحاسمة.

نظرت إنغريد مباشرة في عينيّ بونساك ساندفار وقالت إنها يمكن أن تذهب معهما الآن لتستشير أحد أصدقائها، وبعد ذلك تقابلهما في البنك وينهيان القضية تماماً اليوم.

قال ساندفار باقتضاب: وهكذا نضيّع النهار.

سألته إنغريد ماذا يقصد بكلامه.

فقال: لا شيء.

قالت إنغريد: اتفقنا؟

نظر إلى ساعة معصمه. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق صباحاً، وسألها كيف ستعود إلى بيتها ثانية؟

قالت إنغريد إنها ستعود مع دانييل. وإذا تعذّر ذلك، يمكن أن تبقى عند سفيتلانا حتى تعود سالتهامر من البحر.

تقف إنغريد بجانب دانييل في قمرة القيادة، بينما يقف الرجلان الوقفة البحرية المعتادة في خلفية القمرة ويسندان ظهريهما إلى حائط القمرة. كرّر العمدة السابق من جديد إنه لم يأتِ إلى هنا من قبل، وأخرج من جيبه زجاجة خمر مسطّحة، شرب منها جرعة وقدمها للعمدة الحالي، الذي شكره معذراً عن الشرب، وقال ثانية إنّ هناك شيئاً يفتقده هنا.

ما هو؟

يمشي ساندفار في القمرة نحو الباب وينظر إلى البحر والجزر الصغيرة وراء عواصف البرد التي تسوط نوافذ القمرة المتسخة.

تحاول إنغريد أن تستفسر منهما المزيد عن الكهرباء، التي قرأت عنها ذات مرة في الصحيفة، والتي شعرت في حينه أنها غزوٌ خبيث أكثر منها نعمة، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فهذا يعني أن هناك شيئاً ما على وشك الحدوث على الساحل، وهي لا تستطيع فهمه، هذه المرة أيضاً، رغم أن الأمر لا يتعلق بالحرب الآن، بل بالسلام الذي لا يمكن التنبؤ به.

يشرح لها ساندفار أن مؤسسة الكهرباء تفرض على البلديات شراء أسهم في مشروع الكهرباء الجديد، هذا إذا أرادوا الحصول على الكهرباء، وأن على كل منزل أن يدفع قرابة مئة كرونة، على ما يذكر.

تسأل إنغريد ما إذا كان بوسع المرء أن يدفع أكثر من مئة كرون، ليضمن الحصول المؤكد على الكهرباء. يستدير ساندفار ويبتسم. تنتظر إنغريد جواباً عن سؤالها. ينظر ساندفار إلى العمدة السابق، الذي يهز كتفيه ويقول إنه لا يعرف.

يصعدون الطريق من أمام المتجر. تعرف إنغريد أن العُمدتين يعتقدان أنها ستذهب لاستشارة القسّ، وهي لا تمانع. لكن حالما يفترقون، تستدير وتعود إلى المتجر وتدخل عبر الباب الخلفي، حيث يجلس ماركوس، التاجر، منكباً فوق سجلّات حسابات كبيرة في المكتب الصغير الذي يحب أن يلعبه دوماً، فلا مستقبل في هذا المكتب الذي تناوب عليه جدّاه ومن بعدهما والداه، في أزمانٍ مختلفةٍ تماماً، وكان ضيقاً عليهم في حينه، والآن أصبح لا يطاق.

سألها ماركوس ماذا تريد.

تعلم إنغريد أنه يعرف القضية كلّها من خلال فيليكس، فتسرد له آخر التطوّرات، وتضع الأوراق أمامه على الطاولة وتطلب منه أن يرى ما إذا كان فيها مزيداً من الخداع.

حرّك ماركوس يده بطريقة تعبّر عن الإحباط، لكنّه شرع في قراءة الأوراق، برويّة، ثم ابتسم ملء وجهه. وبعدئذٍ بدت على وجهه أمارّة قلق، فهمتها إنغريد على الفور، قبل أن يشتم ويقول إنّّه من الآن فصاعداً لن يكون شراء أيّ عقارٍ من البلدية في متناول الجميع. كلّاً، لا خداع في الأمر. مبروك.

في بارأوي، لم يكن هناك احتفالٌ غير عاديّ. عادت إنغريد كما لو أنّها كانت في رحلة تسوّق عادية، بهدف إخفاء هذا النجاح في غياهب النسيان تماماً كما فعلت عندما نجحت في بيع سفينة الحليب.

لكنّ لارس وفيليكس لم يعودا مطيعين كثيراً، وربما وجدا في هذا مخرجاً من عبء الديون الثقيل على سالتهامر. شريان حياة بارأوي، الذي بقي حيّاً يوماً بيوم بفضل جهود ستّة رجال.

مساء اليوم التالي، بعد عودتهما من البحر، شربا وثلما ثم خرجا في ظلام الشتاء الثلجيّ بمصصانهما فقط، وصعدا رقبة أوسكار إلى إنغريد بطلبٍ واحد وهو أن يقترضا بعضاً من مال ماتياس، من أجل منح الجزيرة فسحة للتنفّس، وتقليل الديون.

كانت إنغريد جالسة وحدها في المطبخ، تهنّئ نفسها على هذا النجاح، قبل أن تسألها ماذا يريدان.

قال لارس بصوت عالٍ قليلاً إنَّ أحد سكّان بارأوي يملك الآن مالاً في حسابه البنكي أكثر ممّا كان لدى أيّ منا في أيّ وقتٍ مضى، طفلٌ استقبلناه هنا وهو ليس لديه أيّ فكرة عمّا يملك ولا يملك.

ارتبكت إنغريد للوهلة الأولى، هل يجب أن يدفع ماتياس دون أن يعرف أو يريد ثمن السنوات التي عاشها هنا؟ أو يمكن لهذه النقود أن تعني شيئاً آخر تماماً، مثل ماذا مثلاً؟

سألتهما إنغريد ما إن كانا غير قادرين على إدارة أمور سالتهامر، كعهدها بهما.

أجل، بالتأكيد، لكنك تعرفين... القسط.

فقالت إنغريد إنهما نجحا في تدبّر القسط طيلة السنوات السابقة.

سأل لارس غاضباً ما إذا كان ماتياس سيلاحظ أيّ شيء.

قالت إنغريد إنَّ هذا غير صحيح.

ما هو غير الصحيح؟

كانت هذه المحادثة هي الأسوأ التي حصلت بينها وبين رجالها. لكن، كما جرى بعد بيعها لسفينة الحليب، لم يكن لديها إجابة غير: «لا. هذه أموال ماتياس».

نعلم، نعلم، ونحن نريد أن نقترضها فقط.

لم تستطع إنغريد أن تقول إنها لا تصدّق كلامهما، لذلك اكتفت بإغلاق فمها وتظاهرت بالانشغال. غسلت طبقاً، طوّت قطعة قماش، وأشعلت النار، وانتظرت أن يغادرا.

قال لارس: هل نذهب؟

قال فيليكس: انظري إليّ، يا إنغريد. ألا تثقين بنا؟

كان على إنغريد أن تفكر في ردّها. نهض لارس. لكنّ فيليكس بقي جالساً بانتظار ردّها.

قالت إنغريد: نعم، أثق بكما.

حسنٌ، ما الحكاية إذًا؟

لا أعرف. لا أستطيع فعل ذلك.

نهض فيليكس أيضاً، وقال إنه لم يرها هكذا من قبل. فغضبت إنغريد وقالت إنه طالما رآها هكذا، منذ أن جاء إلى الجزيرة فتى صغيراً، مفلساً دون أيّ كرونة. ثم صحّحت، وقالت: لا، بل مع صندوق من الخزف البولندي، وقالت إنّ هذا غير معقول أبداً، وأضافت أنّ المدرسة تنتهي خلال ستة أشهر، وعندئذٍ يمكن أن يتحدّثوا في هذا الأمر.

خرجوا دون أن يسألوا ما علاقة مدرسة الأولاد بهذا الأمر، ولم يحرزا أيّ تقدّم قبل الذهاب إلى لوفوتن. ولم تلاحظ إنغريد أيّ تغيير في سلوك سلمى وهانا، ولا حتى عتبٍ بسيط. وجاء عيد الميلاد، وكان ميلاداً هادئاً، وحتى البحر كان هادئاً.

شهر كانون الثاني ليس فقط شهر التفكير الذي ينبغي تجنبه، بل هو أيضاً شهر العواصف العاتية، التي تجعل الأفكار أكثر سوداوية. واليوم أصابت إنغريد عمّتها بالمجرفة وكسرت نظّارتها. كانت تحاول أن تشقّ طريقها وسط الثلج إلى قبو البطاطس، عندما طيّرت العاصفة المجرفة من يدها.

عادتا إلى المنزل لتبيّن الأضرار. خدش في جبهة باربرو، تورّم بأنفها، وتحطّم النظّارة، العدسات والإطار معاً.

أشعلت إنغريد مصباح الكيروسين، أجلسّت عمّتها في كرسي وبدأت تُخرج نثرات الزجاج من بشرتها.

كان ينبغي أن تري أين تمشين، صرخت باربرو بأعلى صوتها كأنها تحاول أن تُخرس صفير الريح في البيت.

لكن، هناك شيء إيجابي في كلّ حدث سيّئ.

لننّس البطاطس، ونأكل كعك الميلاد.

بقايا كعك عيد الميلاد، الجافّ والصلب اللذيذ مع القهوة. أضرمت

إنغريد ناراً قويّة في موقدين وشعرت بالمنزل يهتزّ، وهما محبوبستان لليوم الثاني في غرفة الجلوس القديمة، وامرأتان أخريان محبوبستان في كارفيكا، تنتظران انقضاء العاصفة لتتمكّنا من عبور رقبة أوسكار.

ماذا عن الحياكة؟

تريد باربرو أن تحيك، خصوصاً أنها لا تضطرّ إلى النظر. صعدت إنغريد إلى العلّية وجلبت رسالة سوزانا لعيد الميلاد، وجلست تقرأها، بصوتٍ مرتفع، بينما باربرو تحيك شبكة.

لقد طرأت مشكلة بين سوزانا والجمعية السكنية منذ أن عادت هي إلى العمل، بعد أن بدأت هيغا الذهاب إلى المدرسة. تعمل سوزانا الآن في مصنع شوكولاتة، وبناءً عليه أصبحت تغسل غسيلها في الوقت الذي يناسبها، في غرفة الغسيل المشتركة في قبو البناء.

لكنّ هذه المرّة قالوا لها «لا».

ضحكت باربرو.

بدّلت سوزانا دورها مع إحدى جاراتها غير العاملات والتي كانت «متعاونة». لكن حتى هذا كان مخالفاً للقانون أيضاً، لعدّة أسباب مثيرة للاهتمام. ولم يكن مسموحاً أيضاً غسل الملابس في الحمام، ولا تجفيف الملابس على الشرفة أيضاً، حيث ثبتت سوزانا ستة حبال، فليل لها إنّ الحيّ الآن يبدو مثل الأحياء الإيطالية الفقيرة، وعليها أن تلتزم بالأنظمة، وإلا فقد تضطرّ إلى دفع غرامة.

ضحكت باربرو.

علّم بيورنار سوزانا التزلّج على الثلج. كانت متحمّسة جداً مثل هيغا، لكنّها وقعت كثيراً ولوّث كاحلها، كيف هي الأحوال في بارأوي،

يا مساكين! أفكر فيكم جميعاً، وأهني نفسي على حظي بأني لست معكم الآن، في هذا الظلام الدامس. هل وصلتكم أخبار من لوفوتن. بلغي تحياتي لباربرو وبقية العجائز من حولك أيضاً، هاها.

ملاحظة: منذ قليل، جاء رئيس الجمعية السكنية واشتكى من أننا ركبنا أجهزة التدفئة الكهربائية بأنفسنا، لكنه اعتذر عن مسألة الغسيل. فمن الآن وصاعداً أستطيع أن أغسل يوم السبت بين الساعة الحادية عشرة صباحاً والواحدة بعد الظهر.

مسكينة سوزانا، قالت باربرو.

جلبت إنغريد قلماً وورق وجلست تكتب ردّاً، وأقسمت لسوزانا أن بارأوي لم تكن أفضل حالاً من قبل بتاتا، ولديهم الكثير من خشب البتولا أكثر من أيّ وقت مضى، والفضل للنصائح الجيدة ولدانييل مالفيك.

بالمناسبة إنهم يغسلون الثياب عندما يريدون، وينشرونها في الداخل أو في الخارج كما يناسبهم، أو حسب الطقس، لأننا في الليل نضطرّ إلى النوم في المطبخ، الدفء أفضل هنا.

كايا وماتياس في المدرسة الآن، في الربيع ينتهيان من المدرسة، يكبران بسرعة، ولن تميّزهما الآن، لقد أخبرتك ذلك من قبل. وأوسكار أيضاً ما يزال أمامه نصف عام دراسي، لكن لم يكن بالإمكان إقناعه بالبقاء هنا عندما غادرت سالتهامر إلى لوفوتن. وهذا لن تميّزه أيضاً إذا رأيته، أصبح بطول فريدريك، ويشبه أباه كثيراً، باستثناء خصلات شعره الشقراء، التي قصتها له هانا أخيراً، وقالت إنه لا يستطيع أن يكون في كوخ صيفي بشعر طويل، لقد تحمّلت الأمر بصعوبة، أقصد شعره الطويل، وقد حفظت خصلات الشعر في اليوم خاص.

زرت باربرو عينيها وهي تنظر إلى عقدة في خيط الصوف.
نعم، يكون الوضع متعباً جداً بالقرب من الأطفال.

يمكن لشهر شباط أن يجلب بعض الراحة القصيرة، عندما يلتقي البحر الفيروزي والجبال والجزر البيضاء، تحت سماء خضراء، تتحول إلى اللون الأزرق الغامق فالأغمق، وتظهر الشمس ثانية. وفي هذا اليوم الاستثنائي يرسو دانييل مالفيك بجوار الرصيف الجديد.

لكن في اليوم الغلط من الأسبوع.

لقد انتهت إنغريد من العمل في الإسطنبول، وتجاهد الآن مع عجينة الخبز في المطبخ، ولا تلاحظ الإرهاصات قبل أن تصبح حقائق. بخلاف باربرو التي تجلس وتحيك الشبكة دون أن تضع نظارات. تريان عبر النافذة الأهم في بارأوي القس صموئيل مالمبيرغيت يتسلق الرصيف. غير أن هناك شيئاً غريباً في صموئيل اليوم، فهو يلبس سترة طويلة فضفاضة وعلى رأسه قبعة غريبة. ويقف على الرصيف وظهره لهما، ويمد يده إلى الأسفل ويساعد ضعيفاً، يتضح بعدئذ أنها زوجته آنا كارينا، بفستان أسود طويل، وعلى رأسها غطاء أسود أيضاً. وفي أعقابها امرأة أخرى، إنها أختها الصغرى، إليزابيث، وبقدر ما تستطيع إنغريد أن ترى عبر زجاج النافذة، الذي تراكم الملح على حوافه، أن إليزابيث أيضاً تلبس فستاناً وغطاء رأس أسود. وهناك كائن آخر يتسلق السلم أيضاً، إنه ماركوس التاجر، الذي لم يأت إلى الجزيرة منذ أن أوصل إليهم بضائع عندما كان فتى صغيراً. وفقط عندما تمتد يد لتساعد سفيتلانا المضطربة على تسلق السلم تدرك إنغريد ماذا يجري.

تدرك أن أمراً فظيماً قد حدث. حتى إنها تعرف ما هو أيضاً.
لكنّها لا تسمع صراخها ذاته.

شيء ما يُنهضها على ركبتيها من جديد، تنجح في الوقوف وتخرج إلى البرد، وباربرو في إثرها، وتقفان منتصبتَي القامة تقريباً في الفناء، بينما يتقدّم القسّ صموئيل على رأس حاشية بطيئة جداً، يجرجر قدميه صاعداً المسارات المغطاة بالثلوج، ومن ورائه كلّ هؤلاء الأشخاص الذين تربطهم ببارأوي روابطٌ واهية؛ يصطقّون أمامهما، وينزعون القبّعات عن رؤوسهم ويخبرانهما أنّ سالتهامر قد غرقت، اختفت، في البحر ما بين ميكن وروست.

خلال العاصفة قبل عشرة أيام.

أمكن العثور على بعض حطام السفينة في فارأوي وروست. لكن لا أثر للرجال.

تهمس إنغريد، ماذا ذهبوا يفعلون في ميكن؟
للحصول على شباك.

تنظر إنغريد إلى وجه صموئيل المالمبيرغيت ولا تعرفه، لكنّها تعرف أنها كانت تنتظر هذا منذ أن ولدت، أنه كان يحوم فوق رأسها منذ لحظة قدومها إلى هذا العالم، لكنّها لم تفكّر فيه من قبل، ولم يتحدث أحدٌ عنه، لكن طالما كان الجميع يعرفونه بالتأكيد.

تسقط مغشياً عليها فوق الثلج، وتهوي باربرو بقربها. تجلس أنا كارينا على الثلج وتطوّق كتفيّ إنغريد. لا تشعر إنغريد بها. وترى عبر غلالة الدموع في عينيها سفيتلانا بكلّ بؤسها الروسي، وبجانبا إيلزابيث، التي لم تُعانِ شيئاً في حياتها، لكنّها تتحب بصوتٍ أعلى من الجميع، والقسّ

صموئيل، الذي يحاول أن يكتب كتاباً عمّا لا يستطيع أن يراه، ودانييل مالفيك، الذي يمسك نفسه ليكون كما كان دائماً السند الأكثر أماناً في هذا العالم لبارأوي، بينما التاجر ماركوس لا يعرف أين ينظر. لدى إنغريد ابنة وابن.

تقول لماركوس بصوت يكاد لا يُسمع، وهو تحديداً، الذي لا تربطه أيّ أواصر مع بارأوي، وهو الأقوى الآن، أنّ عليه الذهاب إلى كارفيكا وإخبار هانا وسلمى، وليتذكّر أنّ سلمى، التي كانت سعيدة لأن ليس لديها بنات، قد فقدت كلّ عائلتها، ولذلك عليه أن يهتمّ بها وهم يعبرون رقبة أوسكار. هانا لديها توئم البنات ويمكن أن تسير وحدها. يهزّ ماركوس رأسه ثم يختفي من مجال رؤيتها.

لو كان القسّ صموئيل أكثر حكمةً، لفهم أن لا أحد يعيش أطول من أولئك الذين يختفون في البحر. فحتى يوهانس هارتفيسن ترك وراءه جرحاً أعمق من جرح أولافيا المفقودة، والتي تشبه الآن حكايةً مغلقة حيث ترقد في مقبرة العائلة على اليابسة.

عندما يختفي شخصٌ في البحر، يبحث الثكالي عن تفسيرات، في المخيلة، في الصحيفة، في إفادات وتقارير الشهود الحكماء والحمقى. هل كانت دوامةً، غواصةً روسية، شعاباً مرجانية غير مرئية، موجةً عملاقة، تصادماً مع سفينةٍ أخرى، انزياح حمل البضائع، انشطار السفينة، عنبراً مفتوحاً؟ لكن في أعماقهم يعلمون أن ذلك كله مجرد ضماداتٍ لجرح لا يلتئم أبداً، وضماداتٍ ستلاشى حتماً، وسيبقى الجرح، لأنهم لا يرجون إلا أملاً واحداً، وهو أن يكون الطاقم قد لاقى حتفه في ثوانٍ، ولم يضطروا إلى البقاء في المياه الجليدية ومعاناة الكثير. وقد يأملون أيضاً أن يكون الرجال الستة قد ماتوا جميعاً في اللحظة ذاتها.

لقد كانت هانّا، وليس إنغريد، من وضعت القسّ صموئيل على هذا المسار، بعد بضعة أشهر، بعد أن تلاشت كلّ الآمال والفرضيات، وبعد أن

أدلى جميع من شاهد أو اعتقد أنه قد فهم شيئاً بإفاداتهم، وبقي السؤال ذاته فقط: كم من الوقت استغرق الأمر؟

تبدأ لجنة تحقيق في الحوادث ببحث مكثف ومستمر. وقد أمكن العثور على العديد من بقايا السفينة خلال فصل الربيع، سهام وعوامات تحمل رقم سالتهامر بالحبر الأسود، العديد من أدوات الصيد والأشراك وُجدت في روست وفارأوي، وشهادات الشهود في فريدفانغ ويمكن تقول إنهم سمعوا همهمات متواصلة، لكنهم لم يسجلوا أي استغاثات، أو أصواتاً واضحة، والجميع يتهامسون غير مصدقين كيف يمكن أن يضيع مثل هذا الطاقم المثالي دون أن يترك أي أثر، وكيف لسفينة قوية مثل سالتهامر أن تتحطم بسهولة.

هل ارتكب أحدهم خطأ؟

سؤال غلط.

الصحيح: كم من الوقت استغرق الأمر؟

لدى هانا توءم بناتٍ يمكنها أن تلوّك السؤال معهما. ولدى إنغريد مراهقان. ولدى باربرو إنغريد وولديها المراهقين، ولدى سوزانا بيورنار وهيغا. لكن سلمى لم يبقَ لديها أحد.

تتناوب إنغريد وهانا السهر على سلمى خلال فصل الربيع. حتى إنّ سلمى لا تنام، لقد مسّها الجنون، وإذا غفت، تستيقظ عندما تغفوان، وتتجول نصف عارية في الجزيرة، وتريد أن تلقي نفسها في البحر. ويضطرون إلى إخفاء كلّ ما يجرح: السكاكين والنظارات، وما شابه، وعندما تقع في نوبة، تجلسان فوقها لتثبيتها، لكن سلمى قوية البنية، وعندما تصحو من نوبة أو غيبوبة تعود إلى الحياة وتحقق بنظرة واضحة،

فيعتقدون أنّ كلّ شيءٍ قد انتهى، لكنّها تنتكس مرّةً أخرى. أخيراً، وعندما يدركون أنّ شيئاً فيها قد انهار مرّةً وإلى الأبد، يصل دانييل مالفيك برفقة طبيب يعطيها حقنة ويأخذها معه.

لقد وضّبت لها إنغريد حقيبتها. وضعت فيها الثياب التي كانت سلمي تعتبرها الأفضل لارتدائها في بارأوي. وأرسلت معها زوادةً للطريق، حذاءً، وصورة لولديها وهما يحملان، عالياً فوق رأسها، أوسكار المفعم بالحيوية والبالغ من العمر خمس سنوات. تتساءل إنغريد عمّن التقط هذه الصورة. نعم، إنه القسّ صموئيل. ولا تريان سلمي بعدئذٍ إلا في حفل التأبين، بعد شهرين، في يوم الأحد الأخير من شهر أيار، حيث كانت تجلس ذاهلة وتحت تأثير الأدوية بين والديها المسنين، اللذين سيعيدانها معهما إلى لوفوتن بعد انتهاء مراسم التأبين.

تجلس إنغريد على المقعد في بارأوي وولداها عن جانبيها. تجلس هانّا منظويّةً على ذاتها في صمّتٍ مقدّس بين توءميهما. وتستلقي سوزانا بشكلٍ من الأشكال في حضن باربرو. وبيورنار يواسي هيغا، التي تفضّل ألا تعرف أنّ والدتها قد تغيّرت مرّةً وإلى الأبد. باربرو لا تنشد في جوقة الكنيسة اليوم، إنها تغني جلوساً على المقعد بصوتٍ عالٍ ونقيّ.

الغريب في الأمر أنّ ماريان فولهايم، من تروندهايم، تجلس على المقعد ذاته. تمسك ماريان بيد كايا. ويجلس ماتياس عن يمين إنغريد ويمسك بيد إنغريد الصغيرة. لقد مضى ثلاثة أسابيع على وجود ماريان في بارأوي، وهي تخطط للبقاء أربعة أسابيع أخرى، للتحديث بشكلٍ منطقي مع إنغريد، كما اتضح في الرسائل التي أرسلتها من تروندهايم عندما قرأت عن الفاجعة في الصحيفة، والتي لم تتلقَ ردّاً على أيّ منها.

عندما وصلت ماريان فولهايم إلى بارأوي ذات عصر يومٍ ممطر في مطلع شهر أيار، لم تستطع أن تميّز إنغريد للوهلة الأولى، وقد لاحظت إنغريد ذلك، لكنها لم تسمح له أن يؤثر عليها. كان بقية سكّان الجزيرة يقفون حولها متعبين، مبّللين ومتسخين بعد يومٍ عملٍ طويلٍ لتثبيت السياج حول المرعى في جيس أوي حيث يمكن أن ترعى الأغنام هناك، ريثما يبدأ دانييل بالذبح عندما يحين الوقت. وكان دانييل قد نبّه ماريان وهو يوصلها إلى الجزيرة إلى حقيقة أنها لن تتعرّف لا على بارأوي ولا على سكّانها.

جئتِ إذاً؟ تساءلت إنغريد التي لم تواجه مشكلةً في تمييز ماريان التي من الواضح أنها استثمرت الكثير من النقود والخيال لتحافظ على هيئتها. قالت إنها كتبت أربع مرّات، أربع رسائل، دون أن تحصل على ردّ. قالت إنغريد إنه كان لديها أشياء أخرى تفعلها غير كتابة الرسائل. بدا أنّ ماريان فكّرت في أن تنعتها بالحمقاء، لكن عندما وقع بصرها على كايا، ووجهها المحفور جيّداً في ذاكرتها، انكمص صوتها وخرّت على ركبتيها، وأجهشت في بكاء مرير لم يساهم في جعل اللقاء أفضل. نظرت كايا إلى أمها نظرة إخراج.

هزّت إنغريد كتفيها، وانحنت نحو طفلة تبلغ من العمر ثماني سنوات أو تسعاً، ساعدها دانييل بالنزول إلى الرصيف، صافحتها، وسألها عن اسمها.

ردّت إنغريد التحيّة بأحسن منها، وأحنت ركبتيها وقالت بلهجتها التروندلاغ: اسمي إنغريد، مثل اسمك، وأنا أعرف من تكونين، أمي تتحدّث عنك طوال الوقت.

ابتسمت إنغريد، وامتدحت جمال فستانها وسألها ما إذا كانت تشعر بالبرد.

نعم، قليلاً.

إنغريد الصغيرة شقراء الشعر، لها عينان زرقاوان كبيرتان، وشامة على خدّها الأيسر وذراعان نحيلتان، عاريتان، وبشرتهما مقشّرة من البرد. ثم التفتت إلى كايا، التي نأت بنفسها عن انهيار ماريان، وأخبرتها عن اسمها وعمرها، دون أدنى ارتباك أو خجل.

تفاجأت كايا باللهجة، لكنّها أجابت بسرعة، ونظرت إلى أمها من جديد نظرة استفسار.

استجمعت ماريان قواها، لكنّها بقيت مشدودة إلى متابعة ما يجري على الرصيف حيث أنزل دانييل برافعة السفينة ثماني بكرات من شريط السياج، دحرجها ماتيئاس على الرصيف، وثلاثة أكياس من بذار المروج، وكيسين فيهما ما يشبه البصل، ثم أنزل حقائبها أيضاً.

فهمت إنغريد أنّ عليها تقديم تفسير لكايا، فقالت بفضاضة إنّ هذه ماريان، لقد رأتك من قبل، وقد عرفتك عندما رأتك الآن.

سألتها كايا: متى رأته؟

كنت صغيرة جداً.

كم كان عمري؟

ربما عشرة أشهر، لا يمكنك أن تتذكرها.

عرفت ماريان ما الذي أخبرته إنغريد لكايا وما لم تخبره عنها. انحنى فوق الحقيبة الأصغر وفتحها، وبدأت الحقيبة الأخرى مثل حقيبة سفر عابرة للقارات، أخرجت ماريان سترة صوف يدوية الصنع ووضعتها حول كتفي ابنتها، وهي تسأل إنغريد، دون أن تنظر إليها، عن خططها لكل أسلاك السياج هذه، لا بدّ أنها ستصنع أسيجة لمرعى الأغنام، أليس كذلك؟

لم تردّ إنغريد، لكنّها عرفت أنّ الزائرة جاءت لتبقى لفترة طويلة وغير محدودة. فعلى الرغم من أنها لم تردّ على رسائل ماريان فولهايم، لكنّها قرأتها برويّة، وعرفت أنها هي موضوع هذه الزيارة، من أجل دفعها إلى الانتقال، إلى أن تدير ظهرها لبارأوي، وتذهب لتعيش حياة عادية، في

مكانٍ عاديٍّ، بين الناس العاديين، كما يقال. فبعد هذه الضربة المؤلمة لا أحد يستطيع العيش على جزيرة.

قالت إنغريد لماريان شكراً لقدومك، هنا نحتاج إلى كل مساعدة ممكنة، بما في ذلك مساعدة البطاطس التي في الحقل.

بدا أن ماريان تستسلم، مؤقتاً على الأقل، وقد تخلّت عن محاولتها معانقة إنغريد.

قالت إنغريد: هذا ماتياس، ابني.

ابتسمت ماريان لماتياس وقالت إنه ولدٌ وسيم. فابتسم ماتياس لها، وهو مذهولٌ أيضاً من لقاء الضيفة مع كايا.

قالت إنغريد إن ماريان تفاجأت حدّ الخوف من حجم كايا التي سرعان ما ستتمّ عامها الرابع عشر.

لقد كان تعليم الطفلين موضوعاً أساسياً أيضاً في رسائل ماريان، مدعماً بنتائج التقارير التي أرسلتها إنغريد خلال السنوات المنصرمة، حول مقدرات كايا وماتياس واهتماماتهما، فخرٌ ومبالغات مفعمة بالأمل في وقت كان هناك أملٌ وأكاذيب بيضاء، جميعها أقنعت ماريان أنه ينبغي إرسالهما لمتابعة دراستهما. ومثل قارئ أفكار سألها ماتياس ما إذا كانت معلّمة.

قالت: «نعم». فسألها ماتياس أين. فقالت في تروندهايم. فالتفت إلى كايا وأخبرها أين توجد تروندهايم. نظرت إليه كايا نظرة ملل وتضجّر، الأمر الذي يتجاهله ماتياس عادةً، وسأل ماريان ما إذا كان لديها سيارة.

نعم، لديّ سيارة.

أي نوع من السيارات؟

سيارة فورد.

طراز أيّ سنة؟

ضحكت ماريان، فهي لا تعرف أيّ طراز.

التفت ماتياس إلى كايا وراح يصف لها الفرق بين طرازين من السيارات، ثم التفت إلى ماريان من جديد وقال إنه من الغريب أن يكون لديها سيارة ولا تعرف طرازها.

زوجي هو من يقود السيارة. أنا أجلس بجانبه، أركبها فقط.

تساءل ماتياس أيّ نوع من الأجوبة هذا، لكنه تلقى نظرةً من كايا فهم منها أنه ينبغي أن يصمت. فاستجاب لها، وهو على يقين أن كايا ستشرح له ما جرى، عندما يكونان بمفردهما، وقد لاحظت إنغريد بقلبي تبادل النظرات هذا بينهما.

بعد الكارثة، وعلى امتداد فصل الربيع، بدأت كايا رعاية خاصة ومكثفة بوالدتها، بعد أن أخافها انهيار سلمى، والتغيّر الجذري الذي أصاب العمّة هانا، التي لم تكتفِ بدفن نفسها في الكتاب المقدس فقط، بل شاب شعرها فجأةً، وراحت تعمل مثل آلة لا تعرف الكلل منذ استيقاظها حتى تنام، وعندما تتأكد من أن لا أحد يراها، تنهار في بكاءٍ مرير. لكنّ إنغريد لم تحبّ أن تكون مُراقبة، خصوصاً من قبل ابنة، وطلبت من كايا أن تتركها بحالها، وقالت لها: «أنا قويّة». حاولت كايا أن تحتال عليها، أو تتدّمّر من الأمر، بتحدّ وشكوى، أرادت من إنغريد أن تقول شيئاً.

ما الذي يجب أن تقوله إنغريد؟

يُفضّل أن تقول شيئاً يُبطل هذه الفاجعة، شيئاً يؤكد أنها غير صحيحة.

بكت كايا، وعادت طفلةً صغيرة من جديد، وبدأت تجلس في حضن إنغريد في كل مكان وفي أيّ وقت، في الحقل، على طاولة الطعام، متجاهلةً اعتراض إنغريد ورفضها.

كان ماتياس قادراً على أن يسأل إنغريد صراحةً ما إذا كانت حزينة، عندما يلاحظ ذلك، واعتاد أن يتقبل كذبتها: «كلاً». وطرحت إنغريد السؤال نفسه عليه، عندما كانا جالسين بمفردهما ذات مساء على المنحدر بجانب موقد تدخين السمك، ففكر للحظة ثم قال إنهم لم يموتوا.

ارتعدت إنغريد، هل مسّه الجنون هو أيضاً؟ لكنّ ماتياس أضاف بهدوء: «إنني أتذكّرهم».

باغتته إنغريد بسؤال: «من تتذكّر أكثر؟»؛ فقال: أوسكار، لكنّه غير رأيه وقال: «أتذكّرهم جميعاً». ونظر إليها في الوقت نفسه ليرى ردّة فعلها.

اضطرتّ إنغريد أن تخفض بصرها بسرعة. فقد عرفت مسبقاً، عندما وقف القسّ صموئيل أمامها في ذلك اليوم من شهر شباط وأبلغها خبر الفاجعة، أنها منذ تلك اللحظة فصاعداً لديها قسّة واحدة تتمسّك بها طوال حياتها، وهي أن تخفي الذي حصل في أعماقها، تحجبه عن الجميع، وإلا فإنهم سينهارون أيضاً. وقد كان ماتياس، وليس كايا، هو الأصعب، ربما لأنّ إنغريد كانت تشكّ في أنه قد رأى ما تعانيه، وما يثير خوفها أكثر هو أنه كان يقدر ذلك كثيراً.

تنزل باربرو إلى الرصيف أيضاً، باربرو وايت، البيضاء كالثلج، التي اضطرتّ أن تمشي إلى أقصى نهاية الرصيف لترى أنه قد جاءهم ضيوف، وأن تنظر مباشرةً في وجه ماريان لتعرّف عليها، وقد عرفتها لحسن الحظّ.

تذكّر باربرو أنّ ماريان أحبّت سمك البولاك، فتقول إنهم قد بدؤوا يقلونه مع البصل، الذي سيزرعونه بأنفسهم هذه السنة، وهذه هي أكياس البذور هناك، إذا كانت ماريان قد سمعت عن البصل المقلّي مع سمك البولاك، الذي يخلق جوّاً استقباليّاً خاصّاً، فتشعر الضيفة بالإحراج وتطوّف بصرها في هذه الجزيرة التي تذكّرها جيّداً رغم أنها زارتها مرّة واحدة من قبل.

تمشي إنغريد إلى نهاية الرصيف وتشكر دانييل وتتفق معه على موعد التوصيل القادم. فمنذ أن تقاطر الغرباء على بارأوي في فصل الشتاء، ولجنة التحقيق التي فتّشت الحظائر، والأرصفة والبيوت، وكذلك وكلاء التأمين، والصحفيون والمصوِّرون، فرضت إنغريد حظراً على الزيارات غير المتفق عليها، خصوصاً على أولئك الذين يعتقدون أنهم قد شاهدوا شيئاً هناك في الشمال ويحبّون نشر الأمل، لأنهم لا يعلمون أنه ما دام هناك أمل، فهناك معاناة. وهذا حظرٌ يجري تطبيقه بيدٍ من حديد من قبل دانييل وقبطان سفينة النقل.

يكتب الناس رسائل.

لكنّهم لا يحصلون على ردّ. تحافظ إنغريد على تواصل مهذب ومنضبط مع شركة التأمين فقط، وقد كانت أوراق لارس وفليكس نظامية. ولم يُعثر على أيّ علامات خطأ أو إهمال بشريّ، لكن ما تزال المخيلة تكافح مع السؤال الأبديّ: كم من الوقت استغرق الأمر؟

تصرّفت ماريان فولهايم بحريّة كبيرة، لكنّ بلطفٍ وبشكلٍ غير مباشر، كي لا تخرج إنغريد، وقد فهمت إنغريد ذلك. فبعد يومين من وصولها إلى الجزيرة، جاء دانييل بحوضي استحمامٍ من البلاستيك الأخضر الفاتح، بناءً على أوامر الضيفة. كما ألقت بعض المحاضرات المحبطة عن نوعية المياه في الجزيرة. فسألته إنغريد ما إذا كانت تعتقد أنها تمطر قليلاً.

كلّا، لكن ينبغي أن يكون لديهم صهاريج ماء تحت سقف الرصيف الجديد.

أوه، حسناً، ربما كان ينبغي أن يفكروا في ذلك.

لكن ما فائدة المياه إذا كانوا لن يعيشوا هنا؟

لم تنسَ ماريان شيئاً، كانت حقيبتها، العابرة للمقارات، تحتوي على ملابس وأحذية تكفي اثنتين من سكّان المدينة للعيش في أكثر المناطق غير المتحضّرة لشهرين دون أن تحتاجا شيئاً، وكان معها أيضاً ثمانين زجاجات من عصير التفاح، وزجاجتا كونيّاك، وكُتّب لكايا وماتياس، ومجموعةٌ كبيرة من المناشف والمسّاحات وصابونٌ للجسم، وللشعر،

والأرضية، والنوافذ والأطباق، ومسحوق تبييضٍ للمرحاض، لم يكن هناك أيّ مجال للخطأ.

قرّرت إنغريد أن تأخذ برأي ماريان. وفي الأسبوع التالي جلب دانييل على متن سفينته بالّتين من الطوب، جبّالة إسمنت وعشرة أكياس من خلطة الخرسانة وأربعة وعشرين متراً من المزاريب وستة عشر متراً من مواسير الصرف، وقد اتفق مع ثلاثة عمّال بناء سيأتون في الأسبوع القادم.

سألت ماريان ما إذا كان هذا تصرفاً متطرفاً، وهذه كلمة اضطرت إلى شرحها أولاً، وما إذا لم تكن هذه الأشياء باهظة الثمن، تماشياً مع ما وصفته هي سابقاً، في مناسبتين، «إنفاق إنغريد الغريب».

لقد أطلعت إنغريد ماريان على نصف مواردها المالية، قيمة تأمين سالتهامر وثمن بيع العقار في هارتفيكا. لكنّها لم تخبرها أنّ الجزء الأكبر من نفود التأمين قد ذهبت لسداد الديون المترتبة على سالتهامر، وأنها اضطرت خلال فصل الشتاء أن «تستدين» من أموال ماتياس، لم تأتِ حتى على ذكرها، وأنها أعادت تلك الأموال لاحقاً. ولم تخبرها عن شرائها أسهماً في شركة الكهرباء لتضمن وصول الكهرباء إلى الجزيرة، فقد اعتبرته إنغريد مسألة شخصية للغاية، كفارتها الشخصية والأكثر غموضاً بعد أن رفضت إقراض لارس وفيليكس من أموال ماتياس، فكانت الطريقة الوحيدة للتكفير هي تطوير الجزيرة، أن تغمض عينيها وتنتظر أن يمضي يومٌ آخر.

كان الطقس رمادياً ومكفهرّاً، لكنّ إنغريد أصرت على الانتهاء من تثبيت السياج، العمل الذي اعتبرته الضيفة يبعث على الأسى. وقفت

ماريان بجزمتهما الجديدة والكبيرة في هذه الأرض الجرداء بين الركائز العارية، لكنّها لم تستطع إلا أن تصف الأمر على ما هو عليه.

كانت هانّا وإنغريد، وكايا وإنغريد الصغيرة -كما بدؤوا ينادونها- ومعهنّ سلّة يفترض أن يملأنها ببيوض النوارس. وماتياس، رجل بارأوي. لقد سألته إنغريد عندما أبحرت سالتها مرّ شمالاً وعلى متنها أوسكار، ألا يشعر بالحرّج من البقاء هنا مع النساء العجائز فقط. فأجابها ماتياس حينئذٍ «لا»، وقد بقي بسبب كايا، بالتأكيد. ورغم أنّ ماتياس لم يكن أفضل تلميذ في المدرسة، لكنّه لم يستخفّ بالمدرسة والتعلّم مثل أوسكار، ولم يكن من المفيد قول ما كان يضطرب في نفس ماتياس بارأوي.

سأل: لماذا ماريان موجودة هنا، الآن؟

نظرت إليه ماريان.

إذا كانت غير راغبة في العمل في السياج؟

تلوّت ماريان من الضحك.

وقف ماتياس ويده مجرّفة، بينما كانت ماريان تحمل مطرقةً كبيرة. وعندما وُضعت الركيّزة في الحفرة ولم تستجب ماريان في دورها، أخذ منها ماتياس المطرقة وطرق الركيّزة التي وضعتها كايا عمودياً في الحفرة، وهي عبارة عن جذع شجرة صغير. وفي أعقابهم كانت تمشي هانّا وإنغريد تحملان لفافة أسلاك سياج على عمود خشبي، وضعتها على الأرض بينهما. أعاد ماتياس المطرقة لماريان، وأمّسك المجرّفة وطلب منها أن تتقدّم ثلاثة أمتار وتحافظ على استقامة الخط. فعلت ماريان ما طلبه منها. حفر ماتياس حفرة جديدة، أخذ المطرقة وثبّت ركيّزةً جديدة في الأرض، ثم أعطاه المطرقة مرّة أخرى وطلب منها أن تتقدّم ثلاثة أمتارٍ أخرى.

لكنّه لم ينجح هذه المرّة لأنّ ماريان كانت سيّدة مزرعة ولم تقبل أن يأمرها صبيّ صغير.

سمعت إنغريد تعليق ماريان، فصاحت إنه في فولهايم فضّلت النساء العمل في المطبخ.

رمت ماريان المطرقة الكبيرة من يدها وعادت إلى الورا في الخط، وطلبت من إنغريد أن تعطيها المطرقة الصغيرة وحقبة مسامير التثبيت. تحلّقوا حول الضيفة وتفرّجوا عليها وهي تدقّ ثلاثة مسامير تثبيت في ركيزة. صفّقت كايا لها، لكنّ ماريان لم تقل شيئاً، ولم تُرجع الحقبة والمطرقة، وظلّت تلاحق بنظرها إنغريد الصغيرة التي تركض تحت أسراب النوارس، وقد تلقت تعليمات صارمة بعدم لمس الأعشاش التي فيها بيضة واحدة فقط. الآن، وبعد أن عادت ماريان إلى رشدّها، كان بوسع كايا أن ترافقها وتهشّ بركيزة سياج طيور النورس المزعجة عن جامعة البيض، إنغريد الصغيرة.

بعد يومين أعادت إنغريد سؤال ماتياس: «ما الذي جاءت ماريان تفعله في الجزيرة؟».

كانتا جالستين إلى الطاولة في غرفة الجلوس وبينهما زجاجة كونيّاك وكأسان، ومن النافذة أخذت الشمس المنخفضة تميل نحو الغرب. وكان بقيّة من المنزل نائمين.

قالت ماريان إنّ هناك أشياء معيّنة لا ينساها الإنسان، بصرف النظر عمّا يفعله.

فهمت إنغريد أنّ ماريان لم تستطع أن تنساها. وأضافت ماريان من

تلقاء نفسها إنها لم تستطع أن تنسى طفليها اللذين فقدتهما أثناء الحرب، ولا ألكسندر.

نظرت إليها إنغريد وسألتها: ماذا عن أولاف؟

قالت ماريان إن أولاف رجل رائع.

لكن؟ قالت إنغريد.

تفهمين قصدي، قالت ماريان.

كرعت إنغريد كأسها دفعةً واحدة، ثم كشرت وقالت إنها كانت قادرة على الفهم قبل الكارثة، أما الآن فلم تعد تفهم أي شيء.

أخبرتها ماريان أنها تعرّفت إلى باحث في جامعة تروندهايم، كان يكتب أطروحةً عن أسرى الحرب السوفييت، الذين عادوا إلى الاتحاد السوفيتي، في ما عُرف باسم العودة إلى الوطن، ولم يعثر على أثر لألكسندر نيشنيكوف، لقد اختفى دونما أثر.

قالت إنغريد إنها عرفت ذلك.

سألتها ماريان كيف استطاعت أن تعرف.

لقد عرفت إنغريد ذلك، فحسب.

سألتها ماريان منذ متى عرفت ذلك. فكّرت إنغريد قليلاً ثم قالت إن ذلك بدأ في الصيف الماضي، عندما أصرت كايا أن تعرف من هو والدها.

في البداية، كانت إنغريد تنتزع من ذاكرتها، على مضض، أكثر وأصغر الذكريات غير الشخصية، وغير المؤذية، كلما ألحّت كايا بالسؤال. أسير حرب روسي، نعم. لقد تأذى في تفجير سفينة ريغل، أجل، كانت الإصابة

الأسوأ في إحدى يديه، لكنّه تعافى، وكان بقاؤه على الجزيرة يشكّل تهديداً لحياته وحياة إنغريد، عقوبة الإعدام، لذلك حاول العودة إلى وطنه، نعم، منذ ذلك الوقت لم تسمع شيئاً منه، كلاً، ليس لديها صورة له.

كيف كان شكله؟

هنا بدأت إنغريد تواجه متاعب. لاحظت كايا ذلك، فلم تكرر السؤال، لكنّها تساءلت ما إذا حاولت إنغريد العثور عليه من جديد، بعد الحرب؟ متاعب جديدة.

لم تستسلم كايا، ألحّت وسمعت من إنغريد كيف أخذتها معها في رحلة إلى جنوب البلاد، عندما كان عمرها سنة تقريباً، وبحثنا عنه في معسكر الاعتقال الأخير، لكنّهما لم تجداه.

لكنّ الحكاية كانت قاسية جداً، كما سمعتها بنفسها، ومنذ ذلك الحين لم تستطع كايا أن تتوقّف عن طرح الأسئلة.

نعم، سيراً على الأقدام، بالباص، بالقطار، بالقارب، مدينة تروندهايم، ومزرعة في وسط البلاد، كما ذهبنا إلى السويد، على الحدود، تحت المطر، بين الأشجار، تحت الشمس، بين أسراب البعوض، في السكون.

تعلمت إنغريد إعداد نفسها، وكيف تبتعد عن علامات الخطر، لا، ليس من هذه الطريق، من هذه، ونجحت تدريجياً بتهدئة كايا بسردية مقنعة، تبدو قابلة للتصديق بالنسبة لكايا فقط، كما تراها هي، أي بالطريقة التي اعتقدت إنغريد أنّ كايا تستطيع احتمالها، وربما ما اعتقدت أنّ ابنتها ترغب في سماعه، بحيث عندما أصبحت الأسئلة متناقضة تدريجياً، وفي المرات النادرة التي كرّرت فيها كايا الأسئلة، كانت إنغريد قادرة أن تجيبها ببساطة بأنها لا تتذكّر، أو أن تقول ربما، عندما كانت تشعر بضرورة إضافة تفصيل

صغير هنا وهناك، حتى تتمكن كايا من ملء فراغات الصورة الأساسية التي رسختها في ذاكرتها.

تغيّرت الأدوار بعد غرق السفينة. وبعد أن أخذ الطبيب سلمى معه، لم تستطع كايا أن تفصل مشاعر حزنها على معاناة سلمى عن ارتياحها للتخلص من صراخها، فأخذتها إنغريد جانباً، وقالت لها إنها تريد أن تُريها شيئاً.

نظرت إليها كايا برية.

قالت إنغريد إنها لم تخبرها الحقيقة كاملة عندما سألتها عن أبيها، وأن لديها صوراً له، إذا كانت كايا راغبة في رؤيتها.

«لا»، قالت كايا، ثم خرجت.

رأتها إنغريد، من خلال النافذة، تجلس على دكة بيضاء فوق المنحدر الجنوبي لقبو البطاطس. وكان ماتياس واقفاً أمامها وفي يديه شيء ما، شوبك لرقّ العجين، يرميه في الهواء ثم يمسك به من جديد كأنه كرة، وهما يتحدّثان. ثم نهضت كايا ودخلت إلى المنزل من جديد، جلست في حضن إنغريد وقالت لها إنها تفكّر فقط بسالتها وسلمى، لكنها ليست مهتمة بصور أبيها.

أومأت إنغريد برأسها.

هل هذا ما قاله لها ماتياس؟

هزت كايا رأسها، ضمت أمها إلى صدرها ثم خرجت ثانية.

لكن عندما عادا من المدرسة بعد أسبوعين، طلبت كايا أن ترى صور والدها، وجلست تحدّق فيها بعينين واسعتين، ألكسندر في غرفة جلوس

غريبة، وسط الثلوج في مزرعة في الشمال، صورّ التّقطت من قِبل شخصٍ
أنقذ حياته، إن لم يكن العكس. قالت كايا إنّ كان وسيماً.

نعم، كان وسيماً، أكّدت إنغريد. ولم تطرح كايا أيّ أسئلةٍ أخرى.
لكنّ، بعد أسبوعين آخرين في هافستين، طلبت كايا الإذن بتعليق
إحدى الصور على الحائط في غرفتها.

وافقت إنغريد. راحت كايا تتفحص الصور من جديد، لكنّها لم تستطع
أن تختار صورة، فأعادتها إلى إنغريد وقالت إنّ الصورة يمكن أن تنتظر.
فقد كانت مجرد مسألة انتظار، إذاً.

استغرقت كايا الأسبوعين التاليين لتصيغ سؤالها التالي: هل هناك
المزيد من الأسرار؟

ما الذي تودّين معرفته؟

هزّت كايا كتفها.

قالت إنغريد إنّها يمكن أن تُريها رسالةً من والدها.

رسالة؟

أجل.

«نعم، ربما»، قالت كايا. انتظرت إنغريد. قالت كايا من جديد: «ربما».
فأخذتها إنغريد وصعدت إلى الصالة الشمالية، وأحضرت الرسالة التي
أعطائها لها ألكسندر عشية مغادرته الجزيرة. عرفت كايا الأحرف الكيريلية
التي تشبه ما قرأته في كتاب الأطفال الذي أرسلته سفيتلانا، ابتسمت
وقالت إنّ هذه تبدو مثل قصيدة.

نعم، إنها قصيدة.

ماذا تقول القصيدة؟

إنها لي.

ابتسمت كايا متشككة. لماذا تريها أمها الرسالة إذا كانت لها؟

سألها إنغريد ما إذا كانت لا تعتقد أنها جميلة؟

تقصدين الكتابة؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

نعم.

أجل، تبدو جميلة.

مضى أسبوعٌ آخر. ودخل شهر نيسان. جاء اثنان من أعضاء مجلس التحقيق في الحوادث البحرية وأمضيا نهاراً كاملاً في بارأوي. وكانت إنغريد تقودهما في الجزيرة مثل غنمتين، كما قالت هي نفسها، وأرتهما كل الأدوات والعدة التي كانت تُستعمل على متن سالتهمار والتي وُضعت على الرصيف وفي سقيفة القارب، وشاهدتهما يدوّنان ملاحظات في جداول خاصة حاولا ألا تراها، حتى إنهما كانا يتهامسان كلما اقتربت منهما. سألتهما ما إذا كانا يؤدّيان عملاً سرّياً.

نظرا إليها بدهشة. سألتهما ما إذا عملا في البحر من قبل. أجاب أحدهما «نعم»، بينما لم يقل الآخر شيئاً. عندما انتها من تدوين ملاحظتهما، جاء دانييل في الوقت المتفق عليه وأعادهما من حيث جاءا.

وقفت الأم وابنتها على الرصيف في وداعهما. وبينما كانت إنغريد تلاحق بنظرها الرغبة التي تركها السفينة وراءها، أخبرت كايا بما هو مكتوب في الرسالة. لم يكلفها الأمر شيئاً.

الآن، أنت تعرفين كل شيء، قالت إنغريد.

أعرف، قالت كايا.

سألتها إنغريد ما إذا كانت قد أخبرت ماتياس بكل شيء.
بالتأكيد.

حدّثت في ابنتها. فسألتها كايا: ما الحكاية؟

استمرّت إنغريد في التحديق إليها. شعرت كايا بقليل من الإحراج واضطّرت إلى النظر بعيداً. تركتها إنغريد وصعدت إلى المنزل. ركضت كايا وراءها ثم نظّت وتعلّقت بظهرها بحيث استطاعت إنغريد أن تحملها إلى داخل المنزل مثل طفلة صغيرة.

المعلومة الوحيدة التي لم تُقلها لكايا هي أنّ لديها أخاً نصف شقيق في روسيا. وأنّ هذا الأخ غير الشقيق ربما كان السبب في نشأتها من دون أب. لقد كان لدى كايا ما يكفي من الآباء.

الآن، أخبرت إنغريد ماريان بذلك. أخبرتها ما اعتقدت أنها كانت بحاجة إلى سماعه، كما اعتقدت أنّ كايا كانت بحاجة إلى سماعه. هزّت ماريان رأسها وقالت إنها شخصياً كانت ستقول ذلك لو أنّ لديها ابنة تحتاج إلى سماعه.
شربت.

وهل ما تزال إنغريد تحتفظ بالصور؟

حدّثت إنغريد فيها. لقد رأت ماريان الصور من قبل، ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لها.

هل تتحمّلين رؤيتها؟

بدأ أنّ وجه ماريان يقول نعم ولا. بقيت إنغريد جالسة. وقالت ماريان إنها تحسدها بشكلٍ غريب.

نعم، بشكلٍ غريب للغاية، قالت إنغريد.

كانت ماريان قد صفّفت شعرها. بينما بدأت إنغريد في صفّر شعرها من جديد، ضفيرةً كبيرةً مثل ذيل الفرس، تتدلى وسط ظهرها وتصفعها بين لوحَي الكتفين عندما تمشي بسرعة، أو ضفيرتين تجعلانها تبدو كامرأة هندية، حسب اعتقاد كايا. كما جرى تنفيذ نظام الغسيل الخاص بالضيفتين، لكن بخطواتٍ صغيرة لم يلاحظها أحد.

ثم جاءت سوزانا مع بيورنار وهيغا الصغيرة، وكانت عديمة النفع في البداية، وحطمت كرسيين، ورمت الطعام على الحائط، وكأن لها الحق في ذلك بعد أن فقدت أخاً وابناً، بخلاف إنغريد التي لم تفقد روحاً.

كبحت إنغريد غضبها. أطلق عليها بيورنار، الزوج الضعيف، لقب القاسية الحقود، ولم تكن تلك أول مرة تحطم فيها سوزانا قطع أثاث. وبدأ بيورنار يتساءل من تكون هذه المرأة التي تزوجها، إنه في حيرة من أمره. حتى ابنتها، هيغا، اكتشفت فجأة ذات يوم من أيام شهر شباط أمّاً جديدة لتتعامل معها. نظرت إنغريد إلى بيورنار بازدراء، وقد فهم نظرتها، لم يقل شيئاً يدافع به عن نفسه. لكن كان لديه كحول.

وضعت إنغريد الزوجين في سقيفة القارب السويدية وأخذت هيغا معها إلى الصالة الشمالية، حيث نام هناك قبلها العديد من الأشخاص المشوشين. ثم تنفّس الجميع الصعداء عندما أخرجت سوزانا فجأة ذات صباح بعض الملابس البالية من الصندوق في الغرفة وارتدتها وذهبت مع إنغريد إلى الحظيرة، أسندت رأسها إلى بطن البقرة وحلبتها، وجرفت

الروث، وحملت العشب الجاف من العام الماضي وهي تجفف دموعها التي انهمرت في الشتاء.

وتعلّمت هيغا أيضاً كيف تحلب البقرات.

حفظت إنغريد الصغيرة معالم الجزيرة كلّها عن ظهر قلب، وكانت تصطحب هيغا معها من منزلٍ إلى منزل، ومن الشاطئ إلى التلّة، وتشرح لها كلّ شيء. وزرعت هيغا البطاطس أيضاً: هناك، وهناك، وهناك. حيث أشارت لها أمّها، لم تستطع سوزانا أن تفهم ماذا سيفعلون بكلّ هذه البطاطس، فهنا لا يوجد رجال، لا يوجد إلا النساء العجائز وقوى الطبيعة الشريرة، إنه الجحيم بعينه، فما الذي تفكّر فيه إنغريد؟

لم تمرّ سورات غضب سوزانا مرور الكرام عند ماريان، التي طوّرت شعوراً خاصّاً تجاه سوزانا. فقد ساعدتها على تحسين مزاجها أحياناً، عندما كانت إنغريد تطلب من سوزانا أن تكفّ عن الصراخ وتفكّر باتّزان أكثر، دون أن تبالي سوزانا بها.

اصطادوا سمك القد والبولاك، باستخدام خيوط العجّر. ماتياس وكايا مع البنتين الصغيرتين بين الشُعَب المرجانيّة القريبة. إنغريد، ماريان وسوزانا بالقارب الرباعيّ على الجانب الخارجيّ من جيس أوي. ولم تكن ماريان قادرةً على فلق الأسماك أو تنظيفها، الأمر الذي أثار دهشة سوزانا وفرحتها.

صاحت وهي تلوّح بالسكين نحو سرب من النوارس: أستطيع كلّ شيء، كلّ شيء!

أوه، حقّاً! قالت ماريان.

نعم، وليس هناك أي شيء لا أستطيعه، حتى لو عجزت أنت عن تعلّمه. لاحظت إنغريد أنّ سوزانا قد سرقت إحدى زجاجات الكحول من بيورنار، وقالت: إنّ المشي هو الشيء الوحيد الذي لم تتعلّمه سوزانا، وأول شيء تعلّمته كان الجري، ومنذ ذلك الحين وهي تركض، تهرب، مثل أمّها.

«عجوز شمطاء»، صرخت سوزانا في وجه إنغريد، ثم صمتت وقالت: أتذكرينها؟

«نعم، كانت تلك شتيمة فيليكس في طفولته، أم كانت شتيمة لارس»، وكان سؤالاً لتجيب عليه. لكنّ سوزانا اكتفت بالصراخ، ثم أخرجت زجاجة الكحول، كرعت منها بشراهة ورمتها في البحر.

سقطت الزجاجاة في الماء واقفة ورقبتها تتمايل فوق الماء وفمها مفتوح. انحنت سوزانا فوق حافة القارب وحاولت الوصول إليها، لكنّها نجحت فقط في طرطشة وجهها بالماء، وبدأت تصرخ على إنغريد كي تجدّف نحو الزجاجاة قبل أن تغرق. ضحكت إنغريد وجدّفت. كانت ماريان الأقرب إلى الزجاجاة، أخرجتها من الماء، كرعت منها، ثم أزاحت سوزانا جانباً وناولتها إلى إنغريد، التي شربت أيضاً، ثم كسّرت، ورمت الزجاجاة الفارغة في البحر. هذه المرّة، غرقت الزجاجاة فوراً.

أمسكت سوزانا بمغرفة وأرادت أن تضربها بها. كانت المغرفة مصنوعة من الخشب وثقيلة جداً، ومن صنّعها نقش الحرفين الأولين من اسمه على المقبض. حدّقت سوزانا إليها بذهول، استندت إلى حافة القارب ثانية، ووضعت المغرفة من يدها بعناية كما لو أنها جوهرة لا يمكن تعويضها، وقالت: تَبّاً لك!

ثم جاءت التوءمان، بعد امتحانٍ ناجح في المدرسة الثانوية ومع ثناء كبير من قبل جميع المعلمين، ومن جديهما على تحمّلهما المعاناة والحفاظ على التركيز. لقد فقدت صوفيا وأنا والدهما وشقيقهما، ووصلتا إلى بارأوي بضميرٍ مُثَقَّلٍ بالشعور بالذنب لأنهما تركتا والدتهما بمفردهما. رغم أن والدتهما، هانا، أرسلت إلى أمّهما تستحلفها بالله أن تُبقي البنيتين في المدرسة، حتى لو اضطرّرت إلى ربطهما هناك. وبما أن الفتاتين لم تعرفا بذلك، نزلتا الشاطئ في بارأوي باكيّتين وبضميرٍ مثقل بالذنب، سيّدتان صغيرتان صفّتا شعرهما وتجمّلتا بالماكياج، ترتديان ثياباً متطابقة: فستانين وسترتين صوفيتين، لكن مع جوارب مختلفة اللون. صوفيا تلبس حذاءً قماشياً أبيض قصير الرقبة، وأنا تلبس جزمة دانييل، بعد حادث صغير هناك في المتجر، كما قالت، وهي ترفع يديها حذاءً قماشياً أبيض اللون ملوّناً بدم الأسماك.

استقبلتهما إنغريد وماريان وهانا بالترحاب. ليبارككما الله، يا بناتي! في الطريق من الرصيف إلى البيت التي مشّينها ببطءٍ شديد، قيلت بعض الجمل غير المترابطة، لأنه كان لا بدّ من قول شيءٍ ما. عندما وصلن البيت أصرّت التوءمان فجأةً على النوم، وطلبنا أن تناما عند إنغريد في الصالة الشمالية، وليس في بيت الطفولة الرهيب في كارفيكا.

لم تكن هناك مشكلةٌ، فقد وجدت هانا نفسها هناك في الصالة الشمالية ذاتها أيضاً، حيث ستنام الطالبتان، اللتان كدّستا الكثير من الملابس والأحذية عديمة النفع على رفوفٍ منفصلة، كما لو كانتا تخطّطان للاستقرار هنا، وربما كان ذلك خيارهما في تلك اللحظة. وكان مع أنا ظرفٌ أسمر كبير، ناولته لإنغريد وطلبت منها عدم فتحه أبداً.

فهمت إنغريد أنّ هذا هو الظرف الذي وضعت فيه أنا الصور التي قد رسمتها لكل فرد من أهل الجزيرة. قالت إنغريد إنها مستعدة أن تُقسم على ذلك، لكن من الجيد أن تعرف أن الصور موجودة هنا، في درج في العلية الشمالية.

في المطبخ، في الأسفل، لم تعرف الفتاتان ماذا عليهن قوله بعد أن قيل كل شيء تقريباً، ولا ماذا يفعلن، وكانت أمهما صامتة.

طلبت منهما إنغريد أن تخرجا وتسيراً عبر الحدائق باتجاه الجنوب، هناك ستقابلان فتاتين صغيرتين. تسألانهما عن اسميهما. إذا قالت الفتاتان إنّ اسميهما هيغا وإنغريد، فيجب على أنا وصوفيا أن تدّعي أنهما ضيفتان غريبتان، وتطلبا منهما أن تكونا دليلهما في الجزيرة.

هل هذا اختراع غريب؟

نعم.

نظرنا إلى والدتهما، وأدركتا أنها كانت على حافة الانهيار وأنهما يجب أن تتبعا تعليمات إنغريد، لأنّ هذا هو الحال هنا.

حالما خرجت الفتاتان، طلبت ماريان من هانّا وإنغريد أن تذهبا إلى النوم. ستطهو هي الطعام. أين هي باربرو؟ إنها نائمة في الكرسي الهزاز. دعوها نائمة إذاً!

لقد أخفق القسّ صموئيل إخفاقاً ذريعاً في رحلته إلى بارأوي، ليس لأنه أراد أن يكون واثقاً من أمره، كما أكّد لنفسه وللآخرين، من أنّ خبر الكارثة قد أصبح حقيقة، قبل أن ينقل هذه الرسالة التي لا ترحم. بل أيضاً لأنّ أهل الجزيرة كانوا عالقين هناك دون راديو، حتى نجحت زوجته، وتلك المرأة الروسية الضخمة، في إجباره على أن يتماسك ويقوم بالرحلة.

والآن، عليه أن يلقي كلمة تأبين، لم يكن وحده بالتأكيد، بل هو والعمدة ساندفار، ونائب في البرلمان، ووزير الصيد. وكان لا بدّ من قول شيء ما، ربما طلب المغفرة، عن تأخّره غير المفهوم في نقل الخبر، الذي من المفترض أن يُعزى إلى ضعفٍ في شخصيته.

لقد تخلّى القسّ صموئيل عن فكرة أن يوارى الثرى قبراً فارغاً، يُذكّر بالرجال الستّة الذين فُقدوا في نقطةٍ محدّدة على الأرض، لا ينتمون إليها، حسب تصوّره. لقد قرّر أن يقيم لهم نصباً تذكاريّاً، جميلاً في هذا الجزء من المقبرة الذي كان مخصّصاً منذ أربعمئة عامٍ لعظماء رجال الأرخيبيل (وامرأتين)، من بينهم العديد من سلالة ستورم، والذي يبدو الآن كتلةً من العشب المهملة مع صلبانها الحديدية الملتوية الصدئة وأحجارها المائلة

التي تحتاج إلى خير لغويات ليفك رموز ما كُتب عليها. نعم، لقد فكّر صموئيل بوضع نصبٍ تذكاريّ هنا بالضبط لرجال سالتهم المفقودين، وهو مستعدّ للدفاع عنها، رغم أنّ القليل من تاريخ بارأوي يمكن التعامل معه في إطار التقاليد، وللتقاليد أهميّةٌ بالغة عند صموئيل.

لكن ماذا بوسعه أن يفعل؟

ناقش السؤال مع أنا كارينا، التي استغرقت ما يزيد عن شهر حتى غفرت له، بينما كان الأمر مع المرأة الروسية أصعب. لكنّه لم يكن قد توسّع في نصّ التابين عندما خطر له أنه ربما حان الوقت لعدم المبالغة في ذكر الله، لأنه ربما يبدو الله ذاته عاجزاً وعديم النفع هنا، أجل، وفي المكان الخطأ، في مثل هذه الحالة.

وسؤال هاتنا: كم استغرق الأمر؟

وهذا ببساطة سؤالٌ كبير، ضخّم جداً، وكذلك كانت مُلكية بارأوي. حتى تعاليم مدرستَي بادربورن حول إجراءات الجنازات لم تساعد كثيراً. فالأمر لا يتعلّق بالجنازة، بل بحفل تابينٍ للشكالي المحزونين، المؤمنين منهم وغير المؤمنين، وجمهور المتفرّجين، فما المانع من القول صراحةً إنّّه لم يتقن مهنته أبداً، كما أنه لن يُنهي أبداً كتاباً يعمل على تأليفه، والآن بدأ يتضح له ذلك، كتابٌ عن أناس يعملون ويعيشون معاً في السراء والضراء على امتداد هذا الساحل. وقد بدأت تنحلّ العقدة الآن:

كانت جملة الأولى في نصّ التابين: «أقف هنا عاجزاً».

باغته وزير الصيد وبدأ كلمته أولاً، وهو ذو صوت جهوري من مدينة فينمارك، وينتمي إلى الحزب الغلط بحسب رأي صموئيل، وقد خبّر

مصاعب الحياة جيّداً. وقف على مسافة من المنبر وقال وعيناه طافحتان بالدموع: أعتز أن الحياة تكون جحيماً أحياناً، وأحياناً أخرى تكون كما هي الآن، ثم أضاف إنها ستستمرّ على هذه الحال، و«أنا واثق ممّا أقول». كما ذكر الحضور بأنّ سالتهامر لم تكن مجرد سفينة صيد حيتان أو سفينة صيدٍ عادية، فقد نقلت المهاجرين من مدينة فينمارك، عندما حُرقت إبان الحرب، لقد كانت سالتهامر رمزاً للإنسانية لا يمكن الاستغناء عنه... في معظم الأحيان.

لم يبخل العمدة ساندفار أيضاً في ذكر فضائل بارأوي، كما كان يتذكّرها والداه، بعبارات تعاطفٍ رصينة، وأنها كانت ضرورةً للحياة في البحر، وذكر أسماء من ابتلعهم البحر وأسماء أسلافهم بصوتٍ حمل أيضاً نقداً سياسياً باتجاه الوزير الفينماركي، بمعنى أنه قد حان الوقت كي تعيّن الحكومة لجنةً للنظر في سلامة السكّان على طول الساحل، إنهم في حالة يُرثى لها، وإنّ سالتهامر ليست الكارثة الأولى.

النائب في البرلمان -وهو أيضاً ينتمي إلى الحزب الغلط- ذهب أبعد من سابقه، وأعلن في البداية أنّ المعارضة سوف تطالب بإعادة إحياء لجنة غابريلسين، وهذه لم يسمع بها أحدٌ من الحضور هنا، بعد أن وضعتها الحكومة الحاليّة في الدّرج بذريعة نقص التمويل. الآن ينبغي إخراجها إلى النور من جديد من خلال البرلمان، وإيجاد التمويل اللازم لها.

عندئذٍ فقط صعد القسّ، الذي تخلّى عنه الله في هذه اللحظة، إلى منصّته. وتجنّب القسّ اليوم الوقوف على منبره، ووقف أمام جرن المعمودية، من حيث تحدّث الوزير الفينماركي. طوّف بصره في الكنيسة المكتظة بالناس، حشد من المحليّين والغرباء، يلبسون الثياب السوداء،

احتشدوا في كل زاوية من زوايا الكنيسة، مصوّرون وصحفيّون، وقال بكلّ بساطة إنّهُ لم يكن مؤهّلاً لهذه المهمّة، واعتذر عن ذلك بشدّة.

واعترف أنّه قد نظر في أوراق والده ووجد الكثير من الأشياء الغريبة، لا بدّ أنّ العديد منكم يتذكّر والدي، الذي كان رجلاً عاطفياً وخطيباً بليغاً، وربما لم يكن دقيقاً أحياناً، لكنّه في إحدى مواعظه، أعتقد أنّها كانت بعد الحرب، طرح سؤالاً بليغاً جداً: هل الإنسان عظيمٌ أم ضيع؟ وخلص إلى إجابة مفادها أنّه عظيم. لقد قال ذلك بعد الحرب مباشرة، أو في آخر سنة من سنوات الحرب، التاريخ الدقيق غير مهمّ، لكنّ ما يهمّ هو أنّني حتّى صباح اليوم، نعم، بل حتّى منذ قليل، بينما كنت أستمع إلى من سبقني من الخطباء، كنت قد حسمت أمري في معارضة والدي في رأيه هذا، وأردت أن أقول إنّنا تعلّمنا في الأزمنة الحديثة هذه أن نعترف بمحدوديتنا، بأننا مع مرور السنين قد أصبحنا أصغر، وأكثر هشاشة. لكن عندما وقفت هنا ورأيت هذا المحفل من الناس المعروفين منهم والغرباء، الكثير من الزوّار، هذا العدد الهائل، وهذا أمرٌ رائع بالطبع، فهمت أنّ والدي كان على حقّ، وأنّ الإنسان عظيم.

نعم.

لقد قال أكثر من ذلك، قال أشياء لا هو ولا الحاضرون يستطيعون تذكّرها، بينما كان يعمل جاهداً على إبقاء بصره بعيداً عن مقاعد عائلة بارأوي، نعم، وعن زوجته أيضاً، وعن المرأة الروسية سفيتلانا. وكانت كلّ هذه المخاوف حول أدائه لا تُشثّه فحسب، بل تنخر ببطء وثبات في شيءٍ جوهريٍّ في أعماقه، وأثارت شعوراً كامناً من الشفقة بلغ حدّ الانفجار. انهار صموئيل المابيرغيت. وفشلت مهمّته كقسّ. وبما أنّه لم

يشعر بأدنى حسّ بالشفقة على ذاته عندما أدرك هذا الأمر الفظيع، قام بأداء
أصدق لحظات حياته المهنية. لقد كان اليأس نقيّاً. تخيل صموئيل الوجوه
الستّة التي ابتلعها البحر الهائج ونسي نفسه والجالسين الذين ينظرون إليه
عاجزين عن الكلام. لم يكن حتى إنساناً ضعيفاً مثيراً للشفقة، بل صادقاً
تماماً لأنه لم يدرك ضعفه بنفسه، بينما أدركه الآخرون.

بعد نهاية الصراع الداخلي احتاج إلى مساعدة آنا كارينا لينزل الممرّ
في الكنيسة، وفهم من خلال زحف ضباب أنانيّته المُشوَّش والمُعتاد أنه قد
استهان بهذه المهمّة خلال فصل الربيع كلّ، رغم أنه أدرك جيّداً أنّ الأمر
غايةً في الصعوبة، لكنّه ترك ثقته بنفسه تقوده، طيلة الفترة المنصرمة، لقد
وقع ضحيّة غطرسته.

ثم تفاجأ بالمثل عندما وقف خارج الكنيسة في طقس أيار الجميل،
وآنا كارينا بجانبه أيضاً، عندما جاءت إنغريد بارأوي على رأس الأقارب،
بعينها اللتين جفّت دموعهما، وصافحته مطوّلاً وشكرته من أعماقها،
بشفتيها المرتعشتين. ثم هانّا التي أكّدت أنّ خطبته كانت رائعة، الشكر لله.
لم يقل ماتياس وكايا الكثير، لكنّه لم يشكّ في أنّ شكرهما كان صادقاً ولم
يكن مجاملةً. حتى سائق الشاحنة الضخم القادم من العاصمة بدا متأثراً،
وكانت زوجته سوزانا على حافة الانهيار، وليس هناك شكّ في صدقهما
أيضاً. والتوءمان الجميلتان. كان القسّ على وشك الإغماء مرّةً أخرى
عندما شعر بعودة الله إليه، بعد هذه المحنة الهائلة التي وقع فيها.

الشخص الوحيد الذي بدا أنه لم يلاحظ هذه المعجزة هو سلمى
بارأوي، الانطوائية التي تعاني من تأثير الأدوية الثقيل، وتتشبّث بوالديها
العجوزين اللذين يجاهدان للوقوف بثبات. وقفت أمام القسّ صموئيل
ولم تميّزه، وسألته: من أنت؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

طيور اللقلق ليست مثل الطيور الأخرى كالنسور والنوارس وطيور العيدر. اللقالب هي علامات في السماء تجعلك تتوقف وتراقب. وعندما كانت إنغريد عائدة إلى المنزل من انهيارٍ جديد بعيد عن الأنظار في جنوب الجزيرة شاهدت لقلقين، ثم لحق بهما ثالثٌ، ثلاثة لقالق مثل ندف ثلج ضخمة حطّت على الشعب المرجانية، فاضطّرت إلى الجلوس للفرجة عليها.

فكرة المحادثة الأخيرة مع لارس وفيليكس لا تفارقها، وكذلك «لا» التي قالتها لهما.

لم يبقَ منها إلا القليل من «لا».

لمحتها كايا عبر النافذة، ثم انتبه ماتياس أنّ كايا قد رأت شيئاً غير مألوف عبر النافذة، فترك من يديه أدوات المائدة التي كان يأكل بها، ثم نهض ومشى حول الطاولة ووقف وراء كايا، ونظرا معاً إلى ظهر إنغريد الجالسة هناك في المرج، حيث لم يجلس أحداً غيرها من قبل.

ولاحظت ماريان أيضاً أنّ هناك أمراً ما، فنهضت ووقفت وراء كايا وماتياس. ثم جاءت سوزانا، ووقفوا جميعاً يحدّقون في الاتجاه ذاته.

هل وقعت إنغريد؟

كلّا، إنها تجلس هناك فحسب.

قالت ماريان إنّ هناك أمراً غير عاديّ، يجب أن نساعدّها.

انتظري! قال ماتياس.

انضمّت إليهم باربرو أيضاً، وبيورنار والتوءمان، وقالت ماريان ثانية إنّ هناك أمراً غير عاديّ، لقد شعرت به، وهي تميّزه الآن، إنها متأكّدة. وكرّر ماتياس أيضاً إنّهم ينبغي أن ينتظروا.

استيقظ سكّان بارأوي، ثم نهضوا، وجلسوا إلى طاولة الطعام، لكنهم لاحظوا شيئاً عبر النافذة، فوقفوا جميعاً يحدّقون صوب الجنوب، حتى نهضت إنغريد أخيراً، ولاحظوا أنّها تحمل حجراً في إحدى يديها، وأنّها تركته عند السياج وصعدت الطريق نحوهم. وعندما اقتربت بما يكفي ليقرؤوا ملامح وجهها، عادوا جميعاً إلى الطاولة واستأنفوا تناول طعامهم في صمتٍ لم يكسره إلا دخول إنغريد، التي توقّفت ونظرت إليهم بدهشة، لكنّها سرعان ما غيّرت رأيها وسألت: أين الحلوى، إحدى اختراعات سوزانا التي تعلّمتها من سكّان الجمعية السكّنية في العاصمة.

أخذ بيورنار إجازةً من العمل، لكنّه سمّاها غياباً غير مبرّر، وقال إنه مضطرّ إلى العودة في أسرع وقتٍ ممكن لتعويض ما خسره، من خلال العمل في موسم الإجازات الصيفية الجماعيّ، لكن ليس قبل أن ينقذ مهمّةً كلّفته بها إنغريد. فالمرج في جيس أوي لم يُحرث مؤخراً، لكنّه على الأقل كان مزروعاً، وينبغي جزّ العشب فيه باستخدام حصان وآلة جزّ، ولم يكن بالإمكان نقل الحصان حيّاً إلى شاطئ الجزيرة، فضلاً عن آلة الجزّ. بوسع غامب (الحصان) أن يسبح بسهولة عبر المضيق، غير أنّ دانييل، مالك الحصان، يعتقد أنّ المضيق طويلٌ وبارد، لذلك كان عليهم أن ينظروا في إمكانية استعمال الطوف القديم.

لقد رمت عاصفةُ الطوف على برّ الجزيرة، وبقي هناك يتعفّن في المرج الجنوبي منذ خمسة عشر عاماً.

بعض عوارضه المزيّنة ما تزال صلبة، أما المهترئة منها فيجب استبدالها، كما ينبغي أن يشتروا عشرة براميل زيت فارغة، وقد ساوم بيورنار صاحب المتجر، فيغ، على سعرها.

لم يحبّ فيغ هذا الرجل البدين المتسرّع القادم من المدينة، لكنّه كان

متعاطفاً مع مَنْ تَبَقَّى مِنْ عَائِلَةِ بَارَأَوِي، فعرض أن يبيعهم البرميل الواحد بعشر كرونات.

سأدفع لك كرونة واحدة، وهذا كثير عليها، قال بيورنار. ثم بدأ بدحرجة البراميل ليتلقاها ماتياس ودانييل عند الرصيف ويضعانها على متن السفينة، مالن. وعندما كَرَّجَ بيورنار البرميل السادس، قال فيغ: «اللعة!»، ثم هزَّ كتفيه، واستدار عائداً إلى المتجر.

في غضون الأيام التالية بنى بيورنار طَوْفاً جديداً، كان يعمل عاري الصدر، وفي فمه سيجارة، وبجانبه مساعده ماتياس. وفي المساء كان يجلس في غرفة الجلوس ويشرب الكحول وهو يلعب البريدج مع كايا وصوفيا وماتياس، لقد شكّلوا فريق بريدج كاملاً في جزيرة مسكونة بالأشباح. بينما كانت آنا بتّورتها الأنيقة تدور حول إنغريد محاولةً أن تنتزع منها تبريراً لعدم السماح لهما باصطحاب والدتهما، هانا، معهما إلى لوفوتن.

أجابت إنغريد إنّها ينبغي أن تترك هانا بشأنها: هانا تقرّر أين تذهب. نعم، لكنّها لا تريد أن تذهب.

حسنٌ، وهل تخطّطين لاختطافها؟
كلّا.

ربّما هي مرتاحةٌ هنا.

تجد آنا صعوبةً في تصديق هذا، لكن لآنها لا تملك أيّ مبرّر لقول ذلك، قالت إنّ جدّها بحاجة إليها، فقد أصبحا عجوزين، وليس لديهما سوى هذه الابنة.

قالت إنغريد إنّ لديهما ثلاثة أبناءٍ غيرها أيضاً.

نعم، لكنهم في أوصلو.

قالت إنغريد: ألا يوجد قطار؟

ماذا؟ لا يوجد، وإلا لكانوا هناك الآن.

أين؟

في أوصلو.

حسنٌ. لكن لدى هانا إخوة آخرون أيضاً.

نعم، لكنهم يعيشون في ترومسو. أو ... لا تتذكر أنا أين يعيشون، فقد رأيت واحداً فقط من أخوالها، ذات مرة، وهو يعيش في ترومسو.

لاحظت إنغريد أن هناك شيئاً مريباً، فسألت أنا عما تفكر فيه، وإذا كانت تريد العيش هنا مع إنغريد أم هناك مع جدّتها؟

بدت أنا غير راغبة في إعطاء إجابة صريحة. فقالت إن جدّتها كانا وحيدتين في بيتهم الكبير في ليكنيس.

سألته إنغريد كم عدد سكان ليكنيس. نسيت أنا الإجابة عن السؤال.

سألته إنغريد ما إذا كانت ما تزال ترسم.

نعم. لكنّها ستلتحق بالجامعة لدراسة اللغات، الإنكليزية والفرنسية، وأن صوفيا ستدرس القانون.

أين؟

في أوصلو.

نظرت إليها إنغريد عن كثب وسألته هل لديها ما تريد أن تخبرها به؟

لا، قالت أنا.

في صباح اليوم التالي هبّت عاصفةٌ قويّةٌ من الجنوب الغربي، لكنّ بيورنار اندفع إلى العمل بحماسة المعهودة، وهو عاري الصدر، وكأنّه أصيب بأذى بسبب إقامته هنا، وكان معه ماتياس، الذي ارتدى ملابس مطريّة، لكنّها لم تُعقّه عن العمل بالوتيرة المعتادة.

سأله ماتياس: لماذا أنت عاري الصدر؟

فقال بيورنار: كي أجعل الأمور أسوأ ما يمكن.

ضحك ماتياس وسأله ماذا يعني؟ أليس الطقس بارداً؟

باردٌ جداً، قال بيورنار وأضاف إنّ هذا من أجل إذا طلبت سوزانا منه ثانية العودة إلى الشمال، فسوف يتذكّر هذا اليوم بالتحديد، ويقول لها «لا» حاسمة.

قهقهه ماتياس عالياً. وتساءل: هل الأمر سيّئ إلى هذه الدرجة هنا؟!

قال بيورنار: إنه أسوأ ما يمكن أن يكون عليه طقس. ما رأيك أنت على أيّ حال، فأنت تتظاهر أنك ذكيّ، أليس كذلك؟ لا أعتقد أنه سيّئ.

أنت لا تعرف ما الذي تحدّث عنه، أيّها الصغير.

ضحك ماتياس ثانيةً، وأضاف بيورنار ربما تعتقد ذلك لأنك تفكّر في البقاء هنا؟

أوه، لا أعرف ما إذا كنت سأبقى هنا.

استأنفا العمل.

قال بيورنار: أنتم لستم من النوع الذي يحبّ الثرثرة، أليس كذلك؟

ماذا تقصد؟

نعم، يمكنك قول ذلك. لكن إذا جلبت كيس المسامير ذاك، فسوف أعلمك كيف تدق مسمارين معاً.

شاهد ماتياس بيورنار وهو يدق مسمارين بطول أربعة إنشات بثلاث ضربات. لكن بدا له الأمر غريباً، فقد كان رأسا المسمارين متلاصقين.

ماذا تعتقد أنه سيكون أفضل من السابق؟

لا شيء، قال بيورنار. هل فهمت حقاً ما هو الهراء؟

لا.

أتذكر كيف خدعنا ذلك البغل صاحب المتجر للحصول على البراميل؟

نعم، لقد لاحظ ماتياس كيف حصل الأمر.

شدّ بيورنار قامته ونظر إلى العمل الذي أنجزه، ثلاثة صفوف بثلاثة براميل عن الجوانب الأربعة، موزعة بشكل متماثل تحت سطح الطوف شبه المكتمل. أصبح الطوف أثقل، فربطاه بحبلين على الشاطئ الطويل. حيث كان يرفعه المدّ بهدوءٍ مرتين في اليوم، وهو طوفٌ مثالي، على رأي بيورنار. لكنهم بحاجة إلى ممرّ من أجل الحصان وجزازة العشب.

قال بيورنار: هذا عملٌ ننجزه غداً، أما الآن فأنا أتجمّد من البرد.

فرغ فريق البنّائين من بناء الخزان في شهر أيار، في الجدار الجنوبي من الرصيف الجديد، لقد استغرق بناؤه ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع مدّدوا المزاريب، وماسورة التصريف، لكنهم لم يصنعوا الغطاء. قالت إنغريد إنّ بوسعهم صنعه بأنفسهم، ثم دفعت للعمّال أجرهم وشكرتهم على جهودهم.

تحوّلت الرياح صوب الشرق وتباطأت سرعتها، وأشرقت الشمس، وحلّ الدفء، إنها فسحة التنفّس الخضراء لهذا العام، الفسحة ما بين الربيع وأول جَزٍّ للحشيش، التي يستغلّونها لبضعة أيّام في صيد السلمون، تنظيف القوارب وهم يسمعون أصوات طيور العيدر، شحذ أسنان أدوات العمل المتآكلة وشفرات المناجل. وعندما فرغوا من بناء الممرّ إلى الطوف واستلقوا عليه وارتاحوا في أشعة الشمس الدافئة لمدة ساعة، استيقظ بيورنار من قيلولته، فجأة، اعتدل في جلسته، أشعل سيجارة وسرّح نظره بعيداً في البحر النائم، وبدا كما لو أنه تمتم بعبارة يستهجن بها مغادرة الجزيرة.

وبدلاً من ذلك خطرت له فكرة.

صعد بيورنار وماتياس إلى خزّان الماء، الذي كان قد امتلأ وبدأ مثل حوض سباحة. كان الماء بارداً، لكنّه أدفاً من ماء البحر، فطلب بيورنار من ماتياس أن يصعد إلى المنزل ويجلب صابونة. حدّق ماتياس فيه وقال له إنّ هذا ماء للشرب، خزّان ماء احتياطي عندما تفرغ الخزّانات الأخرى. أشعل بيورنار سيجارة أخرى ونظر إلى ماتياس.

صعد ماتياس إلى البيت، كانت باربرو نائمة في كرسي المطبخ في قيلولة بعد الغداء، أخذ صابونة ونزل إلى الخزّان ليرى أنّ بيورنار قد خلع ملابسه ونزل في خزّان الماء. فخلع ماتياس ملابسه وقفز إلى الخزّان أيضاً. وتراشقا بالماء. كانت إنغريد الصغيرة وهيغا أول الواصلين، ثم التوءمان وكايا، وتحلّقوا حولهما معجبين بما يفعلانه. كانت سوزانا نائمة في سقيفة القارب السويدية واستيقظت على صخبهم، فخرجت ووقفت تتفرّج على ما يجري وقد قاطعت ذراعيها فوق صدرها، دون أن تقول شيئاً. وسمعت

إنغريد الصخب بينما كانت تعمل على وضع علاماتٍ على براميل البيض في مرفأ لوفوتن. نزلت البنات أيضاً في خزان الماء، لكن بكامل ملابسهن، بينما بقيت سوزانا واقفةً بصمت كما لو أنها تفكّر في اللحاق بهنّ.

لم ترَ إنغريد شيئاً من مكانها.

كان بيورنار قد غسل شعره بالصابون ثم غطس تحت الماء، وصعد ثانيةً وصاح على إنغريد أن تأتي وتعدّ.

لم تفهم إنغريد شيئاً.

زاد عن حاجتنا لصناعة الطوف برميل زيت. وبما أنّ برميل تدخين السردين، فوق الفرن، صغيرٌ جداً ومتعفنّ، يستطيع بيورنار استبدال قاعدته وغطائه بمثلهما من البرميل المتبقي؟

هزّت إنغريد رأسها ببطء.

ما رأيك؟ سأل بيورنار.

ابتسمت إنغريد ابتسامةً بعيدةً وتخيلت والدها وجدها اللذين شيّدا هذا الرصيف في أواخر فصل خريفٍ قاسٍ، وتخيلت والدتها وباربرو اللتين كانتا تقفان بشابهما المطرية على الرصيف في الأسفل وتناولانها العوارض الخشبية لتثبيتها في جملون السقف. وعلى جملون السطح وضعوا الأحجار الإردوازية، وهو المبنى الوحيد في الجزيرة الذي فيه شيءٌ باهظ الثمن، مثل أحجار السطح الإردوازية. وعلى جدار هذا البناء تتكئ دراجةٌ الآن.

كانت ماريان هي الزائر الثاني الذي سيغادر الجزيرة، وكان رحيلها أكثر تعقيداً من رحيل بيورنار المُحرّر.

«أتمنى لكم أوقاتاً طيبة، أيها المساكين التعساء» -صاح بيورنار من على متن سفينة دانييل - «لن أعود إلى هنا أبداً!».

مسموحٌ لك أن تعتقد ما تشاء، صاحت سوزانا التي كانت واقفة في شمس الصباح مع إنغريد وهيغا لوداعه، وأضافت إنه ينبغي أن يتذكّر سقاية الورود على الشرفة.

بدأت إنغريد الصغيرة بالتحضيرات غير المهمة للسفر، كما تسمّيها ماريان، في كلّ مرّة يجري فيها الحديث عن السفر. حصلت ماريان على مهمة إضافية، فقد طلبت منها إنغريد أن تعمل على تسجيل كايا وماتياس في مدرسة ثانوية في تروندهايم، وأن تؤمّن لهما إقامةً في مدرسة داخلية. «وإذا جاءا في وقتٍ مبكر، يمكن أن يقيما عندي».

قالت إنغريد إنهما لن يصلا في وقت مبكر إلى تروندهايم. زارت ماريان سفيتلانا في مكتب البريد مرّتين، وتحديثت بالهاتف مع

أولاف، الذي قال إنه يفتقدهما. وفقاً لرواية ماريان وسفيتلانا، لكن ما تزال طيور العيدر في أعشاشها، وهي ستهلك إذا لم تحرسها إنغريد الصغيرة حتى تصبح كتاكيت قادرة على الزحف سالمة إلى البحر.

تساءلت إنغريد ما إذا كانت ماريان قد فقدت عقلها، واستشارتها في شراء قارب صيد صغير رأته معروضاً للبيع في الصحيفة.

فسألته ماريان ما إذا كانت قد فقدت عقلها تماماً.

سألت إنغريد ما إذا كانت ماريان تعتقد أنه من الغرابة أنهما لم يتحدثا كثيراً عن الموتى.

ردت ماريان بعينين طافحتين بالدموع وقالت: «لا».

في اليوم التالي، ذهب ماتيئاس وكايا مع دانييل وتفحصوا القارب، بمساعدة ماركوس، التاجر، الذي كان لديه حسٌ سليم تجاه المال أكثر منه تجاه القوارب، لكنّ عجلة الموازنة، مضخة الزيت، الدقة، والمقايض والبوصلة جميعها كانت سليمة، تفحصوا الهيكل، واختبروا قعره برؤوس السكاكين. أخيراً أعطى دانييل موافقته، خصوصاً أنه كان متعباً من حركة النقل من بارأوي وإليها، وخفّض ماركوس السعر قليلاً.

قاد ماتيئاس القارب الجديد، وكانت كايا واقفة على مقدمة القارب أمام قمرة القيادة مثل تمثال، وهي تتمايل قليلاً. كان القارب، هولكون، صغيراً، خمسة وعشرين قدماً فقط، والمحرك بسيطاً، لكن صاخباً جداً، لدرجة أن ضجيج محرك البولندر أخذ يتردد مثل صوت نبضٍ صاخب بين الجزر الصغيرة. وشعر ماتيئاس أنه بطيء جداً.

رأتهم إنغريد يرسون تحت الرصيف الجديد، وهناك بدا القارب مثل

قشرة بيضٍ بالمقارنة مع السفينة التي ترسو هناك، وهذا ما جعل ماتياس يقرّر أن ينطلق من جديد نحو سقيفة القارب السويدية كي تتمكّن كايا من النزول برشاقة إلى الجزيرة.

سألته إنغريد ما إذا كان سيسحب القارب على مزلقان.

فقال إنهما سيؤمّنان له حبل مرسى مع عوامة، وسيستعملون قارباً صغيراً للوصول إليه.

حول طاولة الفطور في صباح اليوم التالي أعلنت ماريان أنها قد حسمت أمر الرحيل. لكن ما تزال هناك طيورٌ في الأعشاش، ومن بينها طائر بطٌّ برّي اعتقدت إنغريد الصغيرة أنه طائر عيدر، وقد أطلقت عليه اسم أنطون.

قالت لها إنغريد إنّ الاسم لا يناسب الطائر لأنه بطّة، أنثى.

فقالت إنغريد الصغيرة إنّ هذا لا يغيّر في الأمر شيئاً.

سألت هانّا عن الجهة الأخرى من طاولة الطعام عن الفائدة من كلّ هذا الحديث عن السفر، فأجابها الجميع: لأنهم يريدون البقاء هنا. هذا هو شعار بارأوي. ضحكوا، وضحكت ماريان أيضاً.

تخيّلت إنغريد أنّ ماريان قد جاءت بدافع نوعٍ من الشفقة، لكنّها أدركت الآن أنه لم تكن هناك حاجة إلى ذلك. وأنّ ذلك هو آخر ما كانت تفكّر في شكرها عليه، لكنّها لم تقوَ على ذلك، لأنّ مجرد محاولة الشكر ستفسد كلّ شيء. التفتت إلى إنغريد الصغيرة وقالت إنّ هذه هي ثالث سنة لأنطون كطائر عيدر، وأنها يمكن أن تأتي العام القادم لرؤيته هنا.

نهضت إنغريد الصغيرة وخرجت راكضةً وهي تصرخ. لكن لم يلحق بها أحد. نظروا إلى ماريان مستفسرين. تابعت ماريان أكلها بهدوء، وعندما انتهت، شكرتهم على الطعام وقالت إنها ستذهب لحزم حقائبها.

عندما غادر التروندهايميون، صعدت إنغريد إلى الصالة الشمالية وقرأت في الرسالة التي كانت قد كتبها لأوتمار إرليخ، رسالة شهر كانون الثاني، لترى أخيراً ما إذا كان بالإمكان إحراقها، لتتمكن من إنهاء الفصل الخاص بتربية ماتياس.

لكنها اكتشفت أنّ الرسالة قد كُتبت بطريقة ممتازة، وتوضّح جيّداً مصاعب الحياة المتكرّرة في كلّ فصل شتاء، وكذلك الكارثة التي غيّرت كلّ شيء.

أجرت بعض التعديلات الطفيفة، حذفت سطرين يمكن أن يُفهما كانتصار، على ماتياس، وأخذتها معها إلى المدينة وأطلعت عليها سفيتلانا، التي كانت قد أنهت عملها اليومي، أغلقت بابها، وقرأت الرسالة بهدوء، وهما تتناولان القهوة. فكّرت سفيتلانا في ما قرأته، ثم أعادت قراءة الرسالة من جديد وسألت إنغريد ما إذا كانت تفكّر حقّاً في إرسالها.

لم تكن إنغريد متأكّدة، ولهذا السبب هي هنا الآن.

نصحتها سفيتلانا ألا ترسلها، فليس لذلك الرجل الحقّ في أن يقرّر أي شيء بشأن ماتياس.

سألت إنغريد: لماذا؟

فأجابتها سفيتلانا: «لماذا» أيضاً، وشعرت إنغريد أنها ساذجة للغاية.

سألتها سفيتلانا ما إذا كان ماتياس يعرف بأمر الرسالة.

لا يعرف.

هل يسأل عن والده؟

لا. كايا تسأل، وتحصل على جواب، أما ماتياس فلم ينطق بكلمة واحدة في هذا الموضوع، ولم تفكر إنغريد بتاتاً في قول أي شيء. فإنغريد لم تعرفه.

قالت سفيتلانا: أنت مجرد أم، والأبناء لغز.

لم تكن إنغريد واثقة من ذلك. أخبرتها عن لعبة الحصان الخشبي الأصفر الذي وجدته كايا في الربيع في صندوقها وأرته لماتياس، لعبة من هارتفيكا. لم يميّز ماتياس اللعبة بتاتاً، ربما لا يتذكر أي شيء من الفترة السابقة على مجيئه إلى بارأوي؟

وقفت سفيتلانا أمام النافذة تنظر إلى الصيف الذي اصفرّ لونه وغمغمت بأن يوهانس أخبرها ذات مرة أنّ أولافيا قد جلبت معها بعض الألعاب من بيت أهلها، لكنّها لم تسمح للطفل حتى أن يراها. ولم يفهم يوهانس هذا، طبعاً لم يكن لدى ماتياس ألعاب.

سألت إنغريد ما إذا كانا يضربانه؟

لا تعتقد سفيتلانا ذلك. فلم يكن في كلام يوهانس أيّ عنف، صحيح أنه كان غيباً، أغيب من عليها، لكن تلك ليست خطيئته.

وأولافيا؟

لا تعتقد سفيتلانا أنّ أولافيا كانت عنيفة معه أيضاً، وكرّرت أنه لا ينبغي لإنغريد أن ترسل الرسالة، ربما في غضون عام، أو عشرة أعوام. كانت إنغريد ما تزال غير واثقة. الإضافات التي أجرتها على الرسالة تتعلّق بالمدرسة الثانوية في تروندهايم، لقد فكّرت أن تترك بقية القصة للأب والابن، وهذا يعني الأب.

سألتهما سفيتلانا ما إذا كانت تفكّر في استشارة القسّ صموئيل.
لا.

لِمَ لا، لا بدّ أنّ آنا كارينا تعرف شيئاً، فقد استلمت رسالة من ألمانيا، منذ شهر تقريباً.

وهل أرسلت ردّاً؟ سألتها إنغريد بسرعة.

ابتسمت سفيتلانا وقالت: ليس بعد.

أومأت باتجاه الحائط، حيث تعلّق أربع صور مؤطرة لحفيديها، صبيّ وبنت من عمرين مختلفين، وقالت إنها لم تقابلهما بتاتاً، لم ترهما إلا في الصور.

سألتها إنغريد ما إذا كانا يأتیان لزيارتها.

لا.

وأنت لا تزورينهما؟

هزّت سفيتلانا رأسها، وتناولت صورة، مسحت الغبار عنها وقبّلتها مثل أيقونة، أرتهما لإنغريد وسألتهما ما إذا كانت تعتقد أنه وسيم، الطفل في الصورة.

بالتأكيد.

علقتها سفيتلانا مكانها ثانيةً بحرصٍ، وسألت إنغريد ما إذا كانت راغبة في فنجانٍ آخر من القهوة، وأضافت إن لديها ليفسر أيضاً، لقد نسيت ذلك، لديها ليفسر بالجبن البنيّ.

لم ترغب إنغريد بمزيدٍ من القهوة أو الليفسر. شكرتها، ثم غادرت والرسالة معها. اشترت بعض الأغراض من متجر ماركوس، وتابعت إلى الرصيف في الأسفل حيث ينتظرها ماتياس في القارب.

وقفاً معاً في قمرة القيادة الصغيرة.

أطلع ماتياس إنغريد على جهاز التشغيل والمقبض ولم يخجل من شرح كيفية عمل البوصلة. سألته إنغريد ماذا سيسمّيان القارب، لأنه لا بدّ من اسمٍ للقارب، وشعرت في اللحظة ذاتها بشيء يختفي، ظلّ.

بالتأكيد، قال ماتياس إنه فكّر بتسميته كايا، لكنّه قرّر الاستعاضة عنه باسم تاتيانا.

تاتيانا؟

إنه اسمٌ جميل.

رومانسي؟

للمرّة الأولى يتصرّج ماتياس خجلاً، وقال لقد أخذ الاسم من أحد كتب ماريان.

لكن؟ قالت إنغريد.

نعم، فالقارب ليس كبيراً، وهذا سيغضب كايا، واسم تاتيانا كان لطيفاً، فالقارب يدّمّر الأسماء. ولذلك تساءل ما إذا كان من الأفضل تسميته سكوغ هولمن. وهذا لا يعني الكثير.

ضحكاً معاً، طافت ذكريات إنغريد حول سكوغ هولمن.

ما رأيك باسم بيورنار؟ قالت إنغريد.

ضحكاً منه أكثر.

بعد أن ربط القارب إلى المرسى، أراها ماتياس أين يملؤه بالوقود، وكم يتسع خزان الوقود. وشعرت إنغريد ثانية أن شيئاً آخر قد اختفى، وعندما صعدت الطريق إلى المنزل دهمها أيضاً الشعور الذي أبقاها عدة مرات واقفة على قدميها، الشعور بأنها قد أنجزت شيئاً.

جروا العشب وعلّقوه على السقالات ليجفّ. نظّفوا ريش العيدر وعبّؤوه في أكياس. ذبحت إنغريد خروفاً كان قد كسر إحدى قوائمه. وجلبوا التبن من جيس أوي على الطوف ونقلوه على عربة عبر الحدائق إلى الحظيرة. وركبوا القارب إلى الجزر الصغيرة وتأكدوا من أن لدى الماشية ماءً عذّباً في بركها الصغيرة. وكانت سوزانا إلى جانب إنغريد طوال الوقت.

عندما أوشكت أيام شهر آب اللاهبة على نهايتها، حزم الجميع حقائبهم في صمت، باستثناء كايا، التي كان ينبغي أن تخطط فستاناً أهدتها قماشته ماريان. فخاطته إنغريد لها، بينما كانت كايا تقف على كرسيّ المطبخ تلعب بشعرها وغير راضية عن أيّ شيء. وتساءلت كيف ستكون الحال في المدينة؟

لم يكن لدى إنغريد الكثير لتقوله في ذلك سوى أنه سيكون غريباً.
غريباً؟

أجل، لقد زارت كايا المدينة من قبل، مرّتين، ولا تتذكّر شيئاً منهما،
لكنّها تغيّرت الآن بالتأكيد.

تساءلت كايا: كيف؟

قالت صوفيا التي كانت جالسة تدرس خياطة إنغريد إنها يمكن أن
تقصّ بوصةً أخرى من الفستان، وإنّ على كايا ألا تقلق.

قالت كايا إنها لم تكن خائفة.

قالت إنغريد إنّ هذا أمرٌ جيّد.

لم تكن هناك حاجة إلى خياطة ملابس لماتياس، فجميع المقاسات
موجودة في مخابئ بارأوي. لكنّ إنغريد اشترت له جاكيتاً، فبدا مثل مزيج
من قبطان وعارض أزياء. وحصل على حقيبة جديدة أيضاً، من سفيتلانا.
لم تكن جديدة تماماً، فقد استُخدمت في روسيا قبل الثورة، واستُخدمت
في فينمارك أثناء عمليات النزوح أثناء الحرب، لكنّها على أيّ حال ما
تزال تبدو غير مستعملة بشكلٍ مثير للريبة، ولها أقفال نحاسية، ومشابك،
وأشرطة جلدية، وهي أكثر فخامةً من حقيبة كايا، التي كانت حقيبة إنغريد
القديمة.

سافر الستة معاً، كما لو أنّ كلّ قطعة من اللغز نزلت في مكانها
الصحيح ما دام ليس هناك خطأ. كانت سوزانا مسؤولةً عن توصيل الأولاد
إلى المدينة أولاً، ثمّ بالعبارة البحرية، وبعديئذٍ بالقطار. ستكون ماريان في
انتظار كايا وماتياس في محطة القطار في تروندهايم. وفي أوصلو ستقيم
صوفيا وأنا عند عمّتهما سوزانا في الفترة الأولى، في غرفة هيغا، خلف
الصليب الأزرق الأيسر في صورة مبنى سكنيّ أرّتهما إياها إنغريد.

إنها أجمل بكثير الآن، قالت سوزانا، مروجٌ خضراء، أشجار، أسفلت ومرائب.

هذا يعني أن هانا لن تذهب إلى أيّ مكان آخر، لذلك وقفن ثلاثهن على الرصيف: باربرو بنظاراتها الجديدة، وهانا وإنغريد، ولوّحن مودّعين عندما أخذ دانييل الحشد بعيداً. لم تشعر إنغريد من قبل بارتياح كبير كهذا عند انتهاء الصيف. تحت الرذاذ الخفيف، وهنّ يصعدن الطريق إلى المنزل قالت لهانّا: «أنا حامل».

نعم، لقد لاحظت ذلك، قالت هانا.

هل قالت لك شيئاً؟

«كلّا» - قالت هانا - «سنسمع منها عندما تقرّر هي. لقد كبرت».

ثم جاء الخريف.

روي ياكوبسن

كاتبٌ نرويجيٌّ من مواليد أوصلو 1954. أصدر مجموعته القصصية الأولى «حياة مصادرة» في 1982، ونال عليها جائزة تريا فيسوس (جائزة أفضل أول عمل أدبي، تمنحها جمعية الأدباء النرويجيين). تفرَّغ للكتابة في عام 1990. ألَّف ياكوبسن خمس مجموعاتٍ قصصية، وكتاباً للأطفال، وتسع عشرة روايةً، ونال خمس عشرة جائزةً أدبيةً مرموقة. ورُشِّحت روايته «اللامرئيون» لجائزة مان بوكر الدولية في عام 2017، وكانت أول رواية نرويجية تُرَشِّح لهذه الجائزة.

يتميّز ياكوبسن بإنتاجه الأدبي المتنوع من القصص القصيرة المشبعة بالمحتوى النفسي، وتقنيات السرد المتعدّدة، وباستخدام انتقائيٍّ للصور واللغة، إضافةً إلى الروايات الأوسع نطاقاً التي تتميّز بثروة من المعرفة التاريخية والأدبية واللغوية والسياسية، من عصر ملحمة آيسلندا إلى تاريخ الحرب في القرن العشرين في القارة الأوروبية وفي روسيا وفنلندا. هذا النوع من الكتابة جعل الناقد النرويجي الكبير «تريغفي براتيلي» يصف روايات ياكوبسن بأنها سينما طبيعية. وقد تُرجمت أعماله إلى 41 لغة عالمية.

محمد حبيب

مترجمٌ من سورية مقيمٌ في النرويج. عضو في جمعية القلم النرويجية، وعضو اتحاد المترجمين النرويجيين.

له العديد من الترجمات عن اللغتين الإنكليزية والنرويجية، من بينها:
«اجتماع شمل العائلة» لـ ت. س. إليوت، «دور الصدفة والغباء في تغيير
مجرى التاريخ» لإريك دورتشميد، «العمى» لجوزيه ساراماغو، وغيرها.
صدرت بترجمته لدى دارى «سرد للنشر» و«ممدوح عدوان للنشر
والتوزيع»: «اللامرثيون»، «بحر أبيض»، «عيون ريغيل» للكاتب النرويجي
روي ياكوبسن.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تغادر "أولافيا" المنزل، تاركة وراءها زوجها وابنها ذو الخمس سنوات "ماتياس". يحاول الأب معرفة الوجهة التي اتخذتها زوجته ولماذا رحلت، لكن لا أحد من عائلتها يقول له أي معلومة مفيدة. فهل هم لا يعرفون فعلاً أم أنهم يخفون سرّاً ما؟ قبل اتخاذ قراره النهائي يترك الأب ابنه "ماتياس" في جزيرة "بارأوي"، وسرعان ما تجد "إنغريد" نفسها مسؤولة عن الصبي، وراغبة في تربيته. هكذا يصبح هذا الطفل الغريب واحداً من مجتمع الجزيرة الصغير. ولكن ما المفاجآت التي يخبئها لها القدر؟ وما هي الأسرار التي ستكشف؟

في "مجرد أم" يكتب "روي ياكوبسن" بنثره فائق العذوبة والحساسية عن الخسارة والمسؤولية، وعن الهجر والكرامة، وعن الأمومة والبنوة، وعن الخيارات التي نتخذها فتغير مصائرنا ومصائر الآخرين.

مكتبة

t.me/soramnqraa



دار مسدوح

ISBN 978-9933-701-51-2



9 789933 701512 >